بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة الاجتماعية في بغداد

(٥٧٥ ـ ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٥٨ م)

اعـــداد

محمد عبد الله احمد القدحات

اشراف

أ.د تقي الدين الدوري

١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

الحياة الاجتماعية في بغداد

(٥٧٥-٦٥٦هـ / ١١٧٩-١٢٥٨م)

اعداد

محمد عبد الله أحمد القدحات

بكالوريوس تاريخ / ١٩٩٢م

" قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة مؤتة تخصص تاريخ "

لجنة المناقشة :

١- أ.د. تقي الدين الدوري / مشرفاً

٢- أ.د. فاروق عمر فوزي

٣- د. حسين الكساسبه

تاريخ تقديم الرسالة : ١٩٩٦/٣/٥م

تاريخ المناقشـــة : ١٩٩٦/٤/٧م

الاهداء :

الى :

رمز الأيثار :

أبي العزيز . إجلالأواكباراً

والى :

ينبوع الحنان :

أمي الغالية . حباً وعرفاناً

والى :

عنوان الأخلاص :

أشقائي الأعزاء ... وفاءً وتقديراً

أهدي ثمرة جهدي

محمد

شكر وتقدير

بعد الشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على انجاز هذه الدراسة أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي المشرف الدكتور تقي الدين عارف الدوري على العناية والتوجيه والارشاد الذي أحاطني به ، فكان لتوجيهاته وارشاداته الاثر الكبير في اخراج هذه الدراسة بشكلها الحالي ، فله مني المحبة والوفاء .

كما أتقدم بالشكر الى الاستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي الذي رعى الدراسة منذ كانت فكرة حتى خرجت بهذه الصورة ، ولا يفوتني أن أقدم الشكر الى الاستاذة الدكتورة ناجية عبد الله ابراهيم والاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي لما بذلاه من مساعدة .

وجزيل الشكر للأخ الشاعر عبد الباسط الكيالي الذي قام بمراجعة الرسالة لغوياً .

وفي الختام اشكر كافة الذين مدوا إلي يد العون والمساعدة أثناء اعداد الدراسة .

المحتويـــات

المختصرات والرموز الواردة في الرسالة ودلالاتها

١_ هـ هجري .

٢_م : ميلادي .

٣ـ ت : توفي

٤ـ مخ : مخطوط

٥ـ ج : جزء

٦ـ مج : مجلد

٧ـ ص : صفحة

٨- E.I : Enc̆yclopaedia of Islam

٩- op.cit باللاتينية opere citato

المقدمة

دراسة المجتمع الإسلامي من موضوعات التاريخ الهامة التي تكشف لنا عن المظاهر الاجتماعية للحضارة العربية الإسلامية ، تلك المظاهر التي أغفلها البحث العلمي التاريخي ، ولم تكرس لها جهود كافية للكشف عنها وإبرازها للعيان .

لقد إهتم التاريخ الإسلامي بسيرة الحكام بالدرجة الأولى ، وفي رأينا أن ذلك لم يكن ذنب التاريخ الإسلامي كي يسير في هذا الاتجاه ، فقد ساعد عليه المؤرخون المسلمون ، وكانت النتيجة إلى حد ما إهمال الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

لكن التصدي لمثل هذه المواضيع ليس سهلاً بسبب بعض العوائق والتي من أهمها قلة المادة التاريخية . وتشتتها في بطون المصادر على اختلاف أنواعها ككتب التاريخ ، والأدب ، والتراجم ،و الجغرافية ، والرحلات ، والتصوف وغيرها .

وإن ما دفعني لاختيار موضوع الحياة الاجتماعية في بغداد من (٥٧٥ ـ ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٥٨ م) ، يعود لما يلي :-

أ ـ تعد الحقبة أعلاه من الحقب التي ندرت الدراسات حولها ، خاصة في مجال الحياة الاجتماعية ، كما أن هذه الحقبة تمثل بداية مرحلة تغير سياسي في البنية السياسية للعالم الإسلامي، فقد شهدت ظهور الدولة الخوارزمية ومحاولتها السيطرة على بغداد مرتين : الأولى سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) ، والثانية سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥ م) ، كذلك شهدت النشاط المغولي في المشرق الذي انتهى بسقوط بغداد على أيديهم سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) ، مما ينعكس بالتالي على البنية الإجتماعية .

ب ـ إن هذه الحقبة لم تدرس من الناحية الاجتماعية المتكاملة ، فيما عدا بعض الدراسات التي تناولت جوانب معينة من الموضوع .

وأهمية هذا الموضوع تكمن في تبيان طبيعة المجتمع وتنظيماته الاجتماعية وعاداته والخدمات المقدمة لأفراده .

لقد إستوجب موضوع الدراسة تقسيمة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

واحتوت المقدمة على أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأقسام البحث وتحليل لأهم المصادر والمراجع .

وكان التمهيد عرضاً لأوضاع الخلافة العباسية وعلاقتها مع الدول الإسلامية المجاورة ، ومحاولة الخلافة المحافظة على الاستقلال الذي حققته من سيطرة العناصر الأجنبية إلي أن ظهر المغول وقضوا عليها سنة (٦٥٦هـ /١٢٥٨ م) .

وتناول الفصل الأول البنية الاجتماعية لسكان بغداد ، والأساسان اللذان اعتمدا في تقسيم المجتمع هما : الدين والمكانة الاجتماعية للأفراد ، فتطرقت الدراسة الي المسلمين: السنة والشيعة ، وأهل الذمة :النصارى واليهود ، ومن حيث المكانة الاجتماعية فقد قسمت المجتمع إلى فئتين هما : فئة الخاصة وتشمل الخليفة ، وأسرته ، والأمراء المماليك ، وكبار رجال الدولة. وفئة العامة: وتشمل العلماء ، والتجار ، والجواري والخدم .

أما الفصل الثاني فتناول التنظيمات الاجتماعية في بغداد ، وتشمل نقابة الأشراف والطرق الصوفية، واشهرها الطريقة القادرية، والطريقة الرفاعية ، والفتوة ، والأصناف وكانت هذه التنظيمات تتمتع بالرعاية من قبل الدولة لما لها من تأثير على عامة الشعب .

وجاء الفصل الثالث للحديث عن الأعياد والاحتفالات والتسلية والحياة اليومية، فتطرق إلى الأعياد الإسلامية ، وأعياد أهل الذمة ، ومن الاحتفالات حلول شهر رمضان ، وموسم الحج ، والختمة ، والختان ، ووسائل التسلية متضمنة حضور المجالس الخاصة والعامة ، واللعب بالطيور ، ومهارشة الحيوانات . بالإضافة إلى الحياة اليومية ومستوى المعيشة من ملابس ، وأطعمة ، وأسعار .

وكان الفصل الرابع قد خصص للحديث عن المرافق والخدمات العامة في مدينة بغداد ، من توفير للمياه ، والبيمارستانات ، والحمامات ، والنظافة ، بالإضافة إلى المؤسسات الثقافية كالمساجد والمدارس والربط والمكتبات .

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة بعد معالجة مختلف جوانب الحياة الاجتماعية .

وحيث إن للموضوع جوانب عديدة ومتشعبة لا تتوفر له مصادر خاصة ومستقلة، فقد إعتمدنا في تناول هذة الدراسة مصادر عديدة متنوعة ، مخطوطة ومطبوعة ، تاريخية وغير تاريخية ، في محاولة لتكوين وحدة متكاملة لموضوع الدراسة ، وفي ما يلي إشارة لأهمها :

١ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الله المعروف بسبط بن التعاويذي ، (ت ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، **الديوان** ، وهو كبير ، ويحوي اكثر من سبعة آلاف بيت ، نشره المستشرق مرجليوث سنة ١٩٠٣ م ، ونجد في ثنايا قصائده مادة اجتماعية جيدة تفيد في توضيح بعض معالم الحياة الاجتماعية ، فهناك قصائد في المدح والذم ، وفي وصف الأطعمة والأشربة ، ووصف لمجالس الأنس والخمرة وغيرها .

٢ ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) ، **تلبيس إبليس**، وقد أفاد في دراسة الطرق الصوفية ، وبيان انحرافات بعض المتصوفة عن النهج المستقيم ، وكان ابن الجوزي من المعادين لمثل هؤلاء ، وفي هذا الكتاب حاول إظهار مفاسدهم وكذبهم ، وهناك كتب أخرى لابن الجوزي افدنا منها ،"كالمنتظم" و"أخبار الظراف والمتماجنين"، "والقصاص والمذكرين".

٣ ـ أبو الحسن محمد بن احمد بن جبير الأندلسي ، (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٨ م) ، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة بالرحلة** ، وجاء هذا الكتاب ثمرة ثلاث رحلات قام بها ابن جبير ، أهمها رحلته الاخيرة التي استغرقت اكثر من ثلاث سنين ، وجاء هذا الكتاب حافلاً بالمشاهد والتجارب التي اكتسبها اثناء تجواله في عجائب البلدان والمدن ، واطلاعه على الشؤون والاحوال السياسية والاجتماعية والاخلاقية التي كانت سائدة في تلك الحقبة ؛ وقد زار بغداد سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) ، ووصف كثيراً مما شاهد في بغداد كرؤيته للخليفة الناصر وهو خارج من قصره بإحدى السفن للتنزه ، وحضوره مجالس الوعظ التي كان يعقدها ابن الجوزي عند باب بدر .

٤ ـ محمد بن تقي الدين بن عمر بن شاهنشاه المعروف بالأيوبي ، (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) ، **مضمار الحقائق وسر الخلائق** ، وهو كتاب ضخم فُقد معظمه ، ولم يبق منه

سوى جزء قليل ، وينفرد الأيوبي في إيراد معلومات حول جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة ، كأهل الذمة ، فقد أورد نص المرسوم الذي اصدره الخليفة الناصر سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) ، والذي يقضي بعدم استخدام اهل الذمة في ديوان دار الخلافة ، كما يجد الباحث معلومات حول الأمراء المماليك ورعاية الخلفاء لهم كالأمير خالص الخادم الذي تولى قيادة الجيش في عهد الخليفة الناصر لدين الله ، وهناك معلومات حول وسائل التسلية كالنزهة الى الرياض والبساتين المجاورة لمدينة بغداد ومشاركة النساء للرجال بهذه النزهات .

٥ ـ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ، (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، **معجم البلدان** ،وأفادت الدراسة منه في تحديد المواقع والأمكنة .

٦ ـ عز الدين علي بن محمد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير ، (ت٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) ، **الكامل في التاريخ** ، وهو مرتب على السنوات ، وينتهي بسنة ٦٢٨ هـ ،أي قبل وفاته بسنتين ، واستفادة الدراسة مما ورد فيه من معلومات قيمة حول الحياة الاجتماعية كذكره لأنشاء المدارس والحمامات والبيمارستانات ، وذكر الزلازل والكوارث والتي تؤثر بدورها على الحياة بمختلف جوانبها .

٧ ـ الحافظ بن عبد الله بن سعيد بن الدَّبيثي ، (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، **ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد** ، ومعظمه ما زال مخطوطاً في مكتبتي الدراسات العليا في جامعة بغداد ، ومكتبة المجمع العلمي العراقي، وقام بشار معروف بتحقيق أسماء الذين يسمون محمداً بجزئين ،ويعتبر من اهم مصادر البحث خاصة انه يتحدث عن علماء بغداد في فترة الدراسة ، وهو ذيل على تاريخ بغداد لابي سعد السمعاني وقد ترجم فيه لمن كان ببغداد من الخلفاء والوزراء والعلماء ، ورتب ابن الدبيثي كتابه على حروف المعجم ولكنه بدأ بالمحمدين ثم الاحمدين تيمنا بأسم النبي (ص) ويلاحظ على تراجمه الايجاز ولكنها غنية بالمعلومات حول الحياة الاجتماعية ، فهو يورد اهم الاعمال والمناصب التي مارسها صاحب الترجمة واعماله الخيرية تجاه المجتمع ، وقد اختصره الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، **وسماه المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدَّبيثي** .

٨- أبو المظفر شمس الدين يوسف قزأوغلي المعروف بسبط بن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** ، وهو تاريخ عام رتبه على

أساس حولي ، والكتاب بأجزائه مازال مخطوطاً ، ولكن الاعتماد في هذه الدراسة كان على الجزء الثامن المطبوع والذي يبدأ بأحداث سنة ٤٩٠ هـ وينتهي بأحداث سنة ٦٥٤هـ ، ويحتوي على مادة غزيرة حول جوانب الحياة الاجتماعية ، فهناك روايات حول مراسيم تنصيب الخلفاء والاعمال التي قاموا بها لخدمة المجتمع كتوزيع العطايا والخلع على اصحابها ، وانشاء مرافق مختلفة .

٩-الحافظ أبو محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة ، (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦ م)، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين** ، يبدأ من سنة ٥٩٠هـ، وينتهي في سنة ٦٦٥هـ، وفيه معلومات كثيرة عن العادات والتقاليد والأعياد والترفيه، والمعلومات قصيرة في أغلب الأحيان ، ويبدو أنه اعتمد على مصادر كثيرة لم يصلنا معظمها .

١٠- تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي ، (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م) ، **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير** ، وهو كتاب كبير مرتب بحسب السنوات وقد بلغ فيه المؤلف سنة ٦٥٦هـ، ولكن لم يصلنا إلا الجزء التاسع والذي ويغطي السنوات (٥٩٥-٦٠٦هـ)، بتحقيق مصطفى جواد ، ويفصل ابن الساعي في كتابه هذا في الشؤون الداخلية للخلافة وله عناية خاصة بإيراد المراسيم والقرارات الصادرة عن الخلفاء والتي اغفلها أكثر المؤرخين كمرسوم تقليد فخري الدين ابي الحسن بن المختار الكوفي نقابة الطالبين ببغداد ، وأورد المرسوم الذي أصدره الناصر لدين الله سنة (٦٠٤ هـ /١٢٠٧م) المتعلق بتنظيم الفتوة . ويورد اعمال الخلفاء كانشاء دور الضيافة لافطار الصائمين في رمضان بجانبي بغداد ، ودوراً اخرى لأستقبال الحجاج حين وصولهم بغداد .

١١- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، (ت٦٨١هـ/١٢٨٣م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، وأفاد الدراسة من المعلومات القيمة التي أوردها في ثنايا ترجمته لبعض رجال الحقبة موضوع الدراسة ، كالشيخ عبد القادر الجيلاني، وسبط بن التعاويذي وغيرهم .

١٢- مجهول (وينسب خطأ لابن الفوطي) ، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة** ، حققه ونشره مصطفى جواد ، وما وصلنا منه يبدأ ببعض أحداث سنة ٦٢٦هـ ، وينتهي سنة ٧٠٠هـ ، يعتبر هذا الكتاب من ابرز الكتب التاريخية التي ركز مؤلفها على ابراز مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة فنجد مؤلفه يورد معلومات عن النقباء الذين تولوا نقابة الاشراف ، ومعلومات اخرى حول عناصر

المجتمع فيترجم للامراء الاتراك ويتحدث عن حياتهم وعلاقاتهم بالمجتمع ، ويقدم روايات عن أهل الذمة ودورهم في الحياة الاجتماعية ، ويعطي اهم وثيقة تاريخية توضح وضع اهل الذمة في بغداد اثناء فترة الدراسة ، وهي عبارة عن رسالة رفعها الفقيه ابن فضلان الى الخليفة الناصر ، يطلعه فيها على تجاوز اهل الذمة لحدودهم على حساب المسلمين .

١٣- كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطي ، (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) ، **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، وهو كتاب ضخم لم يصلنا منه سوى الجزءان الرابع الذي حققه مصطفى جواد في أربعة أقسام ، والخامس وحققه محمد عبد القدوس ، ورتب المؤلف هذا الكتاب معجمياً معتمداً على الألقاب ، ورغم قصر الروايات التي قدمها هذا الكتاب إلا انها غنية بالمعلومات التي تهم الباحث عند دراسة الحياة الاجتماعية ، فهناك معلومات حول العلماء والاعمال التي مارسوها كالتجارة ، وبيع الخرز والعطور ، وروايات عن التجار وأحوالهم ودورهم في الرعاية الاجتماعية للفقراء بتقديم المال والطعام ، ونجد في ثنايا الكتاب تراجم لبعض رجال التصوف ومن أشتهر منهم بالسياحة والسفر . وهناك معلومات حول وسائل التسلية كلعبة الشطرنج.

١٤- محمد بن محمد القرشي المعروف بابن الأخوة (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م) ، **معالم القربة في أحكام الحسبة** ،الذي أفادنا في كثير من المعلومات التي تناولت جوانب من الحياة الاجتماعية كالحمامات ونظافتها ، والأسواق ، والأطعمة والأشربة .

١٥- جمال الدين علي بن الحسن المعروف بالغساني، (ت ٨٠٢هـ/١٤٠٠م)، **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** ، وقام بتحقيقه السيد شاكر محمد عبد المنعم ، ونال به درجة الماجستير في التاريخ ، ويبدأ بأحداث سنة ٥٧٥هـ ، سنة تولي الناصر ، وينتهي بسقوط الخلافة العباسية ، وطبع في بغداد، وقد اتبع فيه المؤلف الاسلوب الحولي ، فيتحدث عن احداث كل سنة واهم من توفي فيها من الخلفاء والاعيان والعلماء ، وتضمن الكتاب مجموعة طيبة من النصوص التي وصفت الحالة الاجتماعية في البلاد الاسلامية ، لكن ما ورد عن العراق في هذا الصدد يفوق غيره من اقطار العالم الاسلامي ، فعند حديثه عن مناسبة اجتماعية يفصل فيها

كحديثه عن الاحتفال الذي اتم عند افتتاح المدرسة المستنصرية ، ويوضح ايضاً موقف الخلفاء من مختلف فئات المجتمع كالشيعة واهل الذمة ، وعلى العموم فأن الكتاب افرد لكل خليفة فصل خاص وذكر في نهاية كل فصل اهم اعماله .

١٦- شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي عذيبة ، (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، وهو صورة عن المخطوطة موجودة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، والكتاب تراجم رتبه مؤلفه على اساس ابجدي ، فترجم للخلفاء الوزراء والمحدثين والعلماء ، ولكنه ركز في تراجمه على رجال العراق ، فترجم لخلفاء فترة الدراسة الناصر والظاهر والمستنصر والمستعصم ، واشار الى اهم الاعمال التي قاموا بها بمختلف مجالات الحياة .

وأستفاد البحث من مجموعة من الدراسات الحديثة ، أمثال بدري محمد فهد ، **تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير** ، وكتاب محمد صالح القزاز ، **الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير** ، واكتمال اسماعيل ، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق (٤٤٧هـ- ٥٩٠ هـ)** ، ورسالة الماجستير غير المنشورة للباحث يحيى أحمد عبد الهادي ، **الفتوة في العصر العباسي الأخير** .

التمهيد

الأوضاع السياسية للخلافة العباسية في الفترة

(٥٧٥ - ٦٥٦هـ / ١١٧٩ - ١٢٥٨م)

حكم في الحقبة موضوع الدراسة (٥٧٥-٦٥٦ هـ / ١١٧٩-١٢٥٨م) ، اربعة من خلفاء بني العباس ، اولهم الامام أبو العباس أحمد بن المستضيء بامر الله بن المستنجد بالله بن محمد المقتفي [١] . امه ام ولد اسمها زمرد خاتون [٢] ، كانت ولادته في سنة (٥٥٣ هـ[٣] /١١٥٨م) ، ويلقب بالناصر لدين الله [٤] ، بويع بالخلافه في الليله التي توفي فيها والده في ذي القعده سنة (٥٧٥ هـ[٥]/١١٧٩ م) ، وكانت وفاته في شوال من سنة (٦٢٢ هـ[٦]/١٢٢٥ م) ؛ بعد أن قضى في الخلافة مدة تقرب من سبعة واربعين عاماً .

وبعد أن تمت البيعة للناصر لدين الله ، حاول استاذ الدار المجد بن الصاحب[٧] ، التحكم في شؤون الخلافه .ومن مظاهر هذا التحكم الدعاء له على المنابر بعد الدعاء للخليفة الناصر

---

١ - عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٢ ج ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ج١٢ ، ص٤٣٨ ؛ ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني ، مختصر التاريخ من اول الزمان إلى منتهى بني العباس ، تحقيق مصطفى جواد ووضع فهارسه سالم الالوسي ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٧٠ ،ص٢٤٢ ؛ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه مصطفى جواد، ٣ج، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥١ ، ج١ ،ص٣٤ : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، نكت الهميان في نكت العميان ، وقف على طبعه أحمد زكي بك ، المطبعة الجمالية ،مصر ، ١٩١١ ،ص٩٣.

٢ - عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، وقف على تصحيحه وطبعه مكي السيد جاسم مكتبة المثنى ، بغداد ،١٩٦٤ ،ص٢٨٠.

٣ - أبو العباس اسماعيل بن العباس الغساني ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٠، ص١٧٣.

٤ - شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي المعروف بسبط بن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ،ط١ ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند ، ١٩٥١ ،ج٨،ق٢ ،ص٦٣٥.

٥ - أبو الخطاب عمر بن أبي علي بن دحية ، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، صححه وعلق عليه عباس العزاوي ، مطبعة المعارف بغداد ،١٩٤٦ ،ص١٦٥ ،أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،٨ج ،دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ت) ،ج٥ ،ص٩٧.

٦ - تقي الدين أبو الحسن أحمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زياده ،٤ج، القاهره ١٩٥٦ ،ج١،ق١ ،ص٢٧١.

٧ - مجد الدين بن الصاحب ، تولى استاذية الدار للخليفه المستضيء ثم لولده الناصر ، ولما قتل سنة ٥٨٣هـ. اخذت امواله فكانت كثيره . شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي عذيبة ،أنسان العيون في مشاهير سادس القرون ، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي ،بغداد، تحت رقم ١٠٨٣ ،ورقه ٨ أ.

لدين الله[١].ويعود السبب في تحكم ابن الصاحب في شؤون الخلافة إلى الظروف التي أحاطت بتولي الناصر للخلافة ، فقد كان الخليفة المستضيء بامر الله طيلة أيام حكمه يتبع سياسة سنية بالكامل ،فقرب السنة على حساب الشيعة ، فكان ابن العطار [٢] متحكماً في أمور الدولة منذ سنة (٥٧٣هـ / ١١٧٧م)، وكان شديداً على الشيعة ، وعلى الرغم من نفوذ السنة الكبير ، الا انه كان هناك انقسام في القصر بين كبار الموظفين :السنة ويرأسهم ابن العطار ، والشيعة ويرأسهم ابن الصاحب.

وكان المستضيء وبدعم من السنة يرغب في أن يكون ولي عهده أبو منصور هاشم . أما الشيعة فقد أرادوا أبا العباس ، وتمكن أهل السنة في البداية من إثارة المخاوف من ولده أبي العباس ، حتى مال إلى أخيه، ولكن ذلك لم يدم طويلاً ، حيث عاد وخطب بولاية العهد لولده أبي العباس ، وكان لزوجة والده السيدةبنفشة أثرٌ كبير في الخطبة له ، فقد أشارت على المستضيء بذلك قائلة : "الله الله تعدل عن أبي العباس ".[٣]

هذه الظروف انعكست على سياسة الخليفة الناصر بعدتوليته الحكم ، فقمع المعارضين وعلى رأسهم ابن العطار ، فقبض عليه بعد أسبوع من خلافتة ثم قتله ، وفي الوقت نفسه قرب ابن الصاحب ورفع من شأنه ، كجزء من رد الجميل على موقفه .

فارتفع شأنه حتى دُعي له على المنابر بعد الخليفة .[٤]ولكن وجد الناصر أن ابن الصاحب قد أستغل تكريمه له وحظوته عنده استغلالاً اساء به لشخص الخليفة ، وانتقاصاً من قدرته فلما وجد الناصر نفسه قد أحكم قبضته على شؤون الحكم ، رأى ان اتساع نفوذ ابن الصاحب يتعارض مع

---

١ - أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير ، رسالة أعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير ، دار الهلال ، بيروت ،١٩٨١،ص١٨١ ؛ مصطفى جواد ، " الناصر لدين الله " بحث منشور مع مجموعة للمؤلف تحت عنوان في التراث العربي ، قدم لها وأخرجها محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، بغداد ،١٩٧٥،ج١،ص٢٤.

٢ - هو ظهير الدين أبو بكر منصور بن العطار ، تولى نيابة الوزارة في عهد المستضيء ، ولما كانت البيعة للناصر ، تولى أخذها مع ابن الصاحب . أبو الفرج غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ، (د.ت)،ص٣٧.

٣ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ،ج٨،ق١،ص٣٥٤؛يحيى أحمد عبد الهادي ، الفتوة في العصر العباسي الاخير (٥٧٥-٦٥٦هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت للجامعة الاردنية ،١٩٩٢م،ص٢٠.

٤ - ابن جبير ، المصدر السابق ،ص١٨١، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي ، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي ، عالم الكتب، القاهرة ، ١٩٦٨،ص١١.

السياسة التي وضعها لإعادة النهوض بالخلافة من جديد ، فتخلص منه ، وكان ذلك سنة (٥٨٣هـ[١]/١١٨٧م).

ولم تعد ولاية العهد مشكلةفي هذه الفترة ، كما كانت في الفترات السابقة ، فبعد أن أعاد الناصر الأمور إلى نصابها ، وضرب على كل يد تحاول التدخل في شؤون الحكم ، نجده يعهد بولاية العهد لولده أبي نصر محمد سنة (٥٨٥هـ[٢]/١١٨٩م) ، ولكنه عدل عنه سنة (٦٠١هـ[٣]/١٢٠٤م)، وأمر بالخطبة لابنه الأصغر أبي الحسن علي [٤]، ورغم وفاة ولي العهد الجديد إلا ان المنصب بقي شاغراً حتى سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م)، عندما اعاد الخطبة من جديد لأبي نصر محمد [٥].

بعد وفاة الناصر بويع لولده أبي نصر بالخلافة ، ولقب بالظاهر بأمر الله وكان ذلك يوم عيد الفطر سنة (٦٢٢هـ[٦]/١٢٢٥م).

لم يعمر الظاهر طويلاً ، فقد توفي في منتصف رجب من سنة[٧] (٦٢٣هـ /١٢٢٦م) ، وبعد وفاته تولى الخلافة ابنه أبو جعفر حيث بايعه اخوته وبنو عمه وجميع رجال الدولة في

---

١ - الغساني، المصدر السابق ، ص٢٠٢.

٢ - ابن الاثير ، المصدر السابق ج١٢، ص٤٢، أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، حققه وعلق عليه بشار عواد معروف ،٢ج، مطبعة دار السلام بغداد، ١٩٧٤، ج١، ص١٤٨؛ الذهبي ، مختصر ، ج١،ص١٩.

٣ - وقيل أن الأمير ابا نصر محمد قد تنازل عن ولاية العهد ، وكتب بذلك ورقه بخطه بدار الوزير ابن مهدي العلوي ، يطلب فيها من الخليفه اعفائه من هذا المنصب، وشهد على ذلك الفقهاء والقضاه .ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ،ص٢٠٦.

٤ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٤٨ ؛ تاج الدين أبو طالب علي بن انجب المعروف بابن الساعي ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، تحقيق مصطفى جواد ، المطبعه السريانيه الكاثوليكيه ، بغداد ١٩٣٤، ج٩،ص١٤٤؛أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون،١٤ج،ط٣ ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧،ج١٣،ص٤٥.

٥ - الذهبي ، مختصر ،ج٣،ص١١٨؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٣٤٩ .

٦ - ابن الكازروني ،مختصر ،ص٢٥٦؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق بشار معروف والشيخ شعيب الارناؤوط وصالح عباس ، أربع طبقات، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٨،الطبقة ٦٣، ص ص٢-١١.

٧ - ابن الكازروني ، مختصر ،ص٢٥٦؛ الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٥.

رجب سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) ، وتلقب بالمستنصر بالله[١] ، وكان عمره يوم توليه الخلافة خمسة وثلاثين عاماً [٢] .

ولم يباشر المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) ، الذي جاء بعده من أمور الخلافة شيئاً معتمدا على الحاشية ، وقضى معظم أوقاته باللهو ومغاشرة النساء ، وعرف بشغفه بالصيد وولعه بمجالس الغناء[٣] .

استمر المستعصم في الخلافه إلى أن قتل سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، على يد المغول بعد سقوط بغداد ، فكان بذلك آخر خلفاء بني العباس الذين حكموا بغداد [٤].

السياسة الخارجية للخلافة العباسية في الفترة (٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٧٩-١٢٥٨م)

أ- مع السلاجقة في بلاد فارس

وفي عام (٥٥٢هـ/١١٠٨م)، تخلصت الخلافة العباسية ، من آخر محاولة للسلاجقة لاستعادة نفوذهم في بغداد على يد الخليفة المقتفي بالله ، فبعد أن حاصر السلطان محمود بغداد في هذه السنة محاولاً دخولها ، إلا أن استعدادات الخليفة حالت دون نجاح ذلك الحصار [٥] .

ورغم هذه النتيجة بقي السلاجقة في بلاد فارس يمثلون خطراً على الخلافة العباسية ، فكان كل سلطان سلجوقي يحاول استعادة مكانة السلاجقة القديمة في بغداد كي يكسب حكمه الصفة الشرعية من جهة ، ويتخلص من منافسيه من جهة أخرى .[٦]

---

١ - ابن الكازروني ، مختصر ، ص٢٨٥.

٢ - عبد الهادي ، المرجع السابق ،ص٢١.

٣ - قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند ، ١٩٥٤ ،ج١،ص٢٥٥؛ محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير (٥١٢-٦٥٦هـ)، مطبعة القضاء ، النجف،١٩٧٠،ص٨١.

٤ - الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٩١؛يحيى عبد الهادي ، المرجع السابق ،ص٢٢.

٥ - صدر الدين أبي الحسن علي الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ،أعتنى بتصحيحه محمد أقبال ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٤،ص١٣٤.

٦- محمد بن محمد بن حامد العماد الاصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٨،ص١٣٩؛ عبد النعيم حسنين، سلاجقة أيران والعراق ، مطبعة السعادة ، القاهره ، ١٩٧١، ص١٣٩.

وكانت آخر محاولة لتحقيق هذه الغاية محاولة السلطان طغرل الثالث ، فقد أرسل إلى الخليفة الناصر رسولاً سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، يطلب منه أن يقوم الديوان بعمارة دار السلطنة[١] ليسكنها إذا وصل إلى بغداد. ولكن كان رد الخليفة صارماً على تلك الرسالة تمثل بهدم دار السلطنة حتى سويت بالأرض [٢].

كان طغرل الثالث قبل ذلك تحت وصاية عمه قزل أرسلان ، ولما كبر حاول التخلص من نفوذ عمه [٣] ،فارسل قزل إلى الخليفة يطلب المساعدة على تمرد ابن أخيه" ويبذل من نفسه الطاعة والتصرف على ما يختارونه"[٤].

وقد استجاب الناصر لطلبه وأرسل جيشاً بقيادة وزيره جلال الدين بن يونس سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م)، ولكن كان وصوله قبل وصول قزل أرسلان ، فدارت بينهم وبين قوات طغرل الثالث معركة كان نتيجتها هزيمة عسكر الخليفة ، وأسر الوزير ابن يونس [٥].

وأستمرت الخلافة تشجع قزل أرسلان وتثير المتاعب لطغرل حتى ملّ الحرب ، وانهكت قوته ، فهرب من الميدان ، وأعتزل الحياة[٦] عند ذلك أتجه قزل أرسلان إلى أذربيجان فهاجم طغرل ، وأجبره على تسليم نفسه في قلعة قرب تبريز ، وكان لهذه النتيجه أن خلع الخليفة على قزل أرسلان ولقبه " الملك الكريم والغازي الرحيم "[٧] . وبعد أن مكث طغرل في السجن بضع سنين ،تمكن أتباعه من اخراجه، وقتل قزل أرسلان سنة (٥٨٨هـ[٨] /١١٩٢م) .

---

١ - هي الدار التي كان يقيم بها سلاطين السلاجقة في بغداد وتقع في محلة المخرم . شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩،ج٥،ص٧١.

٢ - ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص٥٦٠ .

٣ - الحسيني ، المصدر السابق ، ص١٧٦؛ ابن الاثير ، المصدر السابق ،ج١١ ،ص٥٦٠.

٤ . المصدر ين السابقين والصفحات ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٢٠٢.

٥ - الحسيني ، المصدر السابق، ص١٧٧؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٨٧؛؛ الغساني ، المصدر السابق، ص٢٠٤.

٦ - محمد بن علي بن سليمان الراوندي، راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، (بالفارسية) عربه ابراهيم الشواربي واخرون، دار القلم، القاهرة ، ١٩٦٠ ص ٤٩٣؛ الحسيني المصدر السابق ، ص ١٧٩.

٧ - الراوندي ، المصدر السابق ، ص ٤٩٣.

٨ - الحسيني ، المصدر السابق ، ص ١٨١ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص٧٦؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص ٢١٨.

عند ذلك قرر الخليفة الناصر أنه لا بد من الاتصال بالخوارزميين الذين ظهروا حديثا على الساحة السياسية لمواجهة خطر السلاجقة فأرسل الناصر إلى خوارزم شاه علاء الدين تكش يطلب منه قتال السلاجقة مقابل تفويضه حكم البلاد التي يفتحها [١].

لقد كانت هذه الرسالة من الخليفة العباسي بمثابة الأعتراف بهم وبشرعية وجودهم ، فلم يتأخر علاء الدين تكش في الأستجابة ، حيث سار بجيشه للقاء طغرل الثالث ، فالتقيا بالري سنة (٥٩٠هـ[٢]/ ١١٩٤م) ، فدارت بينهم معركة ، انتهت بمقتل طغرل الثالث [٣].

وبذلك انتهت دولة السلاجقة في فارس ، وحلت محلها الدولة الخوارزمية التي صار الاتصال بينها وبين الخلافة مباشرا.

ب- مع الدولة الخوارزمية

يبدو أن الخوارزميين رسموا لدولتهم سياسة خاصة قائمة على التوسع على حساب الدول المجاورة لهم والتي أخذ الضعف يدب فيها فبعد أن استولوا على أملاك السلاجقة أصبح الباب مفتوحا أمامهم للسيطرة على كثير من المناطق التي تخضع للخلافة العباسية.

نال خوارزم شاه علاء الدين تكش رضى الخليفة الناصر بعد القضاء على السلاجقة ، فأرسل له الخلع مع وزيره ابن القصاب [٤]، ولكن خوارزم شاه، لم يستقبل علاء الدين رسول الخليفة ، ولم يلبس خلعة الخلافة [٥] ، وكان ذلك اشارة منه إلى معاداة الخلافة، وإعلان العصيان لأوامر الخليفة.

ونتيجة لهذا الموقف كان لا بد للخليفة من التحرك عسكريا ضد علاء الدين خوارزم شاه، أرسل الخليفة جيشاً بقيادة سيف الدين طغرل مقطع بلاد اللحف[٦] سنة (٥٩١/ ١١٩٤) ،

---

١ - ابن الاثير، المصدر السابق، ج١٢ ، ص ١٠٧ ؛ سبط من الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص ٤٤٤ ؛ فاروق عمر فوزي ، النهوض العربي في العراق والاقاليم المجاورة في العصور العباسية المتأخرة ، منشورات جامعة بغداد ، ١٩٨٩، ص ١٨١. G.Marcais ,"Al-Nasir Li-Din Allah", E.II

٢ - ابن الاثير، المصدر السابق ، ج١٢ ، ١٠٨.

٣ - المصدرنفسه، ج١٢ ،ص١٠٨ ؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ج٨ ، ق٢، ص٤٤٤ ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، جـ١٢، ص١٠٨..

٤ - ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٠٨.

٥ - الراوندي ، المصدر السابق ، ج٢٢ ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٢، ص١٠٨؛سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٤٤٥.

٦ - بلاد اللحف : صقع من نونخي بغداد ، ويسمى بذلك لأنه في لحف جبال همذان ونهاوند ومنه

استطاع الدخول إلى اصفهان بعد أن تركها الخوارزميين[١] وفي نفس العام أيضاً أرسل الناصر الدين الله جيشاً اخر بقيادة وزيره ابن القصاب استولى بواسطته على خوزستان وهمذان والري[٢]

وكان لاوضاع دولة علاء الدين خوارزم شاه غير المستقرة ، بالأضافة إلى عدم قدرته على السيطرة على المناطق التي استولى عليها ، وموقف الخلافة الصارم تجاه تصرفاته ، أن حاول تحسين العلاقة مع الخلافة[٣].

لم يدم صفو العلاقة بين الطرفين طويلا، فما ان وجد علاء الدين خوارزم شاه نفسه قد أحكم سيطرته على بلاده حتى أرسل في سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م) ، إلى الخليفة الناصر يطلب منه اعادة بناء دار السلطنة التي كانت للسلاجقة تمهيدا لقدومه إلى بغداد، وأن يكون الخليفة تحت تصرفه[٤] ، فما كان من هذا الموقف الا أن أغضب الخليفة [٥] ، فرد رسول خوارزم شاه بلا جواب[٦] ، ولم يكتف الخليفة بذلك بل تحرك عسكرياً من جديد رداً على هذا الخروج عن سلطته ، فأرسل في سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) ، أبا الهيجاء السمين [٧] فضم همذان، ولكن سوء سياسته واعتقاله جماعة من الأمراء الذين اعلنوا الطاعة للخليفة ، ادى ذلك إلى فشل الحملة [٨].

عند ذلك رأى الخليفة انه لا بد من الاستعانة بالقوى المجاورة للخوارزميين ، فبعث إلى السلطان غياث الدين الغوري سلطان الهند وغزنه يأمره بقصد بلاد الخوارزميين لمنعهم عن قصد بغداد ، فأرسل غياث الدين إلى سلطان الخوارزميين يتهدده بقصد بلاده واخذها[٩].

البندجيين . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٤.

١ - ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٢، ص١١٧؛ بدري محمد فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير (٥٥٢- ٦٥٦هـ / ١١٥٧- ١٢٥٨م) ،ط١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٣ ، ص ٦١ .

٢ - ابن الاثير، المصدر السابق ، ج١٢، ص ١١٩.

٣ - نافع توفيق العبود ، الدولة الخوارزمية ، نشأتها وعلاقتها مع الدول الإسلامية . نظمها العسكرية والادارية (٤٩٠- ٦٢٨ هـ / ١٠٩٧ - ١٢٣١م) ،ط١،مطبعة الجامعة ، بغداد، ١٩٧٨ ، ص ٨٤.

٤ - الذهبي ، العبر ، ج٣ ص ١٠٥ ؛ السيوطي ، تاريخ ،ص ص٣٦٣-٤.

٥ - الذهبي ، العبر ، ج٣، ص١٠٥.

٦ - المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٠٥ ؛ الدولة الخوارزمية، ص٨٦.

٧ - أبو الهيجاء السمين ويلقب بحسام الدين ، كان من اكابر امراء مصر ، وكانت القدس اقطاعاً له ، فلما ملك العادل والعزيز مدينة دمشق من الافضل اخذا القدس منه فذهب لاجئا إلى بغداد . ابن الاثير ، المصدر السابق ،ج١٢، ص ١٢٥.

٨ - المصدر نفسه ، ج١٢ ص ١٢٥.

٩ - المصدر نفسه ، ج ١٢ ص ١٣٥؛ هوزمي ، المرجع السابق ، ص ١٧١.

أمام هذا التطور السياسي ، وجد الخوارزميون انفسهم مضطرين إلى تحسين علاقتهم مع الخلافة من جديد ،وقد وافقت الخلافة على هذه الخطوة، ولتأكيد حسن النوايا تجاه الخلافة ارسل خوارزم شاه علاء الدين اخاه إلى بغداد لاظهار الطاعة والاعتذار عن طلبه الخطبة [١] ، ولما وصل إلى بغداد بولغ في احترامه وخلع عليه ، وعاد ومعه الخلع لاخيه [٢].

في رمضان سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م)، توفي خوارزم شاه علاء الدين تكش وقبل وفاته بعث إلى ابنه قطب الدين يخبره بحاله ويستدعيه لتولي الحكم[٣] ، فوصل قطب الدين بعد موت والده ، فبايع له امراء والده بالملك[٤] ولقبوه " علاء الدين" [٥] لقب والده .

وخلال النصف الاول من حكم خوارزم شاه علاء محمد الذي امتد من (٥٩٦-٦١٧هـ/١١٩٩-١٢٢٠ م) ، سادت علاقة طيبه بينه وبين الخلافة .

هذه العلاقة الودية لم تلبث أن تبدلت بتغير الاهداف والأطماع ، وخاصة عندما طلب خوارزم شاه محمد الخطبة في بغداد سنة (٦١٤هـ [٦] ١٢١٧م)، فقد أرسل يقول :[٧] "كن معي كما كانت الخلفاء قبلك مع سلاطين السلجوقية كألب أرسلان وملكشاة ، وأقربهم لنا عهداً السلطان سنجر فتكون بغداد والعراق لي ، ولا يكون لك إلا الخطبة " ؛ إلا أن الناصر أبا ذلك وأنكره لتعارضه مع سياسته الأستقلاليه ودعوته إلى اعادة أمجاد الخلافة من جديد [٨] .

تعمد خوارزم شاه محمد إلى اختلاق المبررات لشن حرب على الخليفة ، ومن تلك المبررات التي قدمها ليضفي الشرعية على غزوة بغداد أن الخليفة الناصر قد عزل ولي عهده

---

١ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج ٩، ص ١٩.

٢ - المصدر نفسه، ج٩، ص١٩ ؛ فهد ،تاريخ العراق ، ص٦٣.

٣ - ابن الاثير ، المصدر السابق ج ١٢، ص ١٥٦ ؛ عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتب العلمية،بيروت ، ج ٥، ص ١٠ ؛ الغساني ، المصدر السابق ،ص ٢٥٥.

٤ - ابن الاثير، المصدر السابق ، ج ١٢، ص ١٥٦.

٥ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٥،ج٢٧،ص٢٢٩.

٦ - أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، طبقات الشافعية ، تحقيق محمد محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، مطبعة عيسى البابي ، القاهره ، ١٩٦٤-١٩٦٨،ج١،ص٣٣٠.

٧ - فوزي ، المرجع السابق ، ص١٧٢.

٨ - الصفدي ، نكت ،ص٢٣٥.

الأمير أبو نصر محمد . فلما أسقطت الخطبة له في سائر الآفاق ، رفض خوارزم شاه محمد إسقاطها قائلاً [١]:" قد صح عندي توليته ولم يثبت عندي موجب عزله ومن المبررات أيضاً أن الخليفة الناصر قد أرسل جماعة من الاسماعيلية لقتل شريف مكه الشريف قتاده ولكنهم أخطاؤا فقتلوا ابن عمه [٢] .

كما أعلن أنه عثر على وثيقة في غزنه تثبت تحريض الخليفة للغوريين على مهاجمة بلاده [٣]،فما كان منه إلا أن يستفتي أئمة بلاده بأن الأمام الذي يقوم بمثل هذه الأعمال يجب ان يعزل[٤].

على أثر ذلك قام خوارزم شاه محمد بعزل الخليفة العباسي ، ونصب خليفة علوي من ترمذ يُدعى علاء الملك الترمذي[٥]، ويعلق الدكتور عبد المنعم رشاد [٦] على ذلك أن خوارزم شاه كان يبغي من وراء ذلك حصوله على تأييد البلاد المجاورة ، ومحاولة منه لزعزعة مركز الخلافة في بغداد وذلك لأن نسبة الشيعة في بغداد كانت كبيرة آنئذ.

أستعد خوارزم محمد لغزو بغداد وأتجه اليها سنة (٦١٤هـ[٧]/١٢١٧م)، وفي طريقه إلى بغداد وصل رسول الخليفة إليه وهو الشيخ شهاب الدين السهرودي [٨]، وحاول أن يقنعه بالعودة إلى طاعة الخليفة ولكنه لم يفلح ، وأصرّ على المضي إلى بغداد [٩].

---

١ - الجويني ، تاريخ جهانكشاي (بالفارسية) ، نقلاً عن العبود ، الدولة الخوارزمية ،ص٩٦.

٢ - خواندمير ، حبيب السير (بالفارسية)، نقلاً عن العبود ، الدولة الخوارزمية ،ص٩٨.

٣ - خواندمير ، حبيب السير (بالفارسية)، نقلاً عن العبود ، الدولة الخوارزمية ،ص٩٨.

٤ - عفاف سعيد صبرة ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، دار الكتاب الجامعي ، القاهره ، ١٩٨٧، ص١٤٠.

٥ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢، ص٥٨٢؛ أبو شامه، الذيل ، ص١٠ - ص١؛ كمال الدين عبد الرزاق بن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، دمشق (١٩٦٢-١٩٦٧) ، ج٤ ، ق٢ ، ص ١٠٨٥ .ولكنه يسميه علا الدين القندري.

٦- Abedulmunim Rashad , The Abbasid cal iphate (575/1179-656/1258). Universety of london , ph.D.thesis, 1963 ,p.50.

٧ - الذهبي ، العبر، ج٣ ، ص١٦١ ؛ النويري ، المصدر السابق ،ج٢٧،ص٢٣٩.

لكن هذا الهجوم لم تكن نتيجته إلا الفشل ، وذلك أنه لما وصل إلى عراق العجم وجد اموره مضطربة بعد مقتل نائبه فيه (١) ، كما أن الخليفة الناصر أتخذ حملة من الإستعدادت العسكرية لحماية بغداد ، ففرق السلاح وصرف الأموال وأقام المتاريس حولها (٢)، وقد لعب المناخ الاثر الأكبر في افشال الهجوم فما أن سار خوارزم شاه عن همذان حتى هبت عواصف ثلجية استمرت ثلاثة أيام أدت إلى هلاك معظم دوابه ، وتعطيل حركة الجيش (٣) ، مما اضطره إلى العودة من حيث اتى .

* اتهام الناصر بمراسلة المغول

فسر بعض المؤرخين الإرتداد السريع لخوارزم شاه محمد بان بلاده تعرضت لخطر من قبل القبائل المجاورة وخاصة قبائل المغول ، واتهموا الخليفة الناصر أنه كان وراء تلك التحركات، واول من أورد هذه التهمة من مصادرنا هو ابن الاثير . نقلا عن العجم حيث قال(٤):" وأن كان ماينسبه العجم أليه صحيحاً من انه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك ، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم "، وقد أورد هذه التهمه دون تمحيص مؤرخون أخذوها عن ابن الأثير ، أمثال : ابن الوردي(٥) ، والغساني (٦)و المقريزي(٧) ،وابن أبي عذيبة (٨).

ونحن أمام هذه التهمه الخطيرة لابد من التوقف عندها لكشف الحقيقة ، في البداية نرى أن هذه التهمة لم ترد في المصادر الأخرى المعاصرة للناصر وعلى رأسهم النسوي، الذي كان أول من يجب أن يتضمنها كتابه، وخاصة أنه يؤرخ للسلطان جلال الدين منكبرتي الخوارزمي .

٨-عبدالله بن فتح الله البغدادي ، التاريخ الغياثي ، صورة عن المخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ، رقم ١٧/ تاريخ ، ورقة ١١٨ أ.

٩ - النسوي ، المصدر السابق ، ص٥٢.

١ - أبو شامة ، الذيل ، ص ١٠٠.

٢ - ابن الاثير ، المصدر السابق ،ج ١٢ ، ص ٣١٧ ؛ النسوي ،المصدر السابق ، ص ٦٤.

٣ - سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٨٢ ؛أبو شامة ، الذيل ، ص١٠٠ .

٤ - الكامل، ج١٢،ص٤٤٠.

٥ - تاريخ ابن الوردي ، ج٢،ص٢١١.

٦ - العسجد،ص٤٠٨،ويصرح بأنه نقلها عن ابن الأثير قائلاً :" وقال ابن الأثير. "

٧ - السلوك ، ج١ ،ق١،ص٢١٨.

٨ - أنسان العيون ،مخ، ورقه ٤أ.

ولم يورد الرواية أيضاً مؤرخون معاصرون أو قريبون من الفترة أمثال : سبط بن الجوزي ، وابن الدبيثي وابن شداد وأبو شامة وغيرهم .

كما أنه من الملاحظ في رواية ابن الأثير الارتباك والشك في الرواية حيث يقول :" وإن كان " فهو ليس متأكد من الرواية هذا من جهة ، أما من جهة أخرى يسند هذه الرواية إلى العجم وهذا دليلاً على ضعف الرواية.

ويعلل الدكتور محمد القزاز [١] هذه التهمه "أنها ناجمة عن تقصير الخليفة الواضح وعدم تقديره مسؤليته كخليفة للمسلمين . ولكن إذا أخذنا بعين الأعتبار أن الغزو المغولي للعالم الأسلامي كان جزء من حركة واسعة تستهدف اقامة امبراطورية مغولية عالمية نجحت فعلاً في أيام مؤسسها جنكيز خان بإحتلال الصين الشمالية واواسط آسيا وبلاد فارس ، تبين لنا أن غزوهم للدولة الخوارزمية والعالم الاسلامي لايمكن أن يعود إلى تحريض الخليفة أو سواه [٢].

وأخيرا لابد من الأشارة إلى العلاقة غير الطيبة بين ابن الاثير والخلافة العباسية، وخاصة أنه كان من الموالين لأتابك الموصل[٣].

وفي سنة (٦١٧هـ / ١٢٢٠م) ، خلف جلال الدين منكبرتي والده خوارزم شاه محمد الذي بدأ حكمه بمكافحة المغول ؛ واستطاع ان ينتصر على المغول في بعض المعارك . وبينما كان الموقف يحتم عليه خلق روح من المودة مع الخلافة وتكوين حلف إسلامي لمواجهة المغول، نجده يحاول تكوين حلف ضد الخلافة العباسيه[٤].ولكن بعد فشله في تكوين هذا الحلف ، قرر أن يقوم وحده بالهجوم ، فتحركت قواته سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)[٥].

---

١ - الحياة السياسية ، ص٢٣٠.

٢ - العبود ، الدولة الخوارزمية ،ص١٠٥.

٣ - فوزي ، المرجع السابق، ص١٨٦-ص١٨٧.

٤ - النسوي، المصدر السابق ، ص٢٠٩؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ،ج٨،ق٢،ص٦٣٤ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج١٣ ، ص١١٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٢١٦ ؛ العبود ، الدولة الخوارزمية ، ص١٠٦.

٥ - ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٤٢٦.

عن الشعور بالفرح بذلك (١) ، وبهذه المناسبة أيضاً أرسل الخليفة المستضيء بأمر الله الخلع إلى نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي(٢) .

ومع الأيام ازدادت العلاقة ما بين الشام ومصر من جهة و العراق من جهة أخرى قوة ومتانة ، وأبرز صورة لهذه العلاقة نراها بعد أن أعتلى الناصر لدين الله سُدة الحكم (٣) ، ففي اليوم الذي بويع به الناصر لدين الله كان رسول صلاح الدين الشيخ ضياء الدين الشهرزوري في بغداد ، فقام على الفور بمبايعة الناصر ، وأرسل بذلك إلى صلاح الدين (٤).

ليس من الصعب تفسير هذه العلاقه القويه بين الطرفين ، فقد قامت العلاقه على أساس المصالح المشتركه ، فصلاح الدين كان بحاجة إلى دعم الخلافة العباسية حتى لو كان ذلك الدعم اسمياً ، أما من جانب الخلافة العباسية فقد نظرت بأرتياح إلى جهود صلاح الدين في استئصال جذور التشيع بعد إزالة الدولة الفاطمية ، وتوطيد أركان الدعوة من جديد للخلافة العباسية في مصر (٥).

كان أول إتصال بين الخلافة والأيوبيين بعد أن تمت البيعة للخليفة الناصر سنة (٥٧٧هـ/١١٨٣م) ، ففي هذه السنة توفي الملك الصالح أسماعيل بن نور الدين صاحب حلب وكان قد أوصى بأن تسلم حلب إلى ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل ، ولكن صلاح الدين رأى في ذلك خطراً يهدده ، فقرر الاستيلاء على حلب ، فكتب إلى الخليفة يستأذنه في ذلك(٦).

---

١ - ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج١١ ،ص٣٧١ ؛ ابن الفرات ، المصدر السابق ،ج١ ،ص٢٦٦.

٢ - ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج١١ ، ص٣٧١ ؛ شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، ٧ج ،دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢،ج٦،ص١٥٦.

٣ - صالح خمارنه ، "وقفة عند الخليفة الناصر لدين الله (٥٥٣/٦٢٢هـ) " بحث ضمن مجموعة بحوث مهداة إلى عبد الكريم غرايبه ، عمان ،١٩٨٨،ص١٤٧.

٤ - أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ، الجزء الثاني ،طبعة القاهرة ،١٨٧٠م،ج٢،ص١٩.

٥ - سعيد عبد الفتاح عاشور ،"ظل الخلافة العباسية في الحروب الصليبية " بحث ضمن مجموعة بحوث للمؤلف منشورة تحت عنوان بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٧،ص٤٧٢.

٦ - أبو شامة ،الروضتين ، ج٢، ص ص ٢٢-٣.

وبعد أن حاصرها لمدة ثلاثة أيام كانت عينه تتجه صوب الشرق نحو الموصل (١) . ففك الحصار واتجه لمحاصرة الموصل (٢) . وقد أرسل صلاح الدين بذلك إلى الخليفة يشرح له أسباب الحصار، بأن أهل الموصل قد تعاهدوا مع الصليبيين ضده (٣).

كما أرسل عز الدين مسعود إلى الخليفة الناصر يطلب منه المساعده في أبعاد صلاح الدين عن الموصل(٤)، فأرسل الخليفة إلى صلاح الدين الشيخ شهاب الدين السهروردي وبشير الخادم بالصلح (٥) ، إلا أن تلك المصالحة لم تنجح بسبب اختلافهما على شروط الصلح(٦) ، ولكن صلاح الدين قرر رفع الحصار بعد مدة نتيجة لحصانة المدينة (٧). وعاد صلاح الدين مرة أخرى إلى حلب ،ودخلها بعد أن تم الصلح بينه وبين صاحبها ، فكتب صلاح الدين بهذا الصلح إلى الخليفة العباسي (٨).

بعد أن سيطر على حلب عاد إلى حصار الموصل ، ولكنه لم يستطع دخولها ، فتركها مرة أخرى (٩) ، ثم عاد من جديد لحصارها ، وانتهى الحصار بالصلح بين الطرفين بأن تسلم شهرزور وقلاعها لصلاح الدين وتكون له الخطبة والسكة في الموصل (١٠).

كان من ثمرة جهود صلاح الدين في تحقيق الوحدة أن لقي الفرنج الهزيمة على يده في ربيع الآخر سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، في حطين ، وبهذه المناسبة ارسل صلاح الدين الرسل

---

١ - بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد ، النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهره ، ١٩٦٤ ،ص٥٦؛ أبو شامة ، الروضتين ،ج٢ ،ص٣٢.

٢ - المصدر نفسه ، ج٢ ،ص٣٣ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١١٩.

٣ - الايوبي ، المصدر السبق ، ص١٤٤ ؛ أبو شامة ، الروضتين ؛ وينظر سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهره ، ١٩٨٢ ،ج٢ ، ص٧٤٨.

٤ - ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج١١ ، ص٤٨٦ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص٣٣.

٥ - ابن واصل ، المصدر السابق ،ج٢ ،ص ١٥٥ ؛ رشيد الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي (٥٢١-٦٣١هـ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٧٠،ص١٥١.

٦ - عماد الدين الأصفهاني الكاتب ، البرق الشامي ، تحقيق فالح صالح حسين،ج٥، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ،١٩٨٧،ج٥ ،ص ص ٣٧-٨ .

٧ - المصدر نفسه ،ج٥ ؛ ص٣٩ ؛ القزاز ، المرجع السابق ، ص٢٦٠.

٨ - أبو شامة ، الروضتين ،ج٢ ،ص٤٢؛عبد الله سعيد الغامدي ، صلاح الدين والصليبيون ، المكتبة الفيصلية ،مكه المكرمة ، ١٩٨٥، ص٨٥.

٩ - ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ص٥١ - ٢ ؛ المقريزي ، السلوك ،ج١،ق١ ،ص٨٤.

١٠ - ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٧١ ؛ ابن العماد ، المصدر انسابق ، ج٤ ، ص٢٦٨.

بالبشائر للخليفة الناصر (١) ، ولكن هذه الرسالة العظيمة ارسلها مع شاب بغدادي كان قد هاجر إلى الشام من الفقر ، فلما وصل إلى بغداد لم يقابل من الخليفة كعادة رسل صلاح الدين رغم عظم البشارة (٢) ، وقد استغل جماعة من أعداء صلاح الدين في ديوان الخلافة ، وحاولوا افساد العلاقة بينه وبين الخليفة الناصر وقالوا : " انه اساء الادب لإبقاء أسمه بالملك الناصر مضاف للإسم الأشرف الذي هو الأمام الناصر "(٣).

ولما علم صلاح الدين بذلك حاول أن يظهر الحقيقة ، ويبرئ نفسه ، ويؤكد ولاءه للخليفة، فأرسل إلى الخليفة رسالة يوضح فيها موقفه مما نسب اليه ، " وإما النعت الذي أنكر عليّ فهذا من عهد الأمام المستضيء بنور الله أمير المؤمنين ، والآن كل ما يشرفني به أمير المؤمنين من إسمه فهو إسمي الذي أتشرف به وأعرف "(٤).

أن هذه الواقعة بالذات توضح – كما يقول الدكتور عبد الفتاح عاشور – مدى حرص الطرفين الخلافة العباسية وصلاح الدين على إستمرار حسن العلاقات بينهما (٥).

ولما فتح صلاح الدين بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/١١٨٨م) ، أرسل إلى الخليفة الناصر ضياء الدين الشهرزوري يحمل البشرى بهذه المناسبة ويعلمه بالخطبة له على منبر المسجد الأقصى (٦).

وفي عام (٥٨٧هـ/١١٩١م) ، حاصر الصليبيون مدينة عكا ، فلم يجد صلاح الدين بُداً من دعوة حكام المسلمين في المشرق والمغرب لمشاركته في عملية الجهاد ، فأرسل إلى الخليفة الناصر يطلب المساعدة (٧). ولقد كانت المشاركة بسيطة لا تليق بمركزه كخليفة للمسلمين فقد ارسل مع النقيب فخر الدين نقيب مشهد باب التبن حملين من النفط ، وتوقيع بعشرين ألف دينار تقترض على الديوان العزيز من التجار(٨).

---

١ – ابن واصل ، المصدر السابق ،ج٢،ص٢٤٠.

٢ – المصدر نفسه ، ج٢ . ص٢٤٨

٣ – المصدر نفسه ،ج٢ ، ص ٢٤٩ .

٤ – العماد الكاتب الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ، بيروت ،(د ت) ،ص ص٢٧٨-٩ .

٥ – ظل الخلافة ، ص٤٠٧.

٦ – سبط بن الجوزي ، امصدر السابق ، ج٢ ، ق١ ، ص ص٣٩٨ – ٩.

٧ – المقريزي ، السلوك ، ج١، ق١ ، ص١٠٣ ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ،ج٢ ، ص٨٢٦.

٨ – العماد ، الفتح القسي ، ص٣٦٥ ؛ أبن واصل ، المصدر السابق ،ج٢ ، ص٣١٤ ؛ ابن الفرات ، المصدر السابق ،ج١ ، ص٢٤١.

وقد قبل صلاح الدين المعونه من النفط ، أما المال فإنه إعتذر عن قبوله ، وارسل يشكر الخليفة على ذلك [١].

توفي صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م) ، فحاول ابنه الأفضل الذي تولى حكم مدينة دمشق أن تكون له الزعامة ، فأرسل لإبلاغ الخليفة بموت والده ، كما أرسل له عدة والده في الحرب ، وملابسه وهدايا نفيسة [٢].

وبعد أن وطد الخليفة الناصر اركان الفتوة في بغداد ، أراد أن ينتسب اليه فيها ملوك الاطراف، فارسل في سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)،إلى الملك العادل واولاده الخلع وسراويل الفتوه[٣].

ولم تقتصر العلاقة بين الطرفين على السياسة بل كانت هناك علاقات ثقافيه وعلمية فبعد أن ألف الخليفة الناصر كتاب روح العارفين ارسله إلى الشام مع شهاب الدين أبو حفص السهروردي ليقرأه الظاهر على امرائه[٤] .

وقد احتلت الخلافة في نفوس الايوبيين مكانة كبيرة ، وكانت كلمتها نافذة ، ومن شدة احترامهم للخليفة الناصر أنه إذا ذكر في مجالسهم " خفضوا أصواتهم هيبة وإجلالاً "[٥] ، بل أن الملك الظاهر كان إذا ذكر اسم الخليفة في مجلسه يقف أحتراماً له[٦].

كانت رسل العادل إلى الديوان الخلافي لا تنقطع حاملة الهدايا فتقابل بالترحاب والتقدير. وكانت شفاعة الخليفة عندهم مقبولة [٧] ، ففي سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ، ارسل كل من نور الدين أرسلان ومظفر الدين كوكبري صاحب أربل يطلبون من الخليفة الناصر أن يتدخل في الصلح بينهم وبين العادل الذي كان يحاصر سنجار[٨] ، فارسل اليه الناصر يأمره بالرحيل فرحل[٩].

---

١ - العماد ، الفتح القسي ، ص٣٦٥ ؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ،ج٨ ،ق١ ،ص٤٠١.

٢ - أبو شامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص٢١٢ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٥ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص١١٤ ؛ السيوطي ، تاريخ ، ص٣٦٣.

٣ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥١٣ ؛ أبو شامة ، الذيل ، ص٣٣.

٤ - ابن الفرات المصدر السابق ،ج١ ، ص ص١٦٧-١٦٨.

٥ - السيوطي ، تاريخ ، ص٣٦٠.

٦ - ابن الفرات المصدر السابق ،ج١ ، ص١٦٨.

٧ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ،ق٢ ، ص٥٨١ ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ،ج٩ ، ص٢٥٩.

٨ - الجميلي ، المرجع السابق ، ص١٨٧.

٩ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ٢٨٨

وقد استغل الصليبيون موت العادل فهاجموا دمياط سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) ، وعندما بلغ الخليفة الخبر ، أرسل الرسائل إلى ملوك الشام يطلب منهم الأسراع إلى نجدة الكامل بن العادل في مصر(١).

ولما توجه جلال الدين منكبرتي سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) ، لمهاجمة بغداد ارسل إلى السلطان المعظم عيسى ، يطلب منه الحضور على رأس جيشه للمشاركة في الزحف على بغداد ، فرفض المعظم هذا الطلب قائلا(٢) :" أنا معك على كل أحد الا الخليفة فانه إمام المسلمين".وقد ترك الموقف السلبي للخلافة من الخطر الصليبي أثر في نفوس الايوبيين وتجلى هذا في المحاورة التي جرت بين المعظم عيسى ويوسف بن الجوزي رسول الخليفة الذي قدم نائبا عن الخليفة الظاهر بأمر الله سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) ، ليصلح بين ابناء العادل ويقطع صلتهم بجلال الدين منكبرتي ، قال المعظم عيسى للرسول عندما اخبره باستعداد الخلافة لنجدته : " ما لكم عادة تنجدون أحد ، هذه كتب الخليفة الناصر عندنا ونحن على دمياط ،نكتب ونستصرخ به ونقول : انجدنا فيجيء الجواب بان قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا(٣) .

وبعد وفاة الكامل (٦٣٥هـ (٤) / ١٢٣٧م) ، تفرقت كلمة الايوبيين، ولم يستطع من بقي بعده منهم اعادة الوحدة إلى الاسرة مرة أخرى ، وانتهت هذه الفوضى السياسية عن تخلص الصالح ايوب بن الكامل من ابن عمه الناصر داود بعد اعتقاله ، ثم طلب من الخلافة أن تقره على ما بيده فاعترفت به(٥).

وفي سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦)، بعد أن شعر الملك الصالح ايوب بدنو أجله ، أوصى احد كبار قادة جيشه بتسليم البلاد إلى الخليفة المستعصم بالله ليرى فيها رأيه . وهذا يظهر الارتباط الوثيق بدولة الخلافة العباسية (٦) واعتبار هؤلاء السلاطين جندا تابعين لها ، ومما يؤيد هذا الارتباط

---

١ - جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهره ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهره ،١٩٦٣ ، ج٦ ، ص٢٢٢.

٢ - أبو شامه ، الذيل ، ص١٤٤ .

٣ - المصدر نفسة ، ص ١٤٧

٤ - المصدر نفسه ، ص١٤٧، ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦، ص ص٢٦٣ - ٤؛ القزاز ، المرجع السابق ، ص٢٤٧.

٥ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق، ج٨،ق٢ ، ص ص ٧٠٥ -٧.

٦ - مجهول، الحوادث، ص ص١١٤ - ٥ ؛ القزاز ، المرجع السابق ، ص ٢٧٧.

أيضاً ما جاء في لقب السلطانة شجرة الدر ام ولد الملك الصالح نجم الدين ايوب .التي تولت حكم مصر بعد قتل توران شاه ابن السلطان ايوب سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) ؛ وهي أول سلاطين المماليك حيث اظهرت انتسابها إلى الخليفة المستعصم وظهرت هذه النسبة في كتابة اسمها على السكة ،أو في الخطبة على المنابر وعلى الشكل التالي" المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين "(١).

د - علاقة الخلافة مع الاسماعيلية في آلموت

تعرف هذه الطائفة بالتاريخ الاسلامي بالحشاشين أو الحشيشية ، وقد جرأوا على التخلص من اعدائهم بالاغتيال(٢)، ويبدأ تاريخ هذه الطائفة باحتلال الحصن الجبلي آلموت على يد الحسن الصباح سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٢م) ، فقد نقل ابن الصباح حاضرته اليها ، واخذ ينشر دعوته من ذلك المكان(٣). وكان من اوائل ضحاياهم الوزير نظام الملك السلجوقي (ت٤٨٥هـ(٤) / ١٠٩٢م).

في سنة (٦٠٧هـ / ١٢١٠م) ، توفي سيد آلموت محمد الثاني ، فخلفه ابنه جلال الدين حسن (٦٠٧-٦١٧هـ /١٢١٠- ١٢٢٠م) ، وقد ابدى السلطان الجديد عدم رضاه من مذهب الاسماعيلية ، فقام برفض المبادىء الباطنية واعلن العودة إلى الاسلام واتباع تعاليم الشريعة الإسلامية (٥).

وبهذه المناسبة ارسل جلال الدين في سنة (٦٠٨هـ /١٢١١م) ، الىالخليفة الناصرلدين الله والى ملوك الاطراف يخبرهم بالعودة إلى الاسلام(٦) ، ثم بعث إلى اتباعه في حصون الشام

---

١ - المقريزي ، السلوك ، ج١ ق٢ ، ص ٣٤٢ ، ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦، ص٣٢٧.

٢ - دائرة المعارف الاسلامية ، مادة حشاشون .

٣ - ابن العماد،المصدر السابق ، ج٥ ، ص٨٤؛ ادوارد فون زامباور ، معجم الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، اخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود ، القاهرة ، ١٩٥١، ص ٣٢٩.

٤ - برنارد لويس ، الحشاشون فرقة ثوريه في تاريخ الاسلام ، تعريب محمد العزب موسى ، دار المشرق العربي ، بيروت ، ١٩٨٠، ص ص ٤٥-٦.

٥ - ابن الاثير ، الصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٩٨؛ ابن الفرات ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٢٠.

٦ - ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٢، ص٢٩٨ ؛ ابن الفرات ، المصدر السابق ٥ج١ ، ص١٢١ ؛ابن تغري بردي، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٠٣ ؛أبو محمد عبدالله بن اسعد عفيف الدين اليافعي، مراة الجنان ، وعبرة اليقظات ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر اباد الهند، ١٣٣٩هـ ، ج٤، ص٦٥ .

يلزمهم ان يفعلوا ما فعل في بلاده ، فاعلنوا الطاعة. واقاموا الاذان والجمعة [١] ، كما اعلنوا التزامهم بمذهب الامام الشافعي[٢].

وطلب جلال الدين من الخليفة ان يبعث له القضاة والفقهاء ليفقهونهم ويقضون بينهم[٣].

واصدر الخليفة مرسوما ببغداد يؤكد عودتهم إلى الأسلام ، وخوطب جلال الدين بالقاب الشرف ، واصبح يعرف باسم جلال الدين " المسلم الجديد " [٤].

وكانت فرحة الخليفة الناصر بهؤلاء المسلمين الجدد عظيمة ، إذ وجد في دخولهم في طاعته ما يزيده قوة على قوة ، كما وجد في زعيمهم حليفا يستغله في تنفيذ سياسته ، ويدفعه في وجه خصومه [٥] .

ولكن هذه العودة إلى الاسلام لم تدم طويلا ، ففي عام(٦١٨هـ / ١٢٢١م)، وثب جماعة من الفدائية على الامام جلال الدين فقتلوه، وتولى أمرهم ابنه علاء الدين الثالث ،الذي عاد بهم إلى ما كانوا عليه من سالف عهدهم [٦].

وكانت نهاية الاسماعيلية على يد المغول الذين اكتسحوا قلاعهم واحدة بعد الاخرى حتى سقطت ألموت سنة ٦٥٤هـ[٧]/ ١٢٥٦م).

هـ - علاقة الخلافة مع المغول

كان المغول يعيشون في منطقة صحراوية قاصية تقع في الشمال الشرقي من أسيا تعرف بهضبة منغوليا، وكانوا ينتقلون في ارجائها الواسعة طلبا للرزق وكانوا كلما ضاقت بهم الارض، خرجت بعض قبائلهم إلى المناطق المجاورة ينهبون خيراتها ويعملون فيها معول الخراب.

---

١ - ابن الاثير ، المصدر السابق ،ج١٢ ، ص ٢٩٨.
٢ - ابن الفرات ، المصدر السابق ،ج ١ ، ص ١٢٠ .
٣ - أبو شامه ، الذيل ، ص ٨١.
٤ - لويس ، المرجع السابق ص ١٤٦.
٥ - القزاز ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .
٦ - ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٠٥؛ فهد ،تاريخ العراق ، ص ٨٧.
٧ - المرجع نفسه ، ص ٨٨.

وبدأوا الاحتكاك بالعالم الاسلامي بعد أن تعاون الخوارزميون معهم رغبة في القضاء على الخطا وبعض القبائل المناوئة لهم [١] ،وكان أول احتكاك بينهم وبين الخلافة سنة(٦١٨هـ/١٢٢١م)،حيث وصل المغول إلى حدود اربيل ودقوقا ، وكان ذلك في زمن الخليفة الناصر ،ولكنهم لم يحاولوا التوجه إلى بغداد [٢] .

وبعد ان تم لهم القضاء على الخوارزميين سنة (٦٢٨هـ [٣] / ١٢٣٠م) ،عادوا ليشكلوا تهديدا حقيقيا على الخلافة ، فارسلوا حملة إلى بغداد ، فامر الخليفة المستنصر بالله بتجهيز العساكر، وارسل إلى حميع ملوك الاطراف للاحتشاد [٤].

وفي سنة (٦٣٥هـ /١٢٣٧م)، وصل التتر إلى أطراف بغداد [٥] ، ثم تكرر وصولهم سنة (٦٤٢هـ [٦] /١٢٤٤م) .

ولقد اهتم الخليفة المستنصر بالدفاع عن بغداد والوقوف في وجه المغول ، فانفق الاموال لتقوية الجيش ، ونصب المجانيق على أسوار بغداد[٧] .

كما انه استفتى الفقهاء انه إذا اتفق الجهاد والحج ايهما اولى ؟ فافتى الفقهاء بان الجهاد اولى[٨] ، فابطل الحج ، كمااستنفر الجميع لحمل السلاح والأستعداد للجهاد[٩].

وبوفاة المستنصر سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)، فقدت الخلافة كل قوة لها وتولى الخلافة المستعصم بالله ،"وكان مستضعف الرأي ، ضعيف البطش قليل الخبرة بأمور المملكة مطموعا فيه غير مهيب في النفوس ، ولا مطلع على حقائق الامور"[١٠]، "وكل أمورة الكليات إلى غير

---

١ - القزاز ،المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

٢ - أبو شامة ، الذيل، ص ١٢٨؛ الغساني، المصدر السابق ، ص ٣٨٤.

٣ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق،ج٨، ق٢،ص٦١٩،فهد ،تاريخ العراق ، ص ٨٩.

٤ - مجهول ، الحوادث ، ص٩٧.

٥ - المصدر نفسة ، ص١١١.

٦ - ابن الكازروني، مختصر، ص٩٨.

٧ - مجهول ، الحوادث ، ص٩٨.

٨ - المصدر نفسه، ص٩٨.

٩ - المصدر نفسه والصفحة .

١٠ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق، ص٣٣٣.

الاكفاء ، وأهمل ما يجب علية حفظه(١)" ، فلم تستطع قواته ان تقابل قوات المغول ، فدخلوها في المحرم (٦٥٦هـ(٢)/ ١٢٥٨م)، وبذلك قضوا على الخلافة العباسية التي استمرت أكثر من خمسة قرون من الزمن .

١ - الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٩١.

٢ - الغساني ، المصدر السابق ، ص ص ٦٣٠-٦٣١؛ القزاز ، المرجع السابق، ص٣٠٢.

الفصل الاول

التقسيمات السكانية لمجتمع مدينة بغـــداد

أصبح المجتمع الاسلامي في هذه الفترة خليطاً من العناصر المختلفة كالعرب ، والفرس ، والترك ، والديلم ، وغيرهم . كما تشابكت العلاقات الإجتماعية بين هذه العناصر، لذلك لا يمكن الالتزام بالأسس المتبعة عند دراسة المجتمع في الفترات الأولى من التاريخ الاسلامي ، والتي تركز على العرق كأساس لدراسة البنية الإجتماعية، لذلك ستقوم الدراسة بتقسيم المجتمع على أساسين هما: الدين ، والمكانة الإجتماعية .

أولاً : من الناحية الدينية

إنقسم المجتمع الاسلامي إلى فئتين هما : المسلمون (سنة وشيعة) ، وأهل الذمة (يهود ونصارى) ،وسنقوم بدراسة كل فئة على حده .

أ- السنة

كان المذهب السني هو المذهب الرسمي للدولة العباسية، وبالتالي فالسنة يمثلون الأغلبية من سكان بغداد . وكانت الظروف السياسية التي تعرضت لها البلاد حتى منتصف القرن السادس الهجري قد فرضت على سكان بغداد التجمع في السكن على أساس مذهبي ، فاشتهرت محلة الكرخ مثلاً بأنها مسكن الشيعة ، كما اشتهرت أحياء أخرى كباب الازج [1] ، ومشهد أبي حنيفة[2] في الجانب الشرقي ، وأحياء قطفتا [3] ،وباب البصرة والحربية في الجانب الغربي بأنها مسكن أهل السنة [4].

وكان الخليفة في نظر السنة الامام وظل الله في الارض ، وقد عمل الخلفاء أنفسهم على تقوية هذا الأتجاه وتأكيده باعمالهم وأقوالهم ، فتصدوا للتأليف الديني لتثبيت مبادىء أهل السنة،

---

١ - باب الأزج : محلة كبرى ذات أسواق كثيرة ومحال كبرى في شرقي بغداد. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج١،ص١٦٨.

٢ - وصف ابن جبير المشهد بقوله :" وبأعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة . . . وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان، له قبة بيضاء سامية في الهواء ، فيه قبر الامام أبي حنيفة -رضي الله عنه - وبه تعرف المحلة " . الرحلة ،ص١٨١.

٣ - قطفتا : محلة كبيرة مجاورة للمقبرة التي فيها قبر معروف الكوفي . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٧٤.

٤ - القزاز ، المرجع السابق ، ص ص ١٥١ -٢.

فصنف الخليفة الناصر لدين الله كتاب روح العارفين حوى سبعين حديثاً[١] ، كما اجاز للعلماء بالرواية عنه ، وأرسل نسخاً منه إلى ملوك الأطراف ليسمعه الناس [٢].

واشتغل الخليفة الظاهر بأمر الله برواية الحديث عن والدة الناصر [٣] ، وكان كثير الإحسان للعلماء [٤].

وأما الخليفة المستنصر بالله فقد وصفه الاربلي بأنه " كان حسن السيرة جميل السريرة ذا علم وعمل وعفو وحلم "[٥] ، وكان المستعصم بالله محباً للعلم أنشأ خزانة كتب ، ونقل أليها من نفائس الكتب الشيء الكثير[٦].

وكان أغلبية أهل السنة يتبعون مذاهب الحنفية ، والشافعية ، والحنبلية ؛ وأما اتباع مالك فكانوا قلة أغلبهم من القادمين من المغرب ومصر.

وظهر التعصب للمذهب ، وتطور هذا التعصب إلى فتن واقتتال بينهم، فقد وقعت فتنة في عهد الخليفة الناصر لدين الله بين الحنابلة والأشاعرة عندما وعظ أبو الحسن أحمد بن اسماعيل القزويني في المدرسة النظامية وأظهر ميله للأشعري [٧].

وفي خلافة المستعصم كتب شخص فتوى تقول: هل الأيمان يزيد أو ينقص ؟ وعرضت على جماعة فلم يُكتب فيها، فكتب فيها وضاح الحنبلي[٨]، وعبد العزيز القميصي وبالغا في ذم من

---

١ - ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٢.

٢ - أبو شامة ، الذيل ، ص٩٣ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ،ج٤،ص١٦٥ ؛ ابن الكازروني ، مختصر، ص٢٤٥ ؛ السيوطي ، تاريخ، ص٣٦١.

٣ - الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٤.

٤ - القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج، ٣ج ،ط٢، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٠،ج٢ ،ص٧٤.

٥ - خلاصة ، ص٢٨٦.

٦ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٣٣.

٧ - ابن أبي عذيبه ، المصدر السابق ، مخ ، ورقة ٤ب.

٨ - هو الشيخ كمال الدين علي بن محمد بن وضاح الشهرباني ، ولد بشهربان سنة ٥٥٩هـ ، ثم قدم بغداد، ودرس بالمستنصرية ، ثم تخرج منها سنة ٦٤٧هـ ،وبعدها رتب بالمدرسة المجاهدية بعد احتلال بغداد مباشرة من قبل المغول . عبد الرحمن ابن شهاب الدين بن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد حامد الفقي ،٢ج، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ج٢ ، ص٢٨٣.

يقول أن الأيمان لا يزيد و لا ينقص ، ثم سُلمت الفتوى إلى فقيه حنفي ، فلم يكتب فيها ، فانتهى الحديث إلى الديوان ، وتألم الحنفية من ذلك ، وقالوا : هذا يعرض بذم أبي حنيفة، فأمر الديوان بأخراج ابن وضاح من المدرسة المستنصرية ،ونُفي ابن القميصي خارج بغداد(١).

ومما يشير إلى هذه العصبية أن اتباع كل مذهب إذا وصلوا إلى السلطة كانوا يستغلون هذه المكانة للنيل من اتباع المذاهب الأخرى، كما فعل الوزير عبد الله بن يونس الحنبلي مع الركن عبد السلام بن عبد القادر الجيلاني ، فقد نكل به وكبس داره ، وأخرج منها كتباً من كتب الفلاسفة ورسائل أخوان الصفا ، وكتب السحر والنجوم (٢) ، واستدعى ابن يونس القضاة والفقهاء والأعيان وكان منهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ثم قرأ شيئاً من تلك الكتب وامر بأحراقها ، ثم أمر القاضي بتفسيقه ورمي طيلسانه وأخرجت مدرسة جده من يده ويد أبيه عبد الوهاب ، وفوضت إلى ابن الجوزي (٣).

ولما تولى الوزارة محمد بن علي بن القصاب سعى في القبض على ابن يونس وتتبع أصحابه ، وأعاد مدرسة الشيخ عبد القادر إلى ولده عبد الوهاب ، ورد كتب عبد السلام التي احرق بعضها ، وقبض على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ونفاه إلى وا سط ، وادعى عليه أنه اقتطع من وقف المدرسة ومالها ، وكتب محضراً في ذلك ، ورجع عبد السلام الجيلاني إلى بغداد، ورتب عميداً وخُلع عليه ورد اليه استيفاء مال الضامن ، وأعطي داراً(٤).

وسمحت الدولة لاتبع هذه المذاهب بحرية انشاء المدارس التي تقوم على اساس المذهب، فنجد في بغداد أكثر من ثلاثين مدرسة كانت احادية المذهب، بحيث لا يدرس بها الا للمذهب الذي وقفت من أجله (٥). ولكن فيما بعد، في فترة المستنصر بالله حرص على التقريب بين تلك العناصر، وكان اعظم اجراء اتخذه هو انشاء المدرسة المستنصرية سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) ، وجعلها وقفاً على المذاهب الأربعة ، فوفد إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب ، فاشتغلوا بالبحث والدرس ونسوا الضغائن والأحقاد المذهبية، وأن طلبة المدرسة المستنصرية على إختلاف

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٤٣.

٢ - ابن أبي عذيبة ، المصدر السابق ، مخ ، ورقة ٢٥١.

٣ - المصدر نفسه والورقه.

٤ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٢٥١ ؛ الذهبي ، سير ،ج٢٢ ،ص٢١٦ ؛ ابن أبي عذيبة ، المصدر السابق ، مخ ، ورقه ٢٥١.

٥ - انظر الفصل الرابع "المدارس."

عناصرهم ومشاربهم وطوائفهم كان يسودهم شعور واحد وهو الأعتزاز بالمدرسة المستنصرية ومكانتها وعلومها (١)، وهذا بالطبع عامل مهم من عوامل التقارب والوحدة بين الطوائف المختلفة التي كانت تتنافس وتتناحر في القرنين الخامس والسادس الهجريين، إلا أننا نجد في القرن السابع الهجري أن ذلك التناحر قد ضعف نوعاً ما وليس ببعيد أن المستنصرية كانت من العوامل المؤثرة وبصورة كبيرة في تقليل وأضعاف ذلك التنافس والتناحر المذهبي (٢).

وكانت تعاليمها الفقهية قد نبعت من علماء السنة ومعنى ذلك أن خريجي المدرسة كانوا من أتباع المذهب السني ، وذلك يؤدي فينا إلى نتيجة مهمه هوأن وظائف الدولة أصبحت في يد السنة على أختلاف مذاهبهم (٣).

وكانت السلطة تتدخل أحياناً لمنع وقوع الفتن بين المذاهب، ولما كانت مجالسهم من أكثر المجالات التي تكون نقطة انطلاق لتلك الفتن فإن السلطة كانت في بعض الأوقات تمنع عقد تلك المجالس، ففي سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٣م)، أمر الخليفة المستعصم بمنع الوعاظ من الجلوس للوعظ ببغداد (٣) . وفي بعض الأوقات وقفت السلطة إلى جانب السنة في نزاعهم مع الشيعة ، فعندما قتل أهل الكرخ سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، رجلاً من أهل قطفتا حمل أهل القتيل أبنهم إلى باب النوبي(٤)، فأرسل الخليفة المستعصم الجند لتأديب أهل الكرخ ، فتجالدوا بالسيوف وقتل جماعة، ونهبت الكرخ ، وسبيت النساء (٥) .

اذن كان التعاون وثيقاً بين أهل السنة ومؤسسة الخلافة ، فأغلب الموظفين من السنة في الجيش والأدارة ، وفي دار الخلافة نفسها.

ب- الشيعة

يختلف الشيعة عن أهل السنة في موقفهم من الخلافة ، ونظرتهم اليها ، فقد كان قيام الخلافة العباسية إيذاناً بانتهاء وحدة آل البيت السياسية ، فدعوا الناس سراً إلى البيعة لهم . وكان

---

١ - حسين أمين ، المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٠ ،ص١١٩.

٢ - المرجع نفسه ، ص١٢٤.

٣ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٤٣؛ الغساني، المصدر السابق، ص٥٥١.

٤ - باب النوبي:هو احد ابواب دار الخلافة العباسية ببغداد ، والراجح أسمه أنه اخذ من اسم دابة النوبة التي كانت تقف أمامه . ابن الكازروني ، مقامة ، ص٣٠.

٥ - أبو الفدا ، المصدر السابق، ج٣،ص٢٠٢؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٦٢٥؛ فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ،دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠، ج١ ، ص٢٥١.

ضعف الخلافة ووقوعها في قبضة المتغلبين فرصة أتاحت للشيعة في بغداد أن يقوموا بنشاط سافر ، فعندما سيطر البويهيون على الخلافة ، وفروا للشيعة الكثير من اسباب الحماية والمنعة(١).

حاول الخلفاء في الحقبة موضوع الدراسة استعادة الوحدة بين عناصر المجتمع بالتوفيق بين السنة والشيعة ، والأهتمام بهم حتى إتهم الخليفة الناصر لدين الله بأنه شيعي "يرى رأي الامامية (٢) " . وامام هذه التهمة التي لا تتفق وسياسة الناصر ، لابد من التوقف عندها ، فظهور التشيع في بداية حكم الناصر ، كان نتيجة طبيعية لما أفرزته الظروف السياسية بعد توليه لمنصب الخلافة من تحكم استاذ الدار ابن الصاحب ، الذي كان متشيعاً مغالياً فيه ، ولكن بعد أن عمت الشكوى منه ، وكثرت السعايات عليه إلى الخليفة تخلص منه سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) .

وإن رعاية الناصر للشيعة ، لايعني أنه كان متشيعاً ، بل كانت جزء من سياسته للتوفيق بين عناصر المجتمع، ولإضعاف المشاعر الطائفية، والقضاء على الفتن التي كانت تتوالى بين السنة والشيعة من جهة ،ولحاجته لأبن الصاحب الذي كان بيده مقاليد الأمور منذ عهد والده المستضيء من جهة أخرى ، لذلك غض الطرف عنه ، حتى ان الشيعة في عاشوراء فعلوا مالم يفعلوه في أي عصر او أي خلافة أخرى ، فقد ساروا في الشوارع ووصلوا حتى باب حجرة الخليفة وعلى مسمع من الخليفة سبوا الصحابة وعائشة زوجة النبي- ص- بقولهم :"ألعنوا راكبة الجمل "(٣).

لم يعاقبهم الخليفة على ذلك ، بل خلع عليهم ، ووزع الأموال ، وللدور ابن الصاحب في أظهار التشيع قيل فيه: " وظهر الرفض بسبب ابن الصاحب ، ثم أنطفأ وظهر التسنن "(٤).

لقد كانت فترة تواجد ابن الصاحب في الحكم فرصة كبيرة للشيعة ليعبروا فيها عن مكنونات أنفسهم تجاه الأمور العامة والسياسية والعقائدية .وإن رعاية الناصر لهم لايعني أن الخليفة كان متشيعاً بل كان جزءاً من سياسته للتوفيق بين عناصر المجتمع ولإضعاف المشاعر

---

١ - القزاز ، المرجع السابق ،ص١٦٠.

٢ - الكتبي ، المصدر السابق ، ج١ ،ص٦٦ ؛ أبو الفدا ، المصدر السابق ،ج٣ ،ص١٣٦ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص١٧٣ .

٣ - ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٦٩ ؛ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ،ص٣٢٢.

٤ - الذهبي ، سير ،ج٢٢ ،ص١٩٤.

الطائفية ، والقضاء على الفتن ، والدليل على هذا التوجه في سياسة الناصر ، أنه كان يدعو شيخ الحنابلة ابن الجوزي لعقد مجلس وعظه بباب بدر الذي يعتبر من حرم دار الخلافة ، ليستمع وأهله لمواعظه [١] ، كما وأنه تأكيداً لهذه السياسة جعل مشهد موسى الكاظم أمناً لمن لاذ به [٢] ، وأمر سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) ، أن يُقرأ مُسند الأمام أحمد في المشهد نفسه [٣].

وحرص الخلفاء بعد الناصر على هذه السياسة ، ففي سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) ، أمر الخليفة المستنصر بالله بتوزيع ثمانية آلاف دينار على جهات مُعينة ، جعل ألف منها لفقراء الطالبيين وألف لفقراء مشهد الحسين بن علي [٤] ، وفي سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، قصد المستنصر زيارة مشهد موسى بن جعفر فلما عاد أمر بثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين بن الأقساسي نقيب الطالبيين وأمره أن يصرفها على العلويين المقيمين في مشهد علي بن أبي طالب ، والحسين ، وموسى بن جعفر [٥].

ولما أحترق مشهد "سر من رأى" سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ، أمر الخليفة بأن يعمر من جديد وإعادته إلى أفضل مما سبق [٦].

وكانت سياسة الخليفة المستعصم في التعامل مع الشيعة متذبذبة فهو يحرص على زيارة مشاهدهم ورعاية فقرائهم ، ففي سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ، أمر بعمارة سور مشهد موسى بن جعفر الذي كان قد غرق في السنة الماضية [٧]. إلا أنه لم يسير على هذا النمط طويلاً فقد قرب السنة ودعمهم ضد الشيعة ، ففي الفتنة بين السنة والشيعة سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، وقف الخليفة إلى جانب السنة ، وأمر الجند بمهاجمة الكرخ فنهبوها وقتلوا وسبوا النساء [٨].

ومنع من قراءة مقتل الحسين بن علي في عاشوراء كما حدث عام (٦٤١هـ/١٢٤٣م)[٩]، وفي عام (٦٤٨هـ[١٠]/١٢٥٠م) ، وسنة (٦٥٠هـ[١١]/١٢٥٢م).

---

١ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٧٦ .

٢ - مجهول (ينسب لأبن الساعي) ، مختصر أخبار الخلفاء ، المطبعة الأميرية ، مصر ، ١٣٠٩هـ ،ص١١١.

٣ - الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ط٦٣ ، ص٦٥.

٤ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٧٠ .

٥ - مجهول ، الحوادث ،ص٩٥ .

٦ - المصدر نفسه ،ص١٥٢ .

٧ - المصدر نفسه ، ص٢٣٣.

٨ - أبو الفدا ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٠٢ ؛ مجهول ، الحوادث ، ص١١٤ .

٩ - المصدر نفسه ، ص١٨٣ .

ثانياً : أهل الذمة

أهل الذمة هم القاطنون في بلاد الاسلام من غير المسلمين، وسموا بهذا الاسم لانهم كانوا في ذمة المسلمين، دفعوا الجزية فامنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، فأن تقاليد الاسلام كانت تقتضي بأنه إذا أراد المسلمون فتح أقليم وجب عليهم أن يخيروهم بين الأسلام فمن استجاب يطبق عليه أحكامه، ومن أمتنع فرضت عليه الجزيه لقوله تعالى:"قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون "[١].

لذلك فمفهوم أهل الذمة يشمل اليهود والنصارى والمجوس [٢]، والصابئة[٣] . وقد تمتعوا بكثير من التسامح الديني ، وأقامة شعائرهم بأمن واطمئنان [٤] .

ولا تسعفنا المصادر الإسلامية بأية معلومات عن أعدادهم ، ولكن هناك اثنان من الرحالة اليهود قد قدموا لنا معلومات عن أعداد اليهود ، مع تحفظنا على ما فيها من أرقام بسبب الأختلاف الكبير فيما أورداه ، أولهما بنيامين التطيلي الذي زار بغداد سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م) ، في عهد الخليفة المستنجد ، فجعل عدد اليهود في بغداد ألف شخص [٥] ، أما بتاحيا الذي زار بغداد سنة (٥٨٠هـ/١١٨٥م) ، فهو يجعل عدد اليهود في العراق ستمائة ألف نسمة [٦] .

ولقد حرص أهل الذمة على ممارسة الاعمال والمهن التي تدر عليهم الأموال الطائلة[٧]، فتركز عمل اليهود في الأمور المالية والمصرفية فعملوا

---

١٠ - المصدر نفسه ،ص٣٤٨ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٥٧٥.

١١ - المصدر نفسه ، ص٥٨٥.

١ - التوبة ، آية ٢٩ .

٢ - ادم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ٢ج ،بيروت ، ١٩٦٧م ،ج٢،ص٥٨ .

٣ - مجهول ، الحوادث ، ص٦٩.

٤ - بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد، ط١ ، المطبعة الشرقية ، بغداد ، ١٩٤٥،ص١٣٥.

٥ - المصدر نفسه والصفحة .

٦ - رحلة بتاحيا نقلاً عن متز ،ج٢ ،ص٦١.

٧ - القزاز ، المرجع السابق ،ص١٧٦.

في التجارة [١] ، والصياغة[٢] ، والجهبذة[٣] ، واما النصارى فعملوا في مهن الطب [٤] ، والكتابة في الدواوين [٥] ، وصناعة الغطو [٦] ، اوكانوا من أصحاب الحرف والمهن [٧] .

ويعلق الدكتور عبد العزيز الدوري على نجاح أهل الذمة في هذه المهن وخاصة التجارة والصيرفة أنه عائد إلى موقف الاسلام من الربا والأحتكار فابتعد عنه المسلمون ومارسها أهل الذمة[٨] .

وكان ممن اشتهر من اليهود في هذه الأعمال أبو طاهر بن شبر فكان جهبذاً للخليفة الناصر لدين الله [٩] ، وأبنه أبو غالب بن أبي طاهر فقد كان عاملاً في دار الضرب [١٠].

وأما من النصارى فقد أشتهر أبو الفرج بن المسيحي رئيس الطب [١١] ، وصاعد بن توما النصراني ، وقد تقدم في أيام الناصر لدين الله حتى صار في منزلة الوزراء ، وكان الخليفة يثق به على حفظ أمواله ويرسله في أمور خفية عن الوزير [١٢].

وكان صاعد في البداية طبيباً وكاتباً للأمير نجم الدين أبو اليمن الشرابي ثم صار من خواص الخليفة الناصر " حتى اوكل اليه تدبير سائر أمور المملكة وتدبير شؤون أبنائه وبناته ونسائه " [١٣] .

---

١ - عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الأقتصادي في القرن الرابع الهجري ،ط٢، دار المشرق ، بيروت، ١٩٧٤،ص٣٣.

٢ - مجهول، الحوادث، ص٦٨؛ أ.س ترتون، أهل الذمة في الإسلام ، ترجمةحسن حبشي، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) ،ص١٩.

٣ - مجهول، الحوادث، ص٦٨. والجهبذ هو النقاد الخبير بغوامض الأمور العارف بطرق النقد. الدوري، تاريخ العراق ، ص١٥٧.

٤ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ،ج٩ ،ص١٣٢.

٥ - مجهول ، الحوادث ،ص١١.

٦ - المصدر نفسه ،ص٦٧.

٧ - المصدر نفسه والصفحة ؛ Rashad,op. cit.p155

٨ - مقدمة في التاريخ الأقتصادي العربي ،ط١، دار الطليعة بيروت ، ١٩٨١،ص٧٤.

٩ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ،ج٩ ، ص١٦٢ . وكان رئيس اليهود حتى توفي سنة ٦٠١هـ .

١٠ - المصدر نفسه ، ج٩ ،ص١٦٦.

١١ - مجهول ، الحوادث ، ص٤٣ .

١٢ - ابن العبري ، مختصر ،ص٢٤٦ ؛ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، صححه محمد الخانجي ، مطبعة السعادة ؛ مصر (د.ت) ،ص١٤٤.

١٣ المصدر نفسة، ص١٦٥.

ولكن هذا الطبيب أنتهت حياته نهاية مأساوية وصفها المورخون بقولهم :" أن الخليفة الناصر غشي وصار شبه أعمى وكان يخفي ذلك لئلا يعزل ، وكانت مكاتباته مع الوزير تكتبها امرأة خطها يشبه خطه هي "ست نسيم" ، صاحبة تاج الدين رشيق الخصي ، ولكن الوقت لم يطل حتى استراب الوزير بالأمور ، فاستفسر من الطبيب فأطلعه على عمى الخليفة، فجنى على نفسه وساءت عاقبة أمره ، حيث قتل من قبل اثنين من اجناده يعرفان بولدي قمر الدين ، وهو خارج في الليل من بيت الوزير وكان ذلك سنة (٦٢٠هـ[١]/١٢٢٣م) .

وصاعد هو الثالث ممن أشتهر من عائلة المسيحي، فهناك أخويه الجثليق المعروف بابن المسيحي وأما أشهرهم والمقدم عليهم فكان أبو الخير ماري بن هبة الله عبد البقاء بن إبراهيم المؤمل بن المسيحي، وكان طبيب الناصر الخاص، ولكن لما أصيب الخليفة بمرض في مثانته، أشار بشق العضو لاخراجه، وكاد الخليفة أن يقتله لما رأى عجزه عن مداواته، وقد مات أبو الخير بعد أن ناف عن المئة سنة(٦٠٨هـ/١٢١٢م)، وخلف كتاب "الإقتضاب في الطب"، ومختصره انتخاب الإقتضاب، وأشعار سريانية ، ويقال أنه ترك تركة عظيمة المقدار[٢] .

ولنعد إلى مرض الخليفة ، فبعد أن عجز أبو الخير عن علاجه ، أستدعي واحد من أفضل جراحي الكرخ هو ابن عكاشه ، وبعد عدة علاجات غير مجدية ، توصل طبيب نصراني آخر هو أبو نصر سعيد بن أبي الخير (غير الأول) بن عيسى إلى مداوته بالمرهم المحلل للحصى ، وبعد ثلاثة أيام خرجت الحصى ، فأغرق بالهدايا والاموال حيث أمره الخليفة أن يدخل إلى دار الضرب ويحمل من الذهب مهما قدر أن يحمل ففعل ذلك ، ثم أتته الخلع إلى داره من أم الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي ، والوزير نصير الدين بن مهدي العلوي ، والأمير نجاح الدين الشرابي ، وقد حصل من الدنانير الذهب العين عشرين ألف ، ومن الثياب والخلع الشيء الكثير ، وفرضت له العطايا طول حياته[٣] .

١ - القفطي ، المصدر السابق ،ص ص ١٤٤-٥ ؛ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،(د.ت)، ص ص ٤٠٥-٦ ؛ ابن العبري ، مختصر ،ص٢٤١ .

٢ - المصدر نفسه ، ص٤١٦ ؛ جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ترجمة حسني زينة ، دار المشرق،بيروت ،١٩٩٠ ،ص٣٥٣.

٣ - ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص ٣-٤ ؛ جان فييه ، المرجع السابق ، ص٣٥٤ .

وكان على أهل الذمة مقابل مغيشتهم في بلاد الإسلام ان يدفعوا الجزية :فالفقير يدفع ديناراً ، والمتوسط دينارين ، والغني أربعة دنانير على رأس كل حول [١] .

وتجب الجزية على الرجال الأحرار العقلاء ، وعفى منها النساء والصبيان والمجانين ورجال الدين[٢] ، وحدد شهر المحرم من كل عام كموعد لدفع الجزية " وفي غرة المحرم جلس محي الدين أبو عبد الله بن فضلان [٣] في ديوان الجوالي ، وأستوفى الجزية من أهل الذمة "[٤].

وكان عليهم الحضور إلى ديوان الجوالي حتى " توزن جزيته " [٥]، ولكن من الرسالة التي رفعها ابن فضلان التي أوضح فيها وضع أهل الذمة وتمكنهم في الدولة على حساب المسلمين ، يبين أنه لم يكن هناك حزم في عهد الخليفة الناصر في تطبيق هذه القاعدة ، فقد يرسلها أحدهم مع أحد أقربائه ، ولكن في فترة لاحقة عندما تولى ابن فضلان ديوان الجوالي تشدد في هذا الأمر وأصر على حضور صاحب العلاقة بنفسه إلى الديوان ، فكان أبو علي بن المسيحي رئيس الطب والذي كان له إختصاص ودخول على الخليفة ، فأظهر المرض ، وأعتذر وسأل أن توخذ الجزية من يد ولده فلم تُقبل منه فحضر وأداها [٦] .

والحقيقة ان الجزية لم تكن عقابا لاهل الذمة ، بل هي نظير أعفائهم من الجندية ، ومقابل حماية المسلمين لهم.

وفي عام (٥٧٩ هـ/١١٨٣م) أصدر الخليفة الناصر لدين الله أمراً شريفاً بأن لايستخدم في الديوان كُتّاب من النصارى ولا أحد من أهل الذمة [٧] ، فقد رأى في ذلك إذلالاً للمسلمين،

---

١ - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق خالد الجميلي ؛ دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٢٢٨.

٢ - المصدر نفسه والصفحة .

٣ - هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان، فقيهاً وعالماً ، درّس بعد أبيه بمدرسة فخر الدولة بن المطلب ، ثم تولى تدريس النظامية ، وبعدها قُلد قضاء القُضاة والنظر في أوقاف المدارس والأربطه وبقي على ذلك إلى أن توفي الخليفة الناصر فلما تولى الظاهر عزله ، ثم ولي نظارة المارستان العضدي ، توفي سنة ٦٣١هـ . مجهول ، الحوادث ، ص ص٦٣-٧٠ .

٤ - المصدر نفسه ، ص١٣ .

٥ - المصدر نفسه ،ص٦٩.

٦ - المصدر نفسه ، ص١٣ .

٧ - الأيوبي ، المصدر السابق ، ص٧٣ ؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٣٧٨ ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص ص١٦١-٢.

فوقع إلى أستاذ الدار ابن الصاحب بقوله :" أن الله تعالى نفى أن يكون للكافر على المسلم سبيل، وفي استخدام أهل الكتاب إهانة للمسلمين ، فلا يستخدم أحد في شيء من الأعمال ورتب عوضهم من يصلح من المسلمين " (١) .

وقد أشار ابن الصاحب على الخليفة التروي في هذا الأمر وذلك لما في أيديهم من الأموال والأوراق التي يمكن أن يخفوها (٢) .

ولكن الخليفة تشدد في هذا الموضوع .وقال :" ما إلى هذا سبيل ولو ذهب أصل بيت المال، ولا يبق أحد من الكفار في شيء من الأعمال " ، فأخرج من كان في الديوان من أهل الذمة كأولاد النظام وغيرهم من النصارى من أولاد زطينا ، وابن الأشقر كاتب ديوان العرض ، وقد حاول ابن البخاري (٣) نائب الوزارة أن يشفع لدى الخليفة بابن الأشقر " لأنه ثقة عفيف " فكتب الناصر "هذا ابن الأشقر قد مات ، ما الذي يصنع بعده في ديوان العرض " فأمر بإخراجه بعد أن عرض عليه الإسلام فأبى ، وكان له ولد أعلن إسلامه ، فكتب أستاذ الدار إلى الخليفة في ذلك ، فرد الخليفة " إنما منعنا من إستخدام الكفار لأجل كفرهم فمن أسلم يعاد إلى خدمته " (٤) .

ويعلق الأيوبي على هذه الخطوة التي قام بها الناصر بقوله : "وكانت معدوده من مكارم أخلاق أمير المؤمنين الناصر لدين الله لأنه لم يسبق لها ولم يعتمدها سواه " (٥).

على أية حال يبدو أن هذه السياسة كانت ذات مدى قصير لأن هناك من الشواهد ما يدل على أن أهل الذمة إستمروا في تأدية دور مهم في خدمة الديوان(٦)، فابن الساعي يذكرفي حوادث

---

١ - الأيوبي ، المصدر السابق ، ص ص٧٣ -٤ .

٢ - المصدر نفسه ، ص٧٤.

٣- هو أبو طالب علي بن علي بن هبة الله البخاري ، ولي قضاء القضاة مرتين ،الأولى سنة ٥٨٢هـ ، ثم ناب في الوزارة حتى عزل ، والثانية سنة ٥٨٩هـ، وتوفي سنة ٥٩٣ هـ . الذهبي ، مختصر ، ج٣ ، ص٣٠٧.

٤ - الأيوبي ، المصدر السابق ، ص٧٤.

٥ - المصدر نفسه والصفحة .

٦- المصدر نفسه والصفحة .

٧ - Rashad ,op.cit.p156

سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) ، وفاة أبو غالب أبي طاهر بن شبر اليهودي أنه كان عامل دار الضرب ، وهذا يعني أنه عاد إلى الخدمة في الديوان بعد قرار الناصر لدين الله[١].

وأما الوضع الإجتماعي الذي تمتع به أهل الذمه في هذه الفتره ، وما لهم من الحرية والجاه والترقي على حساب المسلمين . فقد أشار إليه ابن فضلان في رسالته إلى الناصر بقوله : "هذا مع ما لهم من الحرية الزائدة والجاه القاطع والترقي على رقاب خواص المسلمين ، وقد شاهد العبد وغيره من الفقهاء الحاضرين في المخزن لتناول البر المتقبل : إن ابن الحاجب قيصر أقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان به ، وأقعد ابن زطينا كاتب المخزن لمكان خدمته"[٢].

ولم يكن هذا الموقف المتسامح من قبل المسلمين من أهل الذمة يعني أنهم في مستوى المسلمين في الحقوق والمعاملة بل نجد من المسلمين من يتعرض لهم بالضرب والإهانة ، فأبو الطليق المعروف بابن شقير[٣] ، كان يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان إذا رأى أحداً من رؤساء النصارى أو اليهود راكباً أنزله وأهانه ، وقد فعل ذلك بالحكيد ابن توما ، وبولده من بعده ، وبابن كرم اليهودي[٤] .

كما نجد اصرار ابن فضلان على هذه النظرة وهي عدم المساواة بين المسلمين و أهل الذمة بايراد ما روى عن علي (ر) عن النبي(ص) أنه قال :" أمرنا أن لا نساويهم في المجلس، ولا نشيع جنائزهم ، ولا نعود مرضاهم ، ولا نبدأهم بالسلام "[٥] .

وكان قتل الذمي من قبل المسلم لا يوجب قتل القاتل لأنه مسلم وانما يودع السجن أو يدفع الدية[٦] .

وأما ملابس أهل الذمة ، فقد فرض عليهم منذ العصر العباسي الأول لباس خاص حتى يتميزوا به عن المسلمين، وكان الخليفة الرشيد أول من الزمهم ذلك سنة

---

١ - الجامع المختصر ،ج٩ ، ص١٦٦.

٢ - مجهول ، الحوادث ، ص٦٥ .

٣ - أبو الطليق مغتوق المعروف بابن شقير ، شيخ من أهل قراح ظفر ، كان بقالاً يظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان إذا بلغه أن موضعاً فيه جماعة مجتمعين على سكر ، مضى وأنكر عليهم وأراقه . توفي سنة٦٣٩هـ. مجهول ، الحوادث ، ص١٥٠.

٤ - المصدر نفسه والصفحة.

٥ - المصدر نفسه ، ص٦٩.

٦ - المصدر نفسه ، ص٧٣.

(١٩١هـ[١]/ ٨٠٦ م)، ويظهر أن الخلافة في الفترات التالية وحتى نهاية العصر العباسي لم تتمسك كثيراً بملاحقة أهل الذمة الذين كانوا يستطيعون تحقيق اغراضهم ببذل المال للتخلص من هذه القيود التي اشار اليها ابن فضلان في كتابه الذي رفعه إلى الخليفة الناصر لدين الله [٢] .

لنعد إلى ابن فضلان وموقف الخليفة من كتابه ، ولعل عدم تجاوب الخليفة مع مطالب ابن فضلان يعود إلى سببين : اولهما أن النصارى والأطباء بخاصة مثل أمين الدولة الذي بقي حتى سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) ، كانوا لا يزالون يتمتعون بنفوذ كافٍ ليحولوا دون اصغاء الخليفة إلى مقالة ابن فضلان ، وثانيهما أن الأمر لم يعد يستحق الأهتمام لأن عدد النصارى قد أضحى ضئيلاً وان كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة[٣] .

وقد خضع أهل الذمة في تنظيمهم الإجتماعي والديني لسلطة رؤسائهم من رجال الدين البطريرك والجاثليق [٤] عند النصارى ،ورأس الجالوت[٥] عند اليهود ، أما طريقة وصول هؤلاء الرؤساء إلى مناصبهم داخل طوائفهم ، فأن اليهود كانوا يتوارثون الرياسة، فيما لجأ النصارى إلى انتخاب بطاركتهم [٦].

وكان للنصارى رئيسان يعين كل منهما بعهد خاص صادر عن الخليفة أحدهما الجاثليق ، وكانت المدائن مركز كرسيه الرسمي ، والثاني بطريق اليعاقبة ، وكان يتم انتخاب الجاثليق عن طريق النساطرة الذين ينتخبون من بين عدة مرشحين وكان يشارك في الإنتخاب رؤساء الوحدات الدينية في الأقاليم ووجوه الطائفة [٧].

---

١ - يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف ، الخراج ، تحقيق احسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ص٢٧٩ -٨٠.

٢ - القزاز ، المرجع السابق ،ص١٨٤٠.

٣ - جان فييه ، المرجع السابق ، ص٣٦٤.

٤ - الجاثليق كما يعرفه القلقشندي هو صاحب الصلاة عند النصارى صبح الأعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج٥ ، ص٤٤٤.

٥ - هو رئيس اليهود ، والجالوت هم الذين جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس . أبو عبدالله محمد بن يوسف الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، المطبعة المنيرية، القاهرة ، ١٣٤٢هـ ، ص٢٤.

٦ - متز ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٧٨ ؛ اكتمال اسماعيل ، الحياة الإجتماعية والاقتصادية في العراق (٤٤٧-٥٩٠هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة دمشق ، ١٩٩٠،ص١٤٨.

٧ - المرجع نفسه والصفحة.

وليس لدينا معلومات عن مراسيم تعيين بطارقة النصارى ، ولكن هناك معلومات جيدة حول تعيين رأس مشيئة اليهود"رأس الجالوت " ، وقد زودنا بها الرحالة بنيامين التطيلي .

ويشترط في رأس الجالوت أن يكون من نسل داود -عليه السلام - ويسميه المسلمون " ابن سيدنا داود "، لأن في يده وثيقة تثبت نسبه ، وعادة ما يكون من المتقنين لعلوم والاداب(١).

ويكون تعيينه بمرسوم صادر عن الخليفة ، ويورد لنا ابن الساعي وثيقة مهمة عبارة عن مرسوم تعيين الخليفة الناصر لدين الله لدانيال بن العازر بن هبة الله رأس مشيئة لليهود " ولما ضرع دانيال بن العازر بن هبة الله في ترتيبه رأس مشيئة اليهود عوضاً عن العازر بن هلال بن فهد الدارج على قاعدته وجاري عادته ، وانهى ما يتحلى به عند أهل نحلته ، ويتصف به واستحقاقه ، لما ضرع فيه بحسن طريقته فيهم وسلامة مذهبه ... ترتيبه رأس مشيئة اليهود على عادة الدارج المشار اليه "(٢).

وأما صلاحياته ، فأن نفوذه يسري على جميع طوائف اليهود في العراق وبلاد خراسان وسبأ اليمن وبلاد ما بين النهرين وجميع اليهود في العالم الإسلامي ، وأن يكون القاضي بين أفراد رعيته ، وأن يختار للجاليات في المدن المختلفة قضاتها بعد أن يأتوا إلى بغداد (٣).

وكانت العادة أن يجري احتفال كبير بمناسبة تعيين رأس الجالوت ، فبعد صدور قرار التعيين ، يسير رأس الجالوت الجديد إلى قصر الخليفة ومعه الأمراء والأعيان من أبناء طائفته ، حاملاً معه الهدايا للخليفة ، وعند وصوله يمثل بين يدي الخليفة فيسلمه عهده ، ثم يضع يده على رأسه ، وبعد ذلك يعود بموكبه الخاص وحوله الجماهير من أبناء ملته إلى بيته باحتفال كبير تصخبه البوقات والطبول (٤) .

وتقتضي التقاليد المرعية بين اليهود والمسلمين وسائر أبناء الرعية بالنهوض أمام رأس الجالوت عند مروره بهم ومن خالف ذلك عوقب بالضرب(٥) .

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٢٤.

٢ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٦٨.

٣ - المصدر نفسه والصفحة ؛ مجهول ، الحوادث ، ص٢١٨ ؛ شاكر مصطفى ، مدن الإسلام حتى عصر المماليك ،ط١،ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٨ ، ج٢ ، ص٣٠٨.

٤ - التطيلي ، المصدر السابق ،ص١٣٨.

٥ - المصدر نفسه ، ص١٣٧ .

ولكن في فترة لاحقة حدث تطور حول تنصيب رأس الجالوت حيث أن مراسيم التعيين تتم عند قاضي القضاة ، فبعد مشافهة الوزير لرأس الجالوت بالولاية ، يذهب إلى قاضي القضاة، فعندما عين عالي بن زفريا اليهودي رأس مشيئة اليهود سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، سار إلى قاضي القضاة ، فأجلسه بين يديه وقال له :" قد وليتك الزعامه على أهل شريعتك " [١] .

ومن أشهر من تولى منصب الجاثليق للنصارى ، ايليا الثالث أبو حليم ، وبقي في منصبه الذي تولاه سنة (٥٧٢ هـ/١١٧٦م) ، مدة أربع عشر سنة حتى سنة (٥٨٦هـ[٢]/١١٩٠م) ، وبعد ثلاثة أشهر تولى المنصب جاثليق النصارى يابلاها بن قيّو الموصلي [٣] وبعد موته ، اجتمع أساقفة المشرق من السريان وطلب كل واحد منهم الرياسة لنفسه ، ولكن أخيراً انتخب سبريشوع بن قيوما [٤] . وآخر من وردنا من أسماء جاثليق النصارى أبو الفضل بن أبي الخير المسيحي (ت٦٥٣هـ[٥]/١٢٥٥م) .

وأما اليهود فأشهر من تولى منصب رأس الجالوت أبو طاهر بن شبر (ت٦٠١هـ[٦]/ ١٢٠٤م) ، والعازر بن هلال بن فهد [٧] ، ودانيال بن العازر بن هبة الله (ت٦٠٥هـ[٨]/١٢٠٨م)، ودانيال بن شمويل بن أبي الربيع [٩] ، وعالي بن زفريا الأربلي سنة (٦٤٨هـ[١٠]/١٢٥٠م) .

ولما دخل المغول بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، قتلوا الرجال والنساء الا القليل ، ماعدا النصارى فانه قد عُين لهم جند لحراسة بيوتهم ، والتجأ اليهم خلق كثير من المسلمين ، فسلموا عندهم[١١] .

---

١ - مجهول ، الحوادث، ص٣٤٨ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٥٧٥ .
٢ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٤١ ؛ جان فييه ، المرجع السابق ، ص٣٥٩ .
٣ - جان فييه ، المرجع السابق ، ص٣٥٩.
٤ - المرجع نفسه ،ص٣٦٢.
٥ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٠٠.
٦ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٦٢.
٧ - المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٦٨.
٨ - المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٦٦.
٩ - مجهول ، الحوادث ، ص٢١٨.
١٠ - المصدر نفسه ،ص ٣٤٨ ؛ الغساني ،المصدر السابق ، ص٥٧٥ .
١١ - الغساني ، المصدر السابق ، ص ٥٧٥.

وكانت اماكن العبادة منتشره في بغداد والعراق ، ومن أشهر اديرة[١] النصارى في بغداد دير العذارى[٢] ، ودير الثعالب[٣] ، ودير أشموني[٤] .

أما اليهود فلهم في بغداد في الحقبة موضوع الدراسة ثمانية وعشرين كنيساً ، قسم في الرصافة (الجانب الشرقي) ، وقسم في الكرخ (الجانب الغربي) على شاطىء دجلة ، وقد وصف التطيلي كنيسة اليهود في بغداد بقوله : " وهي بناء عظيم فيه الأساطين الرخام المنقوشة بالأصباغ الزاهية المزوقة بالفضة والذهب وتزدان رؤوس الأساطين بكتابات من المزامير بحروف من ذهب وفي صدر الكنيسة مصطبة يصعد اليها بعشر درجات من رخام ، وفوقها الاريكة المخصصة لرأس الجالوت "[٥].

والصابئة باعتبارهم أهل ذمة ، يبدو أنه لم يعد لهم دوراً في المجتمع البغدادي ، فلم نجد أي اشارة لهم باستثناء الاشارة التي أوردها صاحب الحوادث في الكتاب الذي رفعه ابن فضلان إلى الخليفة الناصر بقوله :" والصابئة قوم من عبدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذمة لهم وكان في قديم الزمان لهم ذمة فاستفتى القاهر بالله أبا سُيَد الاصطخري من أصحاب الشافعي في حقهم ، فأفتاه بإراقة دمائهم ، وأن لا تقبل منهم الجزية فلما سمعوا بذلوا خمسين ألف دينار فأمسك عنهم ، وهم اليوم لا جزية عليهم ولا يؤخذ منهم شيء ، وهم في حكم المسلمين والأمر أعلى "[٦] .

---

١ - الدير : بيت يتعبد فيه الرهبان ، يكون في الصحارى والمواضع المنقطعه عن الناس وقد يكون الدير نحو من بستان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ،ص٤٥٩ ؛ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنه والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ،٣ج، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ج٢ ،ص٥٤٩ .

٢ - وسمي بذلك لأنه تسكنه الرواهب العذارى ، وكانت كلما وهبت امرأه نفسها للتعبد سكنة الدير معهن . ابن عبد الحق ، المصدر السابق ، ج٢ ،ص٥٦٨ ؛ أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله الخميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص٢٥٢.

٣ - بينه وبين بغداد نحو ميلان . ابن عبد الحق ، المصدر السابق ، ج٢ ،ص٥٥٥ .

٤ - بني على اسم امرأه تدعى أشموني ، ويقع بقطربل . ابن عبد الحق ، المصدر السابق ،ج٢،ص٥٥٢.

٥ - التطيلي ، المصدر السابق ، ص١٣٩.

٦ - مجهول، الحوادث ، ص٦٩.

ثانياً : من الناحية الإجتماعية

أ- فئة الخاصة

١- الخلفاء

شملت الفترة (٥٧٥ -٦٥٦هـ/١١٧٩-١٢٥٨م) ، حكم أربعة من الخلفاء هم : الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) ، والظاهر بأمر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م) ، والمستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) ، والمستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٩هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) ، ونستطيع أن نقسم خلفاء هذه الفترة إلى قسمين : الأول وكانوا خلفاء أقوياء حاولوا اعادة أمجاد الخلافة ، فاهتموا بأمور دولتهم ، واتبعوا مختلف الوسائل لتحقيق هذه الغاية ، وأما القسم الثاني فكان الخليفة ضعيفاً أهتم بملذاته وشهواته أكثر من اهتمامه بالدولة والجيش .

وشمل القسم الأول الخلفاء: الناصر لدين الله، والظاهر، والمستنصر .فكان الناصر "بصيراً بالأمور مجرباً سائساً مهيباً مقداماً عارفاً شجاعاً...أحب مباشرة أحوال الرعية بنفسه، حتى كان يتمشى في الليل في دروب بغداد ليعرف أخبار الرعية وما يدور بينهم، وكان كل واحد من أرباب المناصب والرعايا يخافه ويحاذره" [١] ، أما الظاهر -فرغم قصرفترة حكمه التي لم تتعدى السنة- الا أنه كان موصوفاً بالقوة والعدل [٢] ، وقد بالغ المؤرخون في وصف المستنصر حتى قيل: " ولو قيل أنه لم يكن في خلفاء بني العباس مثله لصدق القائل [٣] ".

فخلفاء هذه الفترة باشروا الأمور بأنفسهم ، ولم يعتمدوا على الحاشية ، الا في الحالات التي لا تتطلب تدخلهم ، فاستعادوا بذلك السيطرة على معظم العراق وبعض الأقاليم المجاورة ،اضافة إلى اكتساب الاحترام والولاء من قبل ملوك الاطراف ولكن هذه السياسة تلقت ضربة قاصمة بتولي الحكم الخليفة المستعصم بالله – وهو الذي نقصده بخلفاء الفترة الثانية-فلولا تدخل حاشية القصرباختيار المستعصم فانه لم يتول الخلافة ، فقدكان للخليفة المستنصر بالله أخاً يدعى " الخفاجي " كان شهماً قوياً كان يقول :" ان ملكني الله الامر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون وانتزع البلاد من التتار واستأصلهم " فلما توفي المستنصر لم ير الدويدار الكبير واقبال الشرابي

١ – ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٢.

٢ – الأربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٤.

٣ – ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٣٠.

والكبار تقليد الخفاجي الأمر، وخافوا منه ، وآثروا المستعصم للينه وانقياده لهم . فاستُدعي المستعصم سراً من مسكنه وبايعوه بالخلافة (١) . فلم يكن المستعصم بمستوى المسؤولية والظروف التي كانت بحاجة إلى خليفة قوي يباشر الامور بنفسه بدلاً من الاعتماد كلياً على الحاشية والموظفين ، فقد كان " مستضعف الرأي ، ضعيف البطش ، قليل الخبرة بأمور المملكة مطموعاً فيه ، غير مهيب في النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور ، وكان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني والتفرج على المساخرة ، وفي بعض الأوقات كان يجلس بخزانة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة ، وكان اصحابه مستولين عليه "(٢) . ويزيد الأربلي " ثم وكل أموره إلى غير الأكفاء وأهمل ما يجب عليه حفظه والنظر فيه "(٣).

وفي عهدالخليفة المستعصم بالله سقطت الخلافة العباسية على يد المغول " وكان كلما سمع عن السلطان – هولاكو – من الاحتياط والاستعداد شيء ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والاهمال "(٤) . ورغم ما يتحمله الخليفة من المسؤولية عن سقوط الخلافة ، الا أننا يجب ألا نحمله كل المسؤولية ، فيتحملها معه الوزير والحاشية وكافة أهل العراق والعالم الاسلامي.

وكانت مصاريف قصر الخليفة تأتي من المخزن (٥) ، ويذكر الغساني نفقات القصر وحاشيته من النواب ، والكتاب ، والحجاب، والمماليك والخدم ، والبوابين وغيرهم من موظفي القصر إلى آخر أيام الظاهر وطيلة حكم الناصر من قبله فكانت ستين الف دينار، وبلغت في أول خلافة المستنصر مائتي الف دينار(٦).

أما بالنسبة لمداخيل وثروات هولاء الخلفاء فقد كانت كبيرة لما تمتعوا به من الاملاك والاقطاعات يدير تلك الاموال وكلاء خاصون(٧) ، وكانت لهم أيضاً خزانات خاصة، فقد قيل ان الناصر لدين الله كان يحب المال حتى بلغت عنده مبلغا عظيما بحيث ملأ منها بركة كبيرة وكان

---

١ – السيوطي ، تاريخ ، ص ص٤٦٤-٥.

٢ – ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٣٣.

٣ – خلاصة ، ص٢٩١.

٤ – ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٣٥ .

٥ – كان المخزن في الأصل تابعاً لديوان بيت المال ، وهو يتكون من عدة خزائن تضم جميع دخل الحكومة مثل خزانة الملابس ، وخزانة النقود وخزانة الحبوب ، واخرى للسلاح وكان يجري الموازنة الشهرية والسنوية لتلك الأحوال التي يريدها ، الخوارزمي ، المصدر السابق ، ص٤١ ؛ فهد ، تاريخ العراق ، ص٢٨٥.

٦ – العسجد ، ص٤٢١.

٧ – ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج٩، ص١٦٧؛ ص٢٨٩.

يأمل ان تفيض فمات قبل أن يحقق الامنية وقد ورث الخليفة المستنصر هذا المال فتأمله وقال: "ترى هل اعيش حتى افنيها وكذلك فعل"(١).

وفي سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) ، حدث حريق بدار السلام من دار الخلافة فكان نتيجة ما احترق أكثر من ثلاثة الف الف دينار(٢)، وحدث مثل هذا الحريق سنة (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) ، في دار الخلافة فاستخرج بعد الحريق من الاواني والذهب والفضة ما يزيد على مائتي الف دينار(٣).

وكان الخلفاء يميلون إلى الاكثار من الخلع والهدايا وخاصة بالمناسبات الدينية كحلول شهر رمضان أو عيدي الفطر والأضحى، حيث تخرج الخلع إلى كبار رجال الدولة وموظفي القصر . فقد جاء في سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ، ان الخليفة المستنصر خلع على نائب الوزارة أبي الأزهر أحمد بن الناقد وعلى مماليكه وعلى كافة الأمراء ، وسائر أرباب الدولة حتى عمت الخلع خلقاً كثيراً يزيدون على الف وثلاثمائة انسان (٤) ، وجاء في رمضان سنة (٦٤٠هـ) انه وزعت الخلع من المخزن على الحاشية وخدم دار الخلافة وغيرهم مما جرت العادة بالخلع عليهم في هذه المناسبة فبلغت ثلاثة آلاف وأربعمائة ونيفاً وعشرين خلعة(٥) .

وفي عام (٦٥٢ هـ/١٢٥٤م) ، فرقت الخلع على أربابها من الحاشية والخدم والفراشين وكانت ثمانمائه وستين قطعة (٦).

ولم تقتصر الخلع لأسباب دينية بل نجد ان الخلع كانت تعم إذا ما حدث حدث أو فرح في دار الخلافة كقدوم مولود جديد أو حفلة ختان ، اوختمة لأحد ابناء الخلفاء، فلما ختن الأمير أبو المناقب ابن الخليفة المستعصم سنة (٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) ، ختن معه جماعة من أولاد الأمراء وهم الأمير أبو جعفر منصور ابن الأميرالسيد أبي القاسم عبد العزيز بن المستنصر بالله ، وكشلوخان ابن الأمير الدويدار الصغير ايبك المستنصري ، والأميران عبد الله واسحاق ابنا

---

١ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق، ص ٣٢٢.

٢ - ابن الاثير ، المصدر السابق، ج١٢، ص ٢٦٠؛ سبط بن الجوزي، المصدر السابق، ج٨، ق٢، ص٥٢٣؛ ابن كثير ، المصدر السابق، ج١٣، ص٤٥. الذهبي ، سير ، ج٢٢، ص٢٢٣.

٣ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٥٩٤.

٤ - المصدر نفسه ،ص٤٩٢.

٥ - المصدر نفسه ، ص٥١٢.

٦ - المصدر نفسه ، ص٦٠٤.

الدويدار الكبير الطبيرسي الظاهري ، وزنكي ابن الأمير محمد بن قيران ، وارسل مع أبن اخ الخليفة صندوقاً من فاخر الثياب والزركش ما قيمته ثلاثة آلاف دينار ، وسبعة أكياس فيها سبعة آلاف دينار ، وأرسل مع ولد الدويدار الصغير صندوق فيه ستة آلاف دينار ، وما قيمته ألف دينار ، ثم مع ولدي الدويدار الكبير كذلك ، ثم مع ولدي ابن قيوان صندوق فيه ألف دينار، ثم خلع على الطبيب الذي تولى ختن هؤلاء الاولاد وعلى بواب دار التشريفات وعلى وكيل الخليفة، وعمت الخلع خلقاً كثيراً [١].

٢- الأمراء العباسيين

لم يكن للأمراء من أفراد العائلة العباسية(عائلة الخليفة)أي نشاط سياسي في هذه الفترة، ولعل السبب في ذلك تلك السياسة التي اتبعها الخلفاء والقائمة على منع الامراءمن الأختلاط بالمجتمع والخروج من دار الخلافة "لأن جميع العباسيين في تلك الديار معتقلون أعتقالاً جميلاً لايخرجون ولا يظهرون"[٢] وكان هؤلاء الأمراء يقيمون بدار الصخرة ودار الفردوس ودار الشجرة"[٣] يشير إلى ذلك الغساني عند الحديث عن غرق بغداد سنة (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) قائلاً : "وانتقل الساكنون بدار الصخرة من أولاد الخلفاء وكذلك ساكنو الفردوس من أعمام الخليفة وكذلك سكان دار الشجرة" [٤].

ولما ولي المستعصم بالله الخلافة اطلق أولاده الثلاثه ولم يحبسهم كعادة الخلفاء من قبله وهم الأمير الكبير أبو العباس أحمد ، والأمير الأوسط أبو الفضائل عبد الرحمن ، والأمير الأصغر أبو المناقب[٥] ، الا أنه أبقى جميع أعمامه وابنائهم مقيمين في تلك الدور ، ولم يسمح لهم بالخروج.

---

١ - المصدر نفسه ،ص٥٨٦؛ فهد ، تاريخ العراق ، ص٣١٨.

٢ - ابن جبير ، المصدر السابق ،ص١٨١.

٣ - دار الشجرة : هي دار بدار الخليفة ببغداد من أبنية المقتدر بالله، سميت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة وسط بركة كبيرة مدورة امام ايوانها مكللة بالجواهر على شكل الثمار .ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٢ ص٤٢١ ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر، بيروت ، ١٩٦٠، ص٣١٦.

٤ - العسجد، ص٦١٦.

٥ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٣٣.

وكان الدور الذي لعبه هؤلاء الأمراء في السياسة الداخلية قد أقتصر على المبايعة للخليفة الجديد. فلما ولي الخليفة الناصر لدين الله الحكم سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)،كان أول من بايعه البيعة الخاصة أخيه ابا منصور هاشم.ثم بايعه كبار رجال الدولة[١]. ولما تولى المستعصم بالله الخلافة سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، أحضر أحد أعمامه ويدعى أبو الفتوح حبيب وأوهم أن جماعة اخوته حضروا وبايعوه، فلما حضر لم يرهم فبايع وعاد إلى داره ، ثم طلب الباقون فامتنعوا ، عند ذلك أغلق باب الفردوس الذي يحتوي على دورهم بحيث لا يدخل عليهم طعام ولا غيره ، فبقوا على ذلك ثلاثة أيام فلما اشتدت بهم الحال طلبوا المبايعة ، فأحضروا فبايعوا[٢] .

ولم تكن هذه الفئة من الأمراء العباسيين تتمتع بالثروة والأموال بل كانوا فقراء ينتظرون صدقات وهبات الخلفاء ، ومن الأدلة على حكمنا هذا تلك الروايات التي توضح رعاية الخلفاء لهذه الفئة، فانه في سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) ، أمر الخليفة المستنصر بالله بان توزع ثمانية الاف دينار على الفقراء وخصص منها الف دينار للأشراف المقيمين بدار الشجرة من دار الخليفة[٣]، وفي سنة (٦٤١هـ /١٢٤٣م)، أمر الخليفة المستعصم بأن يحمل إلى اعمامه واولاد الظاهر بأمر الله والى اخيه عبد العزيز عشرون الف دينار[٤] .

ولكن كان هناك فئة من عائلة الخلفاء كان لها دور في الحياة السياسية والحياة العامة ونقصد بها نساء الخلفاء وأمهاتهم. فكن يتمتعن بنوع من الحرية والاتصال بالمجتمع ، فأنشأن المرافق العامة لخدمة المجتمع، ومن تلك النساء السيدة بنفشه زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله ولعل ذكرها في المصادر عائد إلى دورها في الخطبة بولاية العهد للأمام الناصر لدين الله ، فقد اشارت على المستضيء بالخطبة له بعد ان فكر وبدعم من حاشية بالبيعة لأبنه أبي منصور هاشم[٥]. وقد حفظ الخليفة الناصر هذا الجميل ، فلما تولى الخلافة أنزلها في الدار التي كانت تقيم بها والدته السيدة زمردخاتون ، ولما توفيت السيدة بنفشة سنة (٥٩٨هـ/١١٨٣م) ، تولت أمرها والدة الخليفة الناصر وجهزتها أحسن جهاز[٦] ، وهذه السيدة لم تلد للمستضيء ولدا، وانصرفت

---

١ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ص٨، ق٢، ص٣٥٤.

٢ - ابن العبري ، مختصر ، ص ٢٥٤ ؛ الاربلي ، المصدر السابق ص ص ٢٩٠ - ١ ؛ مجهول ، الحوادث، ص١٥٩.

٣ - الغساني ، المصدر السابق ، ص ٤٧١ .

٤ - المصدر نفسه ، ص ٥١٦ .

٥ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص ٣٥٤.

٦ - أبو شامه ، الذيل ، ص ٢٩.

إلى أعمال الخير. وكان لها خدمات جليلة للمجتمع العباسي[١] ببغداد وخارجها، فقد جعلت دارها بأسفل البلد على شاطيء دجله مدرسة ووقفتها على الحنابلة ، وجعلت لها الوقوف الكثيرة ، كما انها بنت قنطرة على نهر عيسى ، وعقدت جسراً على دجلة [٢] .

وأما السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء وأم الخليفة الناصر لدين الله، وهي صاحبة القبة الفخمة و التربة الضخمة القائمة بجوار تربة الشيخ معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد ، كانت في الاصل مملوكة تركية ، ثم ولدت السيدة اولادا فاعتقها اكراما لها من العبودية . وقد عاشت زمرد خاتون في خلافة زوجها وقضت من خلافة ابنها اربعا وعشرين سنة ، أنشأت رباطا في محلة المأمونية . وتم افتتاحه سنة (٥٧٩هـ [٣] /١١٨٣م)، كما أنشأت مدرسة عرفت باسمها [٤].وكان لها مبرات وأوقاف للخيرات واحسان كثير للعباد والزهاد والفقراء[٥] .

وكانت السيدة باب بشير[٦] ذات بر ، وقفت المدرسة البشيرية، ووقفت دار للقران أيضاً، ورباطا للنساء المتصوفات[٧] .

وكانت هذه الفئة من النساء يتمتعن بالثروة الطائلة والاملاك الواسعة فالسيدة بنفشة كانت تخرج في كل عام زكاة الفطر صاعا من الذهب، فكانت تخرج صاعا من تمر ثم تقول : " هذا ما فرضه الشرع علي ، وأنا لا أقتنع ان مثلي لهذا ، فتخرج صاعا من الذهب العين ، وتأمر بتفريقة على الفقراء[٨]" ، كما أنشأ لها الخليفة المستضيء بأمر الله دارا لم يكن ببغداد مثلها[٩] .

---

١ - حول الاعمال التي انشأتها هذه الفئة من النساء أنظر الفصل الرابع، (المرافق والخدمات العامة) .

٢ - ابن الساعي ، نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، تحقيق مصطفى جواد ، دار المعارف، مصر ، (دت) ،ص ص١١١ -٢ .

٣ - ابن الاثير ، المصدر السابق ،ج ١٢ ، ص٥٠٣ .

٤ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق، ج٨، ص ٣٤٤.

٥ - مصطفى جواد ، سيدات البلاط العباسي ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) ص ١٧٤ ؛ مصطفى جواد ، "المعاهد الخيرية النسوية القديمة في العراق " بحث ضمن كتاب ، في التراث العربي ، ج١ ، ص ١٢٩.

٦ - هي عتيقة الخليفة المستعصم وزوجته وام ولده أبي نصر ، توفيت سنة ٦٥٢هـ وسميت بباب بشير نسبة إلى الخادم الذي كان يقف ببابها واسمه بشير .الغساني ، المصدر السابق، ص ٦١٨؛ جواد ، المعاهد الخيرية ، ج١ ، ص ١٣٢.

٧ - مجهول ، الحوادث ، ص ٢٧٥، الغساني ، المصدر السابق ، ص ٦٠٨ .

٨ - ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص١١٤ .

٩ - المصدر نفسه ،ص ص ١١٢ - ٣ .

أما السيدة زمرد خاتون فقد انفقت عندما حجت ثلاثمائة الف دينار ، وكان معها نحو الفي جمل تصدقت بها على أهل الحرمين[١] .

وكانت السيدة شاهان حظية المستنصر بالله (ت ٦٥١هـ/١٢٥٣) ، لها المنزلة الرفيعة والمقام الذي لا يصل اليه غيرها، وكان لها باب وديوان ووكلاء ، وحكمت في الديوان واقطعت القرى وملكت العقارات[٢] .

ويظهر لنا ان جميع نساء الخلفاء في هذه الفترة هن من الجواري والاماء وقد جرت العادة كما كان في الفترات السابقة من التاريخ العباسي ،انه إذا ولدت احداهن للخليفة ولدا أو بنتا حررها من العبودية وعقد عليها عقد الزواج ، فتكون زوجته (اي حرة متزوجه) . تتمتع بكل الامتيازات التي تتمتع بها النساء الحرائر .

ونخلص من هذا كله إلى ان الأمراء العباسيين لم يكن لهم اي نشاط سياسي أو اجتماعي بل كانوا مقصوريين في دار الخلافة .

٣- الأمراء المماليك

وكان أغلب هؤلاء الأمراء من المماليك الاتراك ، وقد كونوا في أواخر الدولة العباسية فئة عسكرية ، فكان لكل من هؤلاء الأمراء مماليك خاصين به ، وهكذا كان التدرج في رتب هؤلاء المماليك ، فهم ما بين غلام - اي مجرد جندي بسيط - ، وامير وهو عادة من كبار المماليك .

وكان هؤلاء الأمراء يقومون بأعمال مختلفة تدل عليهم ألقابهم، وهؤلاء يكونون عادة مقربين إلى الخلفاء ومختصين بخدمتهم [٣] ، فمنهم من عمل شرابياً للخلفاء ، وعمله تقديم انواع الاشربة المعمولة من السكر أو الفواكه ، والاهتمام بها وتقديمها بأواني خاصة قد تكون من البلور أو الذهب الصيني الفاخر [٤] .

وممن تولى هذه المهمة الأمير نجم الدولة أبو اليمن نجاح الشرابي ، وكان في البداية يخدم الخليفة الناصر وهو صغير ، حتى انه في ذات يوم سقط الناصر من على سطح كان يلعب عليه،

١ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ق٢ ، ص٥١٣.
٢ - الغساني، المصدر السابق ، ص ٥٩٩.
٣ - فهد ، تاريخ العراق ، ص٢٤٨.
٤ - المرجع نفسه ، ص ٢٥٦.

فرمى نجاح الشرابي نفسه وراءه، فسأل عن ذلك ، فقال : " ما كنت أوثر الحياة بعده" ، فلما ولى الناصر الخلافة قربه منه[١]، حتى سمي"سليمان دار الخلافة " ، وكان ملازما للناصر لا يغيب عنه ساعة [٢]، فجعله الناصر بعد ذلك مقدم الجيوش العباسية[٣] .

ولما توفي نجاح الشرابي حزن عليه الخليفة ، وامر ان لا يتخلف عن جنازته أحد لا وزير ولا غيره ، فصلى عليه الخليفة الناصر بنفسه تحت التاج[٤] ، وكان بين يدي التابوت مائة بقرة والف شاه ، ومائة قوصرة تمر ، ومائة حمال على رؤوسهم الخبز ، وعشرون على رؤوسهم ماء الورد، وتصدق عنه الخليفة بعشرة الآف دينار ، وأعتق مماليكه ، ثم دفن في تربة ام الخليفة الناصر لدين الله[٥].

وكان شرف الدين إقبال الشرابي ، شرابيا للخليفة المستنصر بالله وكان في بداية حياته مملوكاً لنجاح الشرابي ، ثم انتقل إلى زوجته بعد وفاته ، فلما أفضت الخلافة إلى الظاهر بأمر الله حملته اليه فقبله ، وارسله إلى ولده المستنصر ، فلما افضت الخلافة له ، قربه وجعله شرابيا له ، ولما صارت الخلافة للمستعصم بالله زادت منزلته عنده ، وقربه منه، وكان المستنصر قد امره على جيوشه وعساكره[٦].

وكان إقبال الشرابي قد بذل جهودا كبيرة في البيعة للخليفة المستعصم بالله ، فقد توفي الخليفة المستنصر ولم يعهدلأحد من بعده فاستدعى الشرابي المستعصم من مسكنه سرا من باب يفضي إلى غرفة في ظهر داره ، فسلم عليه بالخلافة ، واجلسه على السدة بعد ان شاهد والده مسجى، وكتم خوفه ولم يعلم به الا بعض الخدم[٧].

---

١ - ابن الفوطي، المصدر السابق ، ج٤،ق١، ص٣٧٤.

٢ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق٢، ص٦٠٠.

٣ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق١، ص٣٧٤.

٤ - التاج : اسم لدار من دور الخلافة ، وكان اول من أسسها وسماها بهذا الاسم الخليفة المعتضد، وتكامل بنائها في عهد ابنة الخليفة المكتفي- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥،ص٧١.

٥ - سبط بن الجوزي، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٦٠٠؛ابن الفوطي ، المصدر السابق، ج٤ ، ق١، ص٣٧٤ ، الغساني ، المصدر السبق ، ص ٣٦٤.

٦ - مجهول، الحوادث ، ص٣٠٥؛ الغساني ، المصدر السابق ٤٢١.

٧ - مجهول ، الحوادث، ص١٥٨ ؛ ناجي معروف ، حياة اقبال الشرابي ، مطبعة الارشاد ، بغداد، ١٩٦٦، ص٣٨.

ويوم وفاة إقبال الشرابي سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) ، كان الخليفة في طريقه لزيارة مشهد الامام علي بن أبي طالب (ر) فلما علم بذلك عاد إلى بغداد[١] . وقد قيل بعد وفاته" انه قد اختلت الاحوال بعده"[٢] ومن المماليك الذين كان لهم الحضوة عند الخلفاء الأمير علاء الدين الطبيرسي الظاهر ، الذي اشتراه الظاهر بأمر الله وقدمه وادناه منه ، فأرتفع قدره وشاع ذكره ؛ وزوجه بأبنة بدر الدين لولو صاحب الموصل، وكان العقد في دار الوزارة بحضور قاضي القضاة على صداق مقداره عشرون الف دينار، وقد وهب له المستنصر بالله ليلة زفافه مائة الف دينار، وكانت تدر عليه في السنة مائتي الف ، وكان كريما جوادا خلع على مماليكه وخدمه في عيد رمضان سنة (٦٢٦هـ /١٢٢٨ م) ، الف وسبعمائة خلعة[٣] ، فلما توفي سنة (٦٥٠هـ / ١٢٥٢م)، رثاه الشعراء ، ومنهم عز الدين أبي محمد بن عبد الحميد بن أبي الحديد بقوله :

بأبي علاء الدين فاضت نفسه ... لم تغنه الانصار والأعوان

متجشـع للموت قد غدرت به ... أيامـه وزمانــه الخوان

ذهــب طلاوة وجهه فكأنه ... تــرب وكان كأنه عقيان [٤]

وكان منصب مقدم الجيش أو قائد الجيش من المناصب التي اسندت لهؤلاء الأمراء المماليك ، فتولاه الأمير خالص الخادم، وكان الخليفة الناصر قد رعاه لأنه خدمه أيام امارته[٥]، وقد رآه ابن جبير عندما زار بغداد سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤ م) ، فوصفه قائلا[٦] : "وورونق هذا الملك -يقصد الخليفة الناصر- انما هو الفتيان والاحباش والمجابيب ، فمنهم فتى اسمه خالص ؛ وهو قائد العسكرية كلها أبصرناه خارجا أحد الايام وبين يديه وخلفه الأمراء والاجناد من الاتراك والديلم ، وحوله خمسين سيفا مسلولة ".

تولى الأمير مجاهد الدين ايبك المستنصري قيادة الجيش في عهد كل من الخليفة المستنصر والمستعصم [٧].

---

١ - الغساني ، المصدر السابق ، ص ٦١١.

٢ - مجهول ، الحوادث ، ص ٣٠٩.

٣ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٥٩١.

٤ - المصدر نفسه والصفحة.

٥ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

٦ - الرحلة ، ص ١٨٢

٧ - الغساني ، المصدر السابق، ص٥٥٤.

كما اسندت اليهم بعض الأعمال الشريفة مثل امارة الحج التي كان يندب لها بعض هؤلاء الأمراء في موسم الحج ، وقد تكرر انتدابهم لهذا العمل في سنوات متتالية، بعد ان كان أمير الحج في العهود العباسية الاولى يختار من الأمراء العباسيين ، ثم من الرجال البارزين في العلويين وقد استمر ذلك طوال القرنيين الرابع والخامس الهجريين[١].

وشاركوا في الأحتفالات والخروج بالمواكب الرسمية في المناسبات والأعياد ، فكانت مواكبهم تسبق موكب الخليفة ، حيث يكون خروجهم من وقت السحر ففي عيد رمضان سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م) ، كان أول من خرج الأمير مجاهد الدين ايبك المستنصري ركب من داره وقت السحر في الاضواء والشموع ثم تلاه الأمير علاء الدين الطيبرسي ، ثم سارت العساكر بعدهم إلى ان خرج موكب الخليفة في الاضواء إلى المصلى[٢].

وكانت تظهر معالم الأبهة والمفاخرة على تلك المواكب ،حيث الخيول العربية ، والسروج الذهبية والمماليك ، ونلاحظ ذلك في موكب عيد رمضان سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م)، فقد خرج العسكر ومقدمه مجاهد الدين ايبك المستنصري ،وكان ركوبه بعد طلوع الشمس في الاضواء والشموع وكان بين يديه من الخيول العربية بالسروج الذهب مائتا فرس على يد مائتي مملوك، ثم تبعه الأمير شجاع الدين الطبيرسي الظاهري ، وكان بين يديه مثل ذلك ،ثم عسكر شرف الدين أقبال الشرابي وفيه من التجمل و الكثرة عددا وعددا ما يزيد على الجميع ،وبعدها كان موكب الخليفة وفيه من المماليك الترك ومماليكهم ما يزيد على خمسة الاف[٣].

وكانت رواتب هؤلاء الأمراء من اعلى الرواتب التي تمنح لكبار رجال الدولة ، فقد كانت رواتبهم تزيد على خمسة الاف دينار سنويا، فكانت معيشة االامير سلطان شاه عبد الرحمن بن الأمير محمود زنكي ويعرف بابن صاحب سنجار الذي ورد بغداد شابا في أيام المستنصر فاكرم مثواه ، وجعلت معيشته خمسة الاف دينار كل سنة [٤] .

---

١ - فهد ،تاريخ العراق ، ص٢٦٠.
٢ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٥٤٣.
٣ - المصدر نفسه ، ص٥٥٤،
٤ - المصدر نفسه ، ص٥٩٧،

كما تمتعوا بالثروة الطائلة والواسعة ، فالأمير علاء الدين الطبيرسي المعروف بالدويدار[1] الكبير أعطاه الخليفة المستنصر بالله يوم زواجه مائة الف دينار و أقطعه قوسان [2] ، وكان يحصل له منها املاك استجدها حدود ثلاثمائة الاف دينار ، وبنى دارا بشرق بغداد تشرف على دجلة لم يكن ببغداد مثلها، حتى ان الخليفة المستعصم قد استحسنها فطلبها منه[3].

وكانت لعبد الغني بن فاخر كبير فراشي دار الخلافة (ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م)،دار تشبه دور الملوك ، وكانت نفقته في الشهر مائة و خمسين ديناراً [4].

ورغم المكانة العالية والقوة التي حصل عليها هؤلاء الأمراء الا أن هذا لايعني أنهم كانوا خارجين عن سيطرة الخلفاء ، فحتى تولى المستعصم الحكم سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ، كان الأمراء وما يملكون رهن رضاء أو غضب الخليفة، فأي محاولة للخروج على طاعته كان مصيره القتل أو الحبس و مصادرة امواله ، كما حدث للامير مجير الدين طاشتكين، الذي تولى أمارة الحج أكثر من عشرين مرة [5] ، وتمتع بالاقطاعات الواسعة ولكن بعد اتهامه بالتآمر على الخلافة بمراسلته صلاح الدين الأيوبي سرا، ورغم أنه لم يثبت عليه شيئامن ذلك ، الاأننانجد أن الناصر يأمر بالقبض عليه ، ويعزله عن أمارة الحج، ويحبسه بدار الخلافة [6].

ولكن هذه السيطرة على الأمراء لم تستمر في عهد الخليفه المستعصم فقد كان رجلا ضعيفا بعيدا عن الدهاء ،ترك أمور دولته إلى حاشيته و أمرائه.و في ظل هذا الفراغ السياسي نجد التنافس بين الأمراء لملئه ، ومثال ذلك ما حدث بين الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير من جهة ،و الأمير فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبيرسي الدويدار الكبير، والوزير مؤيد الدين بن العلقمي من جهة أخرى ، فقد اتهما الأمير مجاهد الدين بالتامر على الخليفة ،ونقل

---

١ - الدويدار: عرفها القلقشندي بقوله موضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان (الخليفة) ، وابلاغ عامة الامور ،وتقديم البريد . صبح الاعشى،ج٤، ص١٩.

٢ - قوسان : كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٤١٣.

٣ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٦٥

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٥٢؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٥٨٠

٥ - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق،ج٨،ق١،ص٤١٥ ؛ابن العماد ،مصدر السابق ،ج٥،ص٨.

٦ - سبط من الجوزي ،المصدر السابق ،ج٨،ق١ ،ص٤١٥؛ أبو شامة ،الذيل ،ص٥٣؛ابن كثير ،المصدر السابق،ج١٢ ،ص٢٧٤،الذهبي ، تاريخ الاسلام ،ط٦٤،ص١١٣.

الخلافة لابنه الاكبر ،و لكنه انكر ذلك ،و طلب مقابلته بمن أتهموه ، فخاف مجاهد الدين على نفسه، وجمع عساكره ، وباتوا تحت السلاح ، ورغم إرسال الرسل له من قبل الخليفة من اجل طمأنته الا انه اصر على الجمع بينه وبين من اتهمه حتى وقعت فتنة عظيمة بين عوام سوق المدرسة النظامية ومشرعة الصباغين بسبب ذلك ،و قتل فيها خلق كثير وجرح عالم عظيم ، فاشتد خوف الناس ، ولكن استمر مجاهد الدين على عناده ،حتى ان الخليفة اخذ يركب شبارته ويتجاوز بها بجوار دار الأمير ، وأرسل له مره أخرى الرسل الا أنه طلب في النهاية أن يكتب له امان يعلم فيه الناس ويقرأ على الجميع ، وتم له ذلك ،فعاد إلى طاعة الخليفة(١).

وعلى الرغم من عدم وقوع صدام بين قوات الخليفة وقوات الأمير ، الا أن هذا الأمر كان سببا في اثاره الفتن داخل بغداد والتي قتل بسببها الكثير من الناس ، كما أن هذا يعكس مدى نفوذ الأمراء وتحديهم لسلطة الخليفة . في الوقت الذي كانت تحتاج اليه هذه الفترة من عمر الخلافة إلى الوحدة والتكاتف والتضامن ضد المغول الذين اخذوا يهددون بغداد.

٤- كبار موظفي الدولة

١- الوزراء ونوابهم

لم يعد منصب الوزارة ، كما كان في العصور السابقة مقصورا على بيوتات معينة كالبرامكة وآل سهل وآل الفرات ، بل نجد ان الوزير في هذه الفترة قد بدأ في وظيفة متواضعة كاخد الشهود العدول (٢)، ثم ترقى في سلك الوظيفه فاثبت أهليته وقدرته على الادارة فرقي إلى منصب الوزراء ، فجلال الدين أبو عبد الله . أول وزراء الناصر لدين الله بعد ابن العطار كان أحد الشهود العدول ، ولكن تقلبت به الاحوال حتى صار وزيراً (٣)،وكذلك ابن القصاب فقد كان أبوه يبيع اللحم على رأس درب البصريين ببغداد(٤) .

---

١ - مجهول ،الحوادث ،ص ص٢٩٤-٥.

٢ - الشهود العدول :من الوظائف الدينية التابعة للقضاء ،و حقيقة هذه الوظيفه القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم من حقوق محملا عند الاشهاد واداء عند التنازع و كتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس و اموالهم. عبد الرزاق الانباري ، منصب قاضي القضاة في الدوله العباسية ،ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ١٩٨٧١،ص٢٨٤.

٣ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٣ ؛ ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣١٣.

٤ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٤.

ويتضح إن الوزراء العباسيين في هذه الفتره كانوا على درجه كبيرة من المعرفة والثقافة والاطلاع في الشؤون العلمية والأدبية ، بالاضافة إلى اختصاصهم السياسي والاداري ، فقد كان الوزير مؤيد الدين ابن القصاب قد نشأ مشتغلا بالعلم والادب ، وبرع في العلوم والحساب والمساحات [١]، وكذلك الوزيرالسيد نصير الدين بن ناصر بن مهدي العلوي ، فقد اشتغل بالادب في حياته فحصل منه طرفا.ثم تبصر بأمور الدواوين[٢]، وبرع بعضهم بالشعر وحفظة ورواية الطرائف من الاخبار مثل الوزير مؤيد الدين بن القمي[٣]. وكان الوزير مؤيدالدين بن أبي طالب بن العلقمي قد اشتغل هو أيضاً بلادب في صباه وكتب خطا مليحا[٤] وهكذا تجلى شرط العلم والثقافة والخبرة في ادارة الدواوين ، ثم الاستقامة في السلوك الاجتماعي في اختيار الوزارء في هذه الفترة،ولعل تقلص مساحة الدولة العباسية و صغر مسؤولياتها في هذه الفترة اضافة إلى الهدوء السياسي الداخلي نسبيا ،و عدم وجود المؤامرات المستمرة بين الوزراء و القادة العسكريين كان لها تأثيرا في شروط اختيار الوزير[٥] .

ولكن يجب ان نستثني من هذا الحكم فترة خلافة المستعصم .حيث لعب الوزير مؤيد الدين ابن العقلمي دورا كبير في البيعة للمستعصم ،فبعد وفاة الخليفة المستنصر بالله سنة(٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، أخفى الحاشية وعلى رأسهم الأمير شرف الدين إقبال الشرابي والوزير ابن العلقمي خبر وفاة المستنصر بالله و بايعا المعتصم بالله للينه بدلا من اخ المستنصر المعروف بالخفاجي لشجاعته [٦]، وهكذا تحقق لهم ما ارادوا من تحكم في شؤون الدولة وتصريف الامور .

وكان من رسم الوزيرفي هذه الفترة ان تكون له دارٌ متفرده في دار الخلافة [٧] يجلس بها، فلما عين الوزيرابن القمي أنتقل من داره الىالدارالتي يسكنها الوزراء والنواب قبله [٨].

---

١ - المصدر نفسه و الصفحة.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٢٥

٣ - المصدر نفسه ، ص٣٢٦.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٣٧.

٥ - فهد ،تاريخ العراق،ص ص١٠٥-٦.

٦ - السيوطي،تاريخ،ص ص٤٦٤-٥.

٧ - و في فترة التسلط البويهي زالت هذه الدار بزوال منصب الوزارة،ولما استعادت الوزارة مكانها،عاد الوزراء للجلوس في تلك الدار.ابر هيم سلمان الكروي ،نظام الوزارة في العصر العباسي الاول ، ط٢،مؤسسة شباب الجامعه،الاسكندريه،١٩٨٩،ص٢٥١.

٨ - الذهبي،مختصر ،ج١،ص٣٢،(استدراك) .

وكان الوزير موضع احترام من قبل الحاشية ، وكان له الحق في موكب خاص ، فقد جرت العادة ان يصحبه كبار الموظفين، ورؤساء الجيوش والقضاة عند انتقاله من داره إلى دار الخلافة فلما ولى ابن يونس الوزارة "مشى أرباب الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة"(١) .

ولم تقتصر مهام الوزارء على الشؤون الادارية ، بل شاركوا في الحياة العسكرية وقيادة الجيوش ، فابن يونس قاد الجيش إلى همذان سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) ، لقتال طغرل الثالث ، ولما تلاقى الطرفان أنكسر الوزير وأخذ أسيرا و حمل إلى همذان، ومكث في الاسر مدة ثم أطلق سراحه ، فوصل إلى بغداد متخفيا(٢)، كما انه عندما طلب طغرل الثالث الخطبة له ببغداد،سير الخليفة الناصر وزيره ابن القصاب-بعدأن خلع عليه خلعة الوزارة - إلى خوزستان فملكها ، ثم اتجه إلى همذان(٣) .

ولابد من الإشارة إلى أن الوزير في هذه الفترة لم تكن له الصلاحيات التي كانت في العصر العباسي الاول،فكان تعيينه وعزله يتم بهدوء دون اي ضجة أو احتجاج من مؤيد أو منافس ،هذا من جهة،ومن جهة أخرى نجد أن الخلفاء حرصوا على مباشرة الامور بأنفسهم،فيقوم بمطالعة الرسائل و كتابة التواقيع و تصريف الامور ،ولم يكن للوزير الا مهمة التنفيذ لما يريده الخليفة،وليس أدل على ذلك مما وصف به ابن جبير حال الوزارة فقال (٤):"وليس له اليوم وزير"،انما له خديم يعرف بنائب الوزارة،يحضر الديوان المحتوى على أموال الخلافة وبين يديه الكتب فينفذ الأمور"،وكذلك وصف الحموي صاحب التاريخ المنصوري حال الوزير نصير الدين بن المهدي الغلوي"وفي كل الاحوال هو نائب وزارة لا مطلق الوزارة"(٥).

وقد اختلفت الأسباب التي كانت وراء عزل الوزراء. فالناصر بعد أن ولي الخلافة بأسبوع قبض على ابن العطار وسجنه ثم أخرج ميتا، ولعل السبب في ذلك يعود إلى موقف ابن العطار من البيعة بولاية العهد للناصر ، فقد كان من المعارضين لتولية الناصر ، و حث

---

١ - ابن الوردي ،المصدر السابق ،ج٢،ص١٤٢.

٢ - الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود النجار ،ذيل تاريخ بغداد،منشور مع كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في المجلدات ١٥،١٦،١٧.دار الكتاب العربي ،بيروت ،(د.ت)،ج٢،ص١٧.

٣ - ابن الاثير ،المصدر السابق،ج١٢،ص١٠٨؛الاربلي،المصدر السابق، ص٢٨١؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص١٠٦؛ الغساني،المصدر السابق،ص٢٣٠.

٤ - الرحلة،ص١٨١؛ فاروق عمر ،المرجع السابق،ص١٥٦.

٥ - الحموي،المصدر السابق ،ص٧٠.

المستضيء بأمر الله على تولية ابنه الآخر أبو هاشم منصور ،فلما ولي الخلافة بقي حقده عليه ، فنكبه [١] .

واما الوزير نصير الدين بن مهدي العلوي فقد اختلف في اسباب عزله فبعضهم قال : انه كان ظالماً جبارا متكبرا قليل الرحمة ، وبعضهم قال :انه كان يروم الخلافة لنفسه [٢] ، وقال آخرون :انه أتهم في قتل تنامش مملوك الخليفة الناصر[٣] ، ورغم الاختلاف في الاسباب التي علل بها المؤرخون عزل ابن مهدي عن الوزارة الا ان المهم أن عزله لم يحدث اي بلبلة أو اضطراب في بغداد أو خارجها خاصة إذا علمنا انه شيعي.

وكان قد خصص للوزير منذ العصر العباسي الأول راتب شهري حدده الصابيء بسبعة الآف دينار[٤]، ولكن هذه الرواتب اخذت تزداد على ما يبدو و خاصة في العصور العباسية المتأخرة حتى أصبحت عشرة أضعاف ذلك[٥] ، فنجد ان بعض الوزراء قد كون ثروة طائلة بعد ان تولى الوزارة ، فهذا الوزير نصير الدين العلوي . الذي قدم إلى بغداد هاربا من أمام قوات علاء الدين تكش خوارزم شاه بعد أن استولى على الري ، فأنه عندما عُزل عن الوزارة سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) ، أحصيت ثروته فزادت عن خمسمائة ألف دينار [٦] ، ولما توفي نائب الوزارة نصير الدين أبي الأزهر أحمد بن الناقد سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) ، وجد في خزانته صندوقاً ورقعة مكتوبة بخطه :" هذا من فواضل أنعم مولانا وصدقاته ، وهو من استحقاق بيت المال ،فذكر أنه بلغ مائة ألف دينار [٧] ".

١- ابن العبري ، المصدر السابق ، ص٧٥ ؛ ابن الطقطقى ،المصدر السابق ، ص٣٢٣.

٢ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٣٣.

٣ - أبو شامه ، الذيل ، ص٥٩؛ سبط بن الجوزي ،المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٣٣.

٤ - أبو الحسن الهلال بن الحسن الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، بغداد ،١٩٦٤ ، ص٣٧٨ .

٥ - ابراهيم سلمان الكروي ، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول ،ط٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص١٩ .

٦ - ابن الفرات ، المصدر السابق ،ج١ ، ص٦٢.

٧ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٩٢.

وكان من تقاليد الوزارة أن يضرب للوزير الطبل والبوق عندما يركب للخروج إلى أعماله، فلما عزل الوزير نصير الدين بن مهدي العلوي " حضر عنده ليلاً من شافهه بالعزل ، وأغلق بابه وضرب له الطبل في تلك الليله بالرحبة جرياً على عادته "(١) .

وقد ظهر في هذا العصر تقليداً جديداً فقد أكثر الخلفاء من أستخدام نواب الوزراء (٢) ، فمن صلح حاله رُقيّ إلى منصب الوزارة ، ومن عجز نحي عنها ، واصبحت لنائب الوزارةُ حجرة خاصة يجلس فيها بعد عودته من دار الخلافة ليكتب الإنهاء إلى الخليفة . ويشير إلى ذلك صاحب الحوادث عند حديثه عن تولية أبي الازهر بن الناقد وخروجه من دار الوزارة "وتقدم إلى الديوان جميع أرباب الدولة ، فدخل اليه وجلس في الموضع الذي جرت عادة نواب الوزارة الجلوس فيه ، وكتب الإنهاء وبرز الجواب فقرأه قائماً على الحاضرين "(٣).

وكان قد شغل منصب الوزارة في هذه الفترة خمسة عشر شخصاً كان منهم في منصب الوزارة الكاملة خمسة : اثنان منهما عينا وزراء منذ البداية وهما أبو المظفر عبد الله بن يونس، وابو المعالي سعدُ بن حديدة ، وثلاثة رقيا من منصب نائب الوزارة واستاذية الدار وهما محمد بن علي بن القصاب ، ونصير الدين بن مهدي العلوي (٤) ، ومؤيد الدين بن العلقمي وزير المستعصم الذي رقي من استاذية الدار (٥) .

وهذا إن دل على شيء فان الخلفاء ارادوا ان يجعلوا مقاليد الامور في أيديهم وليس في يد الوزير ، حتى يتمكنوا من تحقيق ما يريدون من احياء الخلافة واعادة قوتها . حتى ان الخليفة الظاهر لم يستوز احد بل اقر اباالحسن محمد بن القمي على نيابته حتى وفاته ، وكذلك فعل المستنصر فانه لم يستوزر بل إقر بن القمي على نيابته إلى ان عزله سنة (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) ، ونقل ابا الازهر أحمد بن الناقد من استاد الدار إلى نيابة الوزارة فكان على ذلك إلى آخر ايامه (٦).

---

١ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٢٠.

٢ - ؛ القزاز ، المرجع السابق : ص١١١.

٣ - الحوادث، ص٣٤ ؛ القزاز ، المرجع السابق ، ص١١١.

٤ - الأربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٣. وجميع هؤلاء تولوا منصب الوزارة في عهد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ).

٥ - ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٧ . وراجع القائمة باسمائهم في أحلام النقيب ، المرجع السابق ص٧٣.

٦ - الاربلي ، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

وقبل ان نختم الحديث عن الوزراء ومنصب الوزارة لا بد من التأكيد على ان الفترة من (٦٤٠-٦٥٦ هـ/ ١٢٤٢ - ١٢٥٨م) ، اختلفت فيها مهام الوزير وواجباته فبعد ان كان الوزراء اداة لتنفيذ رغبات الخليفة ، نجد ان مؤيد الدين ابن العلقمي وزير المستعصم بالله طيلة هذه الفترة قد تحكم في مقاليد الامور وتصريف الاموال. ولقد كان لشخصية الخليفة الانقيادية ، وعدم اكتراثه في امور الدولة ، وتقليده الامور لرجال ضعاف ليس لهم هم الا أشباع للرغبات والشهوات ، اثر في افساح المجال للوزير ابن العلقمي ليصبح الآمر الناهي في دولة بني العباس في ايامها الاخيرة .

ب- أستاذ الدار [١]

كان أستاذ الدار من كبار موظفي الدولة ، وقد وصف ابن جبير مهام أستاذ الدار قائلا[٢]: "وله أمين على سائر الحرم الباقيات من عهد جده وابيه ، وعلى جميع من تضمنه الحرمة الخلافية يعرف بمجد الدين أستاذ الدار " .

وكان أستاذ الدار عندما تولى الناصر الخلافة من أقوى رجال الدولة نفوذاً فقد فوض الناصر لأستاذ داره مجد الدين بن الصاحب جميع الامور في الدولة ، حتى ان الخطباء كانوا يدعون له بعد الدعاء للخليفة على المنابر في بغداد [٣] .

ومما يدل على أهميته وقوته كركن من اركان الادارة في الدولة العباسية أنه كان مسؤولا أو مشاركا في اخذ البيعة للخليفة الجديد،فلما كانت البيعة للخليفة الناصر سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)،تولى اخذها استاذ الدار بن الصاحب [٤] ، وتولى اخذ البيعة للمستنصر بالله استاذ الدار أبو نصر المبارك بن الضحاك بحضور نائب الوزارة ابن القمي[٥] ، وتولى استاذ الدار محمد بن العلقمي اخذ البيعة للخليفة المستعصم بالله[٦] .

١ - استاذ الدار : وظيفة يتولى صاحبها شؤون دار الخليفة ونفقاتها وامور الاسرة العباسية المقصورة في دار الخلافة كاخوات الخليفة واعمامه وابناء اعمامه .مقدمه مصطفى جواد، لكتاب الجامع المختصر ، ج٩ ، ص يب.

٢ - الرحلة ، ص ١٨١ .

٣ - المصدر نفسه والصفحة .

٤ - الاربلي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ؛ الذهبي ، مختصر ،ج ١ ، ص ٣٠.

٥ - الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٦ .

٦ - المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ .

وكان لبعضهم اثر في اثارة الفتن بين السنة والشيعة ، فكان ابن الصاحب شيعي ايد الشيعة في ممارسة عقائدهم واحتفالاتهم في الشوارع . مما ساهم في وقوع الفتن والاقتتال بين السنة والشيعة، وكان لهذا الموقف الخطير الذي وقفه ابن الصاحب من دعم لطرف ضد اخر ، ومما ترتب عليه من اثارة الفتن ، ان تخلص منه الناصر سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) [١] ، ولما قبض عليه اخذت امواله فكانت الف الف دينار [٢] .

ج- قاضي القضاة

كان قاضي القضاة ، من كبار رجال الدولة العباسية ،ويمثل ركناً من أركان الحياة الادارية ، وهذه الرتبة في القضاء تمثل أعلى درجة يصل اليها القاضي، فان قاضي القضاة غالبا ما كان يبدا قاضيا في منطقة من مناطق العراق أو في قطاع من قطاعات بغداد ثم يرتب قاضي القضاة [٣].

وكان أي خليفة يلي الحكم ينظر في أمر كبار رجال الدولة ، فيعزل من يشاء ، ويبقى من يراه أهلاً لوظيفته ، وكان لقاضي القضاة رسم خاص به وهو أن يحمل غاشية على الكتف في موكبه إذا سار [٤] .ولأهمية مركزه فانه لا يترك شاغرا لفترة طويلة ، وحدث مثل ذلك سنة (٥٩٨هـ / ١٢٠١ م) ، الا أنه لم يدم إلا اياما قليلة [٥].

ورغم المكانة الدينية التي يتمتع بها قاضي القضاة كأحد كبار علماء الدين الاسلامي، إلا إنه عندما ينسب اليه الفساد كان لا بد من عزله ، وحدث مثل ذلك لقاضي القضاة فخر الدين أبي الحسن العباسي[٦]- الذي تقلد المنصب من سنة (٥٨٤-٥٨٨هـ / ١١٨٨-١١٩٢م)-،

---

١ - انظر ما سبق عند الحديث عن الشيعة .

٢ - الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٨٧.

٣ - فهد ، تاريخ العراق ، ص ١٨٤ .

٤ - ابن الوردي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٢؛ فهد ، تاريخ العراق ، ص ١٨٧.

٥ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٨٠ .

٦ - هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي أبو الحسن العباسي المكي الاصل البغدادي الدار ، كان جده نقيباً للعباسيين بمكة، تولى القضاء إلى ان عزل، توفي ببغداد سنة ٥٩٥هـ .أبو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي المعروف بأبن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، حقق حرف الميم في جزئين بشار معروف، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٧٤،١٩٧٩، ص١٩٧. ص ص١٩٦-٨ ؛ المنذري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٥ ٦-٧ .

بسبب تزوير قام به [١] ، فعقد له أستاذ الدار ابن يونس مجلسا من الفقهاء والعلماء الذين اثبتوا عليه التهمة . وأوصوا بعزله فرفعت طرحته [٢].

وكان يضاف إلى قاضي القضاة من المهام ما يتناسب مع قدرته وعلمه فاسندت اليه مهمة النظر في الوقوف ، والنظر في المواريث [٣] لما تحتاجه هذه الجوانب من معرفة بالاحكام الشرعية والفقه الاسلامي.

وكانت الدولة تشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون شافعياً ، أما منصب قاضي القضاة فقد كان حكرا على الشافعية والحنفية ، والمرة الوحيدة التي تولاه فيها حنبلي كانت في زمن الخليفة الظاهر بأمر الله عندما اختار ابا صالح نصر بن أبي بكر بن عبدالرزاق بن عبد القادر الجيلي[٤]، لمنصب قاضي القضاة وبقي في هذا المنصب إلى ان عزله سنة(٦٢٣هـ[٥]/١٢٢٦م)، ولما عزل من القضاء قال أبياتا أولها:

حمدت الله عز وجل لما   قضا لي بالخلاص من القضاء [٦] .

ويلاحظ الباحث في تولي المناصب في هذه الفترة عملية توارث المناصب واقتصارها إلى حد معين على أبناء عائلات محدودة اشتهرت بها .فنجد منصب قاضي القضاة قد احتكرته عائلات مثل عائلة الدامغاني ، فقد تولى هذا المنصب منهم أربعة كان اخرهم عماد الدين أبو القاسم عبد الله بن الدامغاني[٧] ويمكن أن نوعز هذا إلى البيئة العلمية التي ينشأ فيها افرادها ، فكثيرا ما يستعين الأب بأبنه في بعض الأمور ، ثم يعهد اليه بأمور أخرى ، وهكذا يجعل الأب

---

١ - وكان قد اثبت أنه زور كتابا بأسم الحسن بن زركمل التاجر على امرأة تدعى فاطمة بنت محمد بن حديده ، زوجة أبي المعالي بن حديده الذي كان وزيرا .ابن الدبيثي المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩٧ .

٢ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج١، ص١٩٧؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ،

٣ - ابن الساعي، الجامع المختصر ،ج٩ ،ص٢٠؛فهد،تاريخ العراق،ص١٨٨

٤ - فقيه حنبلي تفقه على أبيه وعلى الشيخ النوقاني الشافعي ،ودرس بمدرسة جده بباب الازج،والمدرسة الشاطئية بباب الشعير،بعد عزله تولى الرباط المستجد بدار الروم ،وبقي على ذلك إلى ان توفي سنة ٦٣٣هـ مجهول،الحوادث، ص ص٨٦-٧ .

٥ - المصدر نفسه،ص١٨٧.

٦ - المصدر نفسه والصفحة.

٧ - ابن الساعي،الجامع المختصر،ج٩،ص٢٠١؛الأربلي،المصدر السابق،ص٢٨٣؛ ابن الفوطي،المصدر السابق،ج٤، ق ٢،ص ٧٧٦.

ابنه متمرسا ، حتى إذا ما قضى عمراً في القضاء ، واصبح مشهوراً بعلمه وعدالته ،رشح لشغل المنصب [١] .

وكان قاضي القضاة يشارك في البيعة للخليفة، فلما ولي الناصر لدين الله الحكم كان ممن بايعه البيعة الخاصة قاضي القضاة[٢] وشارك قاضي القضاة في مراسيم تعيين الوزراء ، حيث يحضر مع كبار رجال الدولة إلى ديوان الخليفة عند مشافهة الخليفة للوزير بأسناد ذلك المنصب له ، ثم يشارك في موكب الوزير بعد خروجه من حضرة الخليفة[٣] . وفي حالة شغور منصب الوزراة كان أحيانا يستناب قاضي القضاة لهذه المهمة فقد استناب الناصر لدين الله قاضي القضاة علي بن البخاري كنائب للوزارة إلى أن عزله[٤] .

وكانت هناك مهمة أخرى أضيفت إلى صلاحيات قاضي القضاة ، بعد ان كانت من مهام الخليفة العباسي حتى وفاة الناصر ، وهي مشافهة رأس مشيئة اليهود بالولاية على ابناء ملته حيث يرسله الوزير إلى قاضي القضاة من أجل إتمام مراسيم التولية، فيحضر إلى هناك، فلما رتب دانيال بن شمويل بن أبي الربيع رأس مشيئة اليهود سنة (٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) ، أرسله الوزير مؤيد الدين بن العلقمي إلى قاضي القضاة عبد الرحمن بن الدامغاني فأجلسه بين يديه ، وقال له : "رتبتك زعيما على أهل ملتك من أهل دينك المنسوخ الذي نسخته الشريعة المحمدية لتأخذهم بحدود دينهم وتأمرهم بما أمروا به في شريعتهم وتنهاهم عما نهوا عنه في شريعتهم وتفصل بينهم في وقائعهم وخصوماتهم بموجب شريعتهم والحمد لله على الاسلام[٥]".

د- حاجب الحجاب

الحجابة من الوظائف المهمة في الدولة ، وصاحبها همزة الوصل بين الخليفة والناس، يأذن لمن شاء بالدخول على الخليفة أو يمنعه وقد تطور منصب الحاجب فلم يعد عمله مقصورا على حجابة باب الخليفة ، وانما تولى أعمالا أخرى ، وكان الحجاب درجات ، واعلاهم درجة حاجب الحجاب الذي اصبح مقدم الحجاب جميعاً [٦] .

---

١ - فهد ، تاريخ العراق،ص ١٩٣.

٢ - ابو شامة،الذيل،ص ١٥،وهو أبو الحسن بن علي الدامغاني . الاربلي،المصدر السابق،ص ٢٨٣.

٣ - الغساني ، المصدر السابق، ص٢٠٣.

٤ - الاربلي ، المصدر السابق، ص٢٨٣.

٥ - مجهول، الحوادث، ص٢١٨.

٦ - القزاز ، المرجع السابق،ص١١٨.

ولم يقتصر عمل الحاجب على المهام الادارية . بل لعب بعضهم دورا في الحياة السياسية، فارسل كرسول من ديوان الخليفة إلى ملوك الاطراف، أوشارك في استقبال كبار الزائرين لبغداد. فقد ارسل الخليفة الناصرلدين الله حاجب حجابه علي بن المبارك بن محمد أبي الحسن البغدادي إلى صاحب سنجار[١]، وخرج حاجب الحجاب عمر التبريزي في سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩) ، لأستقبال رسول الملك العادل نجم الدين خليل[٢] .

وكان لحاجب الديوان لباس خاص يتميز به عن سائر الموظفين في الدولة أشار اليه أبو المحاسن بن تغري بردى عند حديثه عن توليه أبي عبدالله الدامغاني الحاجب "فرمى الطيلسان وتزيا بزي الحجبة " [٣] .

وكان حاجب الديوان إذا ابدى كفاءة في عمله ينقل إلى رتبة أعلى وهذا ما حدث لمحمد ابن عبد الباقي الشهرياري،فبعد ان كان مجرد حاجب بالديوان صار حاجب الحجاب، ثم تولى ديوان العرض وأخيرا تولى منصب نيابة الوزارة سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م)،بعد أنانعزل أبو الفتح صدقة بن محمد عن نيابة الوزارة ، وبقي فيها إلى أن عزل سنة (٥٨٥[٤]/ ١١٨٧م) .

وشارك الحجاب في مراسيم تنصيب كبار موظفي الدولة ، فلما ولي ركن الدين عبد الله محمد بن الوزير نصير الدين بن مهدي العلوي صدرية المخزن وخلع عليه، ركب في جمع كثير من حجاب الديوان[٥].

ب- فئة العامة

١- العلماء

كان العلماء يكونون ذلك الجزء المثقف من المجتمع في الشريعة والعقائد الإسلامية. لقد كانوا قضاة ورجال فقه وأئمة وفقهاء ، ومدرسين، وكان واجبهم الاساسي أن يحافظوا على معرفة التعاليم السماوية، ومد المجتمع باسباب الحياة ليبقى مجتمع اسلامياً.

---

١ - ابن أبي عذيبة، المصدر السابق ، مخ، ورقة ١١٧٥أ.

٢ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩، ص ص٤٨٣-٤.

٣ - النجوم ، ج٥ ، ص ١٩٣.

٤ - ابن الدبيثي، المصدر السابق، ج٢،ص٧٥؛فهد، تاريخ العراق ، ص ١٦٨.

٥ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩، ص٤٣.

فضلا عن ذلك كان العلماء نخبة ادارية واجتماعية ودينية معاً . زد على ذلك ان العلماء لم يكونوا طبقة متميزة ، بل فئة من الاشخاص متداخلين مع فئات اجتماعية أخرى .لقد كانت اتصالاتهم متنوعة إلى درجة كبيرة مكنتهم من لعب دور حاسم في العمليات التي استطاعت بها الأتصالات الإجتماعية ان تستمر ، وبالتالي في العمل على دمج المجتمع.

ولا بد ان نؤكد على حقيقة غاية في الأهمية تتمثل في انه من الصعب ايجاد حدود وشروط لتقسيم افراد المجتمع بين فئة الخاصة والعامة، خاصة بالنسبة للعلماء ، لهذا يمكن القول ان تقسيم العلماء إلى فئة الخاصة والعامة نوعزه إلى مدى العلاقة بين العلماء والسلطة .

وثمة ظاهرة تستدعي الانتباه في هذه الفترة تتمثل في تغيير المذهب فيكون العالم على مذهب ، وبعد مدة قصيرة نجده ينتقل إلى مذهب اخر ، ولعل هذا الانتقال له أسبابه التي سنلاحظها في ما يلي : فقد انتقل ابوجعفر عمر بن أبي بكر بن عبيد الله الدباس مشرف دار الكتب بالمدرسة النظامية الذي كان أولا حنبلي المذهب، ثم أنتقل إلى مذهب الشافعي ، وأقام مشرفا بدرا الكتب العتيقة بالمدرسة النظامية حتى توفى سنة(٦٠١هـ/١٢٠٤م) [١] وكذلك أنتقل الوجيه أبو بكر المبارك بن أبي الازهر[٢] الواسطي الضرير النحوي من المذهب الحنبلي إلى الحنفي ثم تحول إلى الشافعي، حتى قال فيه أبو البركات بن زيد التكريتي [٣] :

ألا مبلغاً عني الوجيه رسالة	وان كان لا تجدي لدية الرسائل
تمذهب للنعمان بعد ابن حنبل	وذلك لما اوعزتة المأكل
ما اخترت رأي الشافعي تدينا	ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قريب انت لاشك صائر	إلى مالك فافطن لما انت قائل[٤]

١ - ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص١٦٠.

٢ - من أهل واسط ، قدم بغداد مع ابيه في صباه فأقام بها إلى ان مات في شعبان سنة ٦١٢هـ ودفن بالوردية ياقوت الحموي، معجم الادباء "ارشاد الاديب إلى معرفة الاديب"،تحقيق احسان عباس،٧ج، ط ٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت،١٩٩٣، ج٥ ، ص٢٢٦٣.

٣ - هو أبو بركات محمد بن أحمد بن سعيد التكريتي الملقب بالمؤيد الشاعر كان عنده ادب ويكتب بخط مليح ، وينظم الشعر ، توفى في رمضان سنة ٥٩٩هـ. ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩،ص ص١٠٧ -٩.

٤ - ياقوت الحموي، معجم الادباء ؛ ج٥،ص٢٢٦٦؛ ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج٤،ص١٥٤؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٥٨.

وانتقل الشيخ علي بن معالي الحلي المعروف بابن الباقلاني[١] وكان حنفياً إلى المذهب الشافعي[٢] .

ويرى الباحث في مثل هذه القضية ان التحول كان يرتبط لمصلحة شخصية تمثلت بمنصب يرغب فيه ذلك العالم ففي المثالين الأولين نجد ذلك واضحا . إذا علمنا ان المدرسة النظامية كانت مدرسة شافعية موقفة على اتباع مذهب الشافعي وشرط الواقف لها ان لا يتولى التدريس بها اواحد مناصبها الادارية الاشافعيا، لذلك كان من الطبيعي لمن اراد التدريس بها كالوجيه ان يتحول من مذهبه إلى المذهب الشافعي .

وشارك العلماء في ادارة الدولة من خلال توليهم لبعض المناصب الادارية، فقد ولي الشيخ يحي بن سعيد بن هبة الله العلامة (ت٥٩٤هـ/١١٩٧م) حجبة الباب للخليفة الناصر ، ثم تولى استاذية الدار[٣] ، وتولى الشيخ رضي الدين عمر بن أبي القاسم التبريزي منصب حاجب الحجاب وقد كان أحد علماء النظامية[٤] .

---

١ - كان شيخ وقته في علم الادب والنحو قدم بغداد واستوطنها وبقي فيها إلى ان توفي سنة ٦٣٧هـ.مجهول، الخوادث، ص ص١٣٧-٨.

٢ - المصدر نفسه والصفحات.

٣ - ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٦،ص١٤٤.

٤ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩،ص١٤٥.

وشارك العلماء في الحياة السياسية شأن غيرهم من افراد المجتمع فذهبوا بسفارات للديوان إلى ملوك الأطراف ،فقد أرسل الديوان الشيخ فخر الدين محمد بن الربيع مدرس النظامية إلى محمد خوارزم شاه سنة (٦٠١هـ[١]/١٢٠٤م)، كما أرسل في نفس السنة رسولا إلى ملك الهند وغزنه شهاب الدين الغوري [٢] ، وأرسل أبو جعفر عمر بن ابراهيم بن عثمان التركستاني،الواعظ سنة(٦٠٢هـ/١٢٠٨م)، سفيرا من الديوان إلى ملك غزنه السابق[٣] ، وكذلك ارسل الشيخ أبو محمد عبد الله رئيس الاصحاب [٤] ومدرس النظامية رسولا دمشق ومصر سنة (٦٥٠هـ[٥]/١٢٠٥م) .

ولكن هذا لا يعني ان جميع العلماء كانوا على علاقة طيبة مع السلطة بل نجد ان بعضهم يرفض عطايا الخلفاء ، فقد ارسل الخليفة الناصر لدين الله إلى أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري شيخ العراق، وصاحب التصانيف وكان زاهدا خمسمائة دينار فردها، وكان يعتمد في معاشه على دار وحانوت يؤجرها في كل شهر بدينار ونصف يعيش منهما[٦].

ولا بد عند الحديث عن العلماء من التطرق إلى وضعهم المادي والمعاشي فنجد أن العلماء لم يتمتعوا بالمكانة المادية والثروة التي كان يتمتع بها الأمراء المماليك بل حتى مكانة كبار خدم دار الخلافة ، ويتضح ذلك من خلال مقارنة بين ثروتهم ورواتبهم ، ورواتب بعض الأمراء والخدم .

فعندما افتتحت المدرسة المستنصرية سنة (٦٣١هـ /١٢٣٣م) ، عين بها المدرسون على المذاهب الاربعة ، ولابد انهم كانوا من اشهر علماء تلك المذاهب ، وحدد لهم راتب شهري مقداره أثني عشر ديناراً [٧] ، ونجد انه لايقارن براتب بعض الأمراء ، بل حتى اصغرهم فقد كانت معيشة الأمير السلطان شاه عبد الرحمن بن الأمير محمود صاحب سنجار خمسة الآف

---

١ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩، ص١٤٣.

٢ - المصدر نفسه، ج٩،ص١٨٤.

٣ - الاصحاب : لقب اطلق على اتباع الامام الشافعي ولهم رئيس يدعى رئيس الاصحاب.جمال الدين أبو حامد محمد بن الصابوني ، تكملة أكمال الاكمال في الانساب والاسماء، والالقاب، مكتبة عالم الكتب، بيروت،١٩٨٦،ص٢٣.

٤ - المصدر نفسه ، ص ص٢٧-٨.

٥ - الغساني ، المصدر السابق ، ص ص٥٨٥-٦ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢٥ .

٦ - الغساني ، المصدر السابق ، ص ص١٨٦-٧ .

٧ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٦٠ .

دينار في كل سنة . ما عدا معاش افراد خدمته [١] ، وكان شيخ فراشي دار الخلافة في عهد المستعصم ، عبد الغني بن فاخر يتشبة بالملوك .وكانت داره تشمل على عدة حجر في كل حجرة جارية وخادم، ثم رتب لكل جارية عملا فواحدة شرابية ، واخرى غسالة واخرى طباخة إلى غير ذلك [٢] .

ولكن هذا لا يعني ان جميع العلماء كانوا لا يمتلكون الثروة والاموال، بل نجد بعضهم من الأغنياء . فكان الشيخ محمد بن أحمد بن الحسن بن جردة احد الموسرين ذوي الاموال الكثيرة فقد بنى مساجد ووقف عليها وقوفاً جيدة[٣] ، كما بلغت تركة فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ، ثمانين الف دينار [٤] .

وشارك العلماء العامة في ممارسة المهن والأعمال على الرغم من مكانتهم العلمية ، فبعضهم عمل بالتجارة والسفرمن اجلها[٥]، والعمل بتجارة البز[٦] ، والخرز [٧]، والخياطة[٨] ، والدلالة[٩] ، وغيرها من المهن .

وكان أهل العراق في هذه الفترة يتمذهبون للشافعي [١٠]، ولأبي حنيفة[١١] ولأحمد بن حنبل[١٢] ولجعفر الصادق[١٣]. أما الامام مالك فلم يكن يتمذهب له سوى بعض العلماء ، وخاصة الوافدين من مصر أو المغرب[١٤] .

---

١ - المصدر نفسه ، ص٥٩٧ .
٢ - المصدر نفسه ، ص٥٨٠.
٣ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٠.
٤ - ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢١.
٥ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٨٤.
٦ - المصدر نفسه ،ج٤ ، ق١ ، ص٢٨٥ ، ص٤٩٢.
٧ - ابن المستوفي ، المصدر السابق ،ج١ ، ص٣٨٢.
٨ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٢٥.
٩ - المصدر نفسه ، ص٣٢٤
١٠ - المصدر نفسه ، ص٢٠٣ ،ص٢٢٥،ص٢٣٩.
١١ - المصدرنفسه ، ص٣١٨.
١٢ - ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٥، ص٤٩.
١٣ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٣١٨.
١٤ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص ص٢١٠-١٢.

٢- التــجــار

على الرغم من أن التجار قد اعتبروا من فئة العامة ، الا اننا نرى الصابئ يعتبرهم من فئة الخاصة الذين عددهم " الوزراء والكتاب والحواشي والاصحاب والامراء والقواد والاشراف والقضاة والشهود والتناء والتجار وأولي المروءات والاحوال الوافرات ." (١)

ونعتقد ان الصابئ كان يعني بهم كبار التجار الذين كانوا يتعاملون مع الخاصة وما كانوا يكسبونه من تجارتهم مع هذه الفئة من ارباح طائلة انعكست على حياتهم المعاشية.

وفي الفترات السابقة من التاريخ العباسي كان العدد الأعظم من التجار في العراق من اليهود ، فلما نشطت حركة التجارة بسبب تنظيم الاسواق وازدياد الاهتمام بالصيرفة ، حدثت تطورات أجتماعية كان منها أزدياد إقبال العرب المسلمين على التجارة ، وعلو مكانه التجار من الناحية المادية(٢) .

وكان التجار يقسمون في هذا العصر إلى ثلاث فئات (٣) :

١- التاجر الخزان : وطريقته في العمل أن يشتري البضائع وقت رخصها وتوفرها في الاسواق وكثرة عرضها وقلة طلبها ، ثم يخزنها انتظاراً لتغير ظروف الاسواق ، وقلة هذه البضائع وانقطاع وصولها أو صعوبة نقلها من أماكنها الاصلية ، وعند ذلك يعرضها للبيع لتكون ارباحها منها كبيرة .

٢- التاجر الركاض: ومهمته الرحلة والانتقال لجلب التجارة من البلدان الاخرى،وكان أول ما يقوم به معرفة نوع التجارة التي يجب جلبها ثم يلاحظ جملة أمورمثل سرعة ذهابه وأيابه ، وسلامة الطريق إن كان سفره براً،وانواع الاعاصير ان كان سفره بحراً ، والحوادث المتوقعة في البلدالذي يقصدة،ويكون ذلك قدأخذبقول النجار"التبصرنصف عطية " .

٣- التاجر المجهز : وطريقته في عمله أن يستقر في السوق ببلده ، وأن يكون له وكلاء في بلدان مختلفة ممن لهم خبرة بالتجارة ، وممن يثق بهم ، بعد ان يتفق معهم على حصة معينة من الربح ، فيرسل اليهم البضائع ليبيعها ، ويترك لهم حرية النظر في بيعها ، إذ قد لاتباع

---

١ - الصابيء ، المصدر السابق، ص٢١.

٢ - الكروي، طبقات ، ص ٧٤.

٣ - أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي ، الاشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد ، دمشق ، ١٣١٨هـ، ص ص٤٨-٥١.

السلعة فتكسد لذلك يلجأ الوكيل لخزنها حتى يحين الوقت المناسب ، ثم يشتري البضائع من ذلك البلد بعد ان يكون قد تخير أحسنها وأدرها ربحاً .

وقد سافر هؤلاء التجار من اجل الكسب والتجارة إلى الشرق والغرب إلى دمشق ، وخراسان ، وما وراء النهر [١] وبلاد الروم [٢] والحجاز [٣] .

وكان كبار التجار (الخاصة) يتاجرون بادوات الترف الغالية الثمينة كالمجوهرات والرياش والثياب الفاخرة والرقيق ، وكان اعتمادهم في بيعها بالدرجة الأولى على الخلفاء وحاشيتهم من كبار رجال الدولة والاغنياء[٤] ، أما عامة التجار[٥] فقد تاجروا بالتوابل والعطر والبخور[٦] والدروع والسيوف والبغال والحمير[٧] والأدوية[٨] وغيرها من المواد .

وقد ارتبط بعض التجار بخدمة أسرة الخليفة ، فكان محمد بن علي بن أحمد الناقد التاجر (ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) ، متولي وكالة الباب الشريف للجهة والدة الخليفة الناصر لدين الله ، ثم أضيفت اليه وكالة الأمير الكبير . ولد الناصر[٩] وكان علي بن ابراهيم البزاز (ت٦٢٧هـ/١٢٢٩م) ، من أعيان التجار ووجوه البزازين في بغداد ، تولى نظر دار الأستعمال بدار الخلافة[١٠] أما ابن العطار فقد كان تاجراً ، فتولى منصب صاحب المخزن ثم ولي الوزارة إلى أن اعتقله الناصر في اول أيام حكمه [١١] .

---

١ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٤٩ .

٢ - سبط بن الجوزي، المصدر السابق ، ج٨،ق٢ ،ص٤٣٨ .

٣ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٩٨ .

٤ - الدوري ، تاريخ العراق ، ص١١٤ .

٥ - عادل الالوسي ، تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٦٤،ص٢٠٥.

٦ - النويري ، المصدر السابق ، ج١٢ ،ص٢٣ .

٧ - حمدان الكبيسي، اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص١٨٧ .

٨ - ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٥ ،ص١٠

٩ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج٢ ،ص١٤

١٠ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٢٧.

١١ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ،ق٢ ،ص٨٦٢.

ووصل بعضهم إلى اعلى المناصب في الدولة فابن القصاب كان والده يبيع اللحم على رأس درب البصريين ببغداد ، ولكنه استطاع الوصول إلى منصب الوزارة [١].

وادى كبار التجار دورا في الرعاية الإجتماعية للفقراء بتقديم الطعام والاموال لهم ، فكان علي بن جابر أبو الحسن التاجر (ت٦٤١ هـ /١٢٤٣م) ، مسارع إلى قضاء حوائج الناس[٢]. كما أن عز الدين أبو حامد علي بن داود كان من أصحاب الأموال وله خيرات على الفقراء[٣] ومثلهم كان محمد بن جعفر بن دلف احد التجار الموصوفين بالخير والصلح ومساعدة الغرباء ومواساة ذوي الحاجات[٤].

والى جانب احترا فهم لمهنة التجارة كان بعضهم يميل إلى العلوم والمعارف فيشتغل فيها إلى جانب مهنتة ، فابو المحاسن محمد بن أحمد بن الحسن الاصبهاني التاجر (ت٥٩١هـ/١١٩٤م) ، كان قد سمع الحديث وحدث ببغداد[٥] .

وكان أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب الحراني (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م)، من كبار التجار، مع ذلك اشتهر باسناد الحديث عن جماعة من الشيوخ وانفرد بالرواية[٦] .

وكان بعض التجار في فترة الأزمات السياسية ، وخاصة أولئك الحريصون على مصالحهم وأموالهم يقفون إلى جانب القوي حتى وإن كان ذلك القوى عدواً لبلادهم ، فنجد إن من التجار في آواخر هذه الفترة من تعاون مع المغول والوقوف إلى جانبهم، بل إنه ولمتانة العلاقة بين هؤلاء التجار والمغول نجد إنه بعد غزو المغول لبغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، أن بيوت هؤلاء التجار كانت امن لمن لاذ بها بعد ان فشل الخليفة من المحافظة على روحه وارواح ابنائه ، ومثال لهؤلاء التجار عز الدين بن مقلد بن صفي الدين بن الخرداذي ، الذي كان من عظماء التجار العراقيين فيكفي دليلا على عظم ثروته ما دفعه سنة (٦٤٩هـ/١٢٥١م) ، صداقا لأبنة عمه مقداره مائة الف دينار، وهذا ما لم يسمع مثله الا عند الخلفاء والسلاطين، هذا التاجر خرج من بغداد إلى فارس واستوطنها ، ومن هناك اتصل بأمراء المغول، وتحدث مع السلطان

---

١ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٤.
٢ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٣ ،ص٢٣٥.
٣ - ابن الفوطي ، المصدر ، ج٤ ،ق١ ، ص٢٥٠.
٤ - ابن الدبيثي، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٩٩.
٥ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٢٣٦.
٦ - ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج٩،ص٢٦ ص٤٧ ابن كثير، المصدر السابق، ج١٣، ص٢٦.

"كيك خان" في الصلح مع الخليفة ، وقدم بغداد مع رسول السلطان ثم عاد ومعه الهدايا والتحف، وكان ذلك سنة(٦٥٢هـ[١] /١٢٥٤م). ومثال اخر ما جاء في حوادث سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) عن جماعة من تجار بغداد كانوا يسافرون إلى خراسان وغيرها ، وقد ارتبطوا ببعض امراء المغول قبل حلول السنة المذكورة ، وحصلوا على فرامين . فلما فتحت بغداد ، خرجوا إلى الأمراء ، وعادوا ومعهم من يحرس بيوتهم والتجأ اليهم جماعة من جيرانهم فسلموا من قتل المغول[٢] .

كما كانت الحكومة العباسية تتدخل أحيانا لحماية مصالح التجار العراقيين في الخارج ، فمن ذلك ما جاء عن تاجر بغدادي أنه توفي باحدى الجزر ببحر عمان وخلف ثلاثمائة الف دينار ذهباً فأخذها صاحب الجزيرة ، فجاء الوارث بكتاب من قاضي بغداد وطالب بالميراث، ولكنه رفض اعطاءه المال، فعرض الرجل حاله على الديوان فاطلع الخليفة الناصر لدين الله عليه فأمر زعيم البصرة بان يمنع التجارة من الوصول إلى هذه الجزيرة، فضاق اهلها بذلك ، لذا قرر اميرها ان يدفع الميراث لصاحبه[٣] .

وكان للتجار والباعة أسواق خاصة بهم انفرد كل منها بنوع معين من التجارة ، وهذا التنظيم للأسواق وضع منذ تأسيس بغداد في القرن الثاني الهجري، ولما توسعت بغداد في القرون التالية أنتشرت الأسواق في جانبيها الشرقي والغربي ولقد وصف أسواقها ابن جبير بقوله[٤]: "والشرقية حفيلة الأسواق عظيمة الترتيب تشمل على بشر لا يحصيهم الا الله "، وكانت اشهر اسواق الجانب الشرقي سوق الثلاثاء، وقد اصبحت في هذا العصر المركز التجاري الرئيس لبغداد [٥]، ووصفها ابن بطوطة فقال[٦]:" وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيه على حده. وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية."

---

١ - مجهول ، الحوادث، ص ٢٥٩؛ فهد ، تاريخ العراق، ص٣٥٩.

٢ - مجهول ، الحوادث، ص٣٢٩؛ فهد ، تاريخ العراق، ص٣٦٠.

٣ - ابن الاثير، المصدر السابق ، ج١٢،ص١٨٣، فهد ، تاريخ العراق ، ص٣٥٧.

٤ - الرحلة ،ص ص١٨٢-٣.

٥ - مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد قديما وحديثا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٩٥٨،ص١٧٤.

٦ - محمد بن عبدالله اللواتي المعروف بابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، تحقيق علي المنتصر الكتاني،٢ج ، ط٣، مؤسسة الرسالة ، بيروت،١٩٨١، ج١، ص٢٤٣.

٣- الرقيق والجواري

يعتبر الرقيق من الفئات الدنيا التي شكلت مجتمع المدينة الإسلامية ، وكثر جلب الرقيق إلى قصور الخلفاء والحكام والأمراء وراجت تجارة الرقيق مع زيادة الطلب عليها، وازدهرت أسواق الرقيق في بغداد حيث وجد بها سوق للنخاسة، وأطلق على أحد شوارعها أسم شارع الرقيق[١]، كما سمي موضع آخر باسم دار الرقيق [٢].

وكان يتم الحصول على الرقيق أما عن طريق الحرب حيث كانت عاملا مهما في جلبه إلى بغداد وبيعه في اسواقها ، وخاصة في العصر العباسي الاول، ولكن بعد هذه الفترة قلّ جلب الرقيق لنضوب هذا المصدر أو ندرته.

وكان الشراء مصدراً آخر من مصادر توفير الرقيق، فبعد القرن الرابع الهجري كانت تجارة الرقيق تجارة رابحة[٣] .وكان التهادي بالجواري والرقيق مصدراً - وان كان قليلا - لتوفير الرقيق فقد تسابق ملوك الاطراف في تقديم الهدايا للخلفاء من الجواري فكان من جملة ما أهداه الملك الافضل بعد وفاة والده السلطان صلاح الدين الأيوبي للخليفة الناصر " نساء بارعات في الحسن من السبي[٤] ، وأهداه السلطان العادل سنة (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) ؛ جماعة من أسرى الفرنج[٥] . وكان الديوان الخلافي يتولى شراء الرقيق فيعين لهذه المهمة شخص يقوم بهذه المهمة ، ويذهب من اجل ذلك إلى مختلف الأماكن ، واشترى الأمير خالص الخادم عشرين جارية، وكانت كل جاريه بالف دينار[٦] .

ويبدو ان هناك أسباب وظروف خاصة تحكمت في اسعار الرقيق والخدم فكان ثمن العبيد البيض يزيد عن سعر العبيد السود ، فكانت تؤخذ الجارية الحسناء على جمالها بالف دينار

---

١ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٩٠.
٢ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٨٣.
٣ - الدوري ، تاريخ العراق ، ص٧٦.
٤ - ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٨.
٥ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٦٠.
٦ - الايوبي ، المصدر السابق، ص٨٠

وأكثر[١] ، واحتراف المهنة كان يرفع من السعر فقد اعترض رجل جارية ليشتريها ، فقال لها: بيدك صنعة ؟ فقالت : لا ولكن برجلي، تعني انها رقاصة فاشتراها[٢] .

ولم يكتف الأغنياء بواحدة من الجواري للخدمة بل كان منهن للفراش وقد يصل عدد من كن للفراش إلى عشرين جارية ، كل جارية قيمتها الف دينار[٣] .

كما أن الجواري لم يقتصر تواجدهن في بيوت الأغنياء المترفين بل نجد منهن في بيوت العلماء[٤].

واختلفت جنسيات الجواري باختلاف بلادهن ، فمنهن الحبشيات[٥] والترك[٦]، والصقالبة[٧]، وهناك جواري يجلبن من الصين وهن رخيصات الاسعار[٨] ، وكانوا يحصلون على الرقيق الاسودمن الحبشة والسودان عن طريق مصر، واما الرقيق الابيض فكان اغلبه من الترك ويجلب عن طريق خوارزم[٩].

وكان النخاسون الذين يتاجرون بالعبيد ومن أجل تحقيق الارباح يلجأون إلى مختلف وسائل الغش والتحايل في عرض وبيع الرقيق ، ومن اشكال التحايل كان تغير الوان العبيد ، فالسمراء تصير ذهبية[١٠] ، ومنهم من يعمد إلى تطويل شعور الجواري بأن يصلوا في طرفه من جنسه ، وأن يزيلوا روائح الأنف بالسعوط ، ويجلوا الاسنان بالسواك ، وكانوا يزيلون الشعث في اطراف

---

١ - متز ، المرجع السابق ،ج١ ،ص٢٩٨

٢ - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، اخبار الظراف والمتماجنين ، راجعه وقدم له طه عبد الرزاق سعد ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، (د.ت) ،ص٩٩ .

٣ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق٢، ص٥١٥.

٤ - السيوطي ، طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر،ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣، ص٤٩٦.

٥ - ابن خلكان ، المصدر السابق، ج٧،ص٣٧، ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٨٢.

٦ - ابن الساعي ، نساء الخلفاء، ص١٢٤.

٧ - مصطفى، المرجع السابق، ج٢،ص٢٢.

٨ - أبو عبدالله بن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك،تحقيق علي النشار،٢ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ،١٩٧٧،ج١،ص٤٠٤.

٩ - الدوري ، تاريخ العراق، ص ص ٦ ٧-٧.

١٠ - أبو الحسن بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان ، رسالة في شري الرقيق وتقليب العبيد ،تحقيق عبد السلام هارون ،٤ج ، ضمن مجموعة من نوادر المخطوطات ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر، ١٩٧٣، ج٤، ص١٧٩.

الأصابع بغسلها بالعسل والخل ، كل ذلك حتى يحصل على أعلى سعر[١] ، يقول احد النخاسين: "ربع درهم حناء يزيد ثمن الجارية مائة درهم فضة"[٢].

وكانت الجواري تكتب ابيات من الشعر على ثيابها ، تتعلق بالحب والعشق والحنين للمحبوب، وقد كان الوجيه النحوي المعروف بابن الدهان ملازما لبيت الوزير عضد الدين أبي الفرج بن رئيس الرؤساء، وكان يبيت ويصبح يقرىء أهله فاقترحت عليه احد جواريه ان يعمل لها ابياتا تكتبها على قميص أصفر ، فعمل أبيات منها:

أنظر إلى لابسي وانظر إلى وكن ... من مثل ما حل بي منه علـى خطر

هذا اصفراري يراه الناظرون وما ... في القلب من حبه يخفي على البصر

أموت في خلعة بالليل لـــي كمدا ... لولا انتظار وهاد منه فـــي السحر.

وقد رضي الوزير عن ذلك بعد ان رآها[٣].

والناس يشترون الرقيق والخدم لأغراض مختلفة حسب حاجتهم اليهم فبعضهم اشتراهم من اجل مساعدته في تجارته، فياقوت الحموي [٤] الذي أسر في بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر ابراهيم الحموي ، ثم جعله فـي الكتاب لينتفع بـه فـي تجارتـه، وكان مولاه لا يحسن الخط، ولا يعلم سوى التجارة ، ولما كبر شغله بتجارته ،فكان يتردد إلى عُمّان والشام وغيرها من البلاد[٥].

---

١ - المصدر نفسه، ص ص٣٨١-٢.

٢ - متز ، المرجع السابق، ج١، ص٣٠٣.

٣ - ياقوت الحموي، معجم الادباء ، ج٥،ص٢٢٦٨.

٤ - هو أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الدرمي البغدادي الحموي وقد اعتقه مولاه سنة ٥٩٦هـ، وأعطاه شيئا من المال ، ولكنه أنصرف إلى الاشتغال بالعلم فتوجه إلى دمشق وناظر بعض من يتعصب للامام علي ، فذكر كلام لا يليق بالامام علي ، فثار عليه الناس حتى كادوا يقتلونه، فانهزم إلى حلب ثم إلـى الموصل، وبعدها عاد إلى حلب ومات سنة ٦٢٦هـ، ومن اشهر مؤلفاته ، معجم البلدان ،معجم الادباء والمشترك وضعاً والمختلف صقعاً. ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٦، ص ص١٢٧-٣٨؛ ابن المستوفي ، المصدر السابق، ج١، ص ص٣١٩-٢٤؛ ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٥، ص ص١٢١-٢.

٥ - ابن المستوفي ، المصدر السابق، ج١، ص٣١٩.

وكان عنبر خادم الوزير أبي المعالي سعيد بن حديدة، خادما جلدا ذكيا،وكـان يتاجرلسيده قبل توليه الوزارة[١] واستخدمت الجواري من اجل الخدمة في البيوت[٢] واشترى الأغنياء الرقيق من اجل العمل في الحقول والمـزارع التـي يملكونهـا[٣] واسـتخدموا للخدمـة فـي قصـور الخلفـاء، ويبدو ان اعداد هؤلاء الارقاء والعبيد الذين يشتغلون في خدمة دار الخلافة كانت كبيرة ولكن لم نصل إلى احصائية لهم في هذه الفترة ، فقد اشترى الخليفة الناصر لابنه أبي الحسن علـى مـن المماليك الترك عدد كبيرا [٤] ، "وكان عند الخليفة الناصر من المماليك ما لم يملكه خليفة "[٥].

ولما دخل هولاكو بغداد حضر الخليفة المستعصم بيـن يديـه، فطلـب مـن الخليفـة أن يفـرز النساء التي باشرهن هو وبنوه، ويغزلهن عن غيرهن ، ففعل فكـن سـبعمائة امـرأة، فـأخرجهن ومعهن ثلاثمائة خادم خصي[٦].

وكانت أسعار الرقيق تختلف حسب جنسه ولونه، والهدف من شـرائه. فقد اشـترى الخليفـة الناصر الخادم أقباش بن عبدالله وكان عمره خمس عشـرة سـنة بخمسـة الآف دينـار[٧]، وكـانت عتب بنت عبداللـه جاريـة للعباسية ابتاعتهـا مـن اسـتاذ الـدار ابـن الصـاحب بمبلـغ عشـرة الآف دينار[٨].

١ - ابن الساعي ، الجامع المختصر، ج٩،ص٤٢.

٢ - ابن النجار ، المصدر السابق، ج٢،ص١٢٢.

٣ - الدوري، تاريخ العراق،ص٦٦.

٤ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٢، ص٤٧.

٥ - الكتبي، فوات ، ج١،ص٦٧.

٦- ابن العبري ، مختصر ، ص٢٧١.

٧- أبو شامة ، الذيل ، ص١٢٣؛ سبط بن الجوزي، المصـدر السـابق،ج٨،ق٢، ص٦١١؛ الذهبـي ، تـاريخ الاسلام، ط٦٤، ص٣٣.

٨- ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص١٣٥.

وكانت الجواري من المجالات التي قال فيها الشعراء اجمل ابيات الغزل بوصف جمالها ورقتها، فهذا الشاعر سبط بن التعاويذي يصف جاريه سفراء بقوله :

بات بها الأسمر من سُمّارى مطرز الخدين بالعذار(١) .

وقال الشاعر نجم الدين يعقوب بن صابر(٢) في وصف جارية :

وجاريــة عبـــرت للطـواف وعبرتـهـــا جذراً تدمعِ

فقلت أدخلي البيت لا تجزعي ففيه الآمــان لمن يجزعِ

سدنتـــه لبنـــي شيبـــــة فقالت : ومن شيبة أفزعِ(٣) .

ويمكن القول ان المجتمع الاسلامي قد ألف وجودالجواري الكثـيرات فـي البيـوت علـى مستويات إجتماعية مختلفـة ، لذلك أصبح الأقتران بـالجواري غير معيب ، فـاذا اولـد الرجـل جاريته ، نراه يعتز باولادها ، ولا يرى فـي الإعتراف بهم أي بـأس(٤) ، فلو أمعن النظـر فـي جنسيات امهات الخلفاء في هذه الفترة ، نجد أنهـا لـم تختلـف عنهـا فـي العصـر العباسـي الأول ، فجميع الخلفاء من أبناء الجواري ، فالناصر لدين الله ابن جاريه تركيـة مملوكـة جلبهـا الجلابـون من بلاد الترك إلى دار الخلافة ، وكانت جارية للخليفة المستضيء بأمر الله ، وله جارية أخـرى أسمها بنفشـة ، فاعتقهمـا فصارتـا زوجتين ولقبت زمـرد خـاتون(٥) ، وأم الظـاهر جاريـة تدعـى قشوة(٦)، والمستنصر بالله ابن جارية أسمها شيرين(٧) ، أما المستعصم باللـه فأمـه جاريـة هنديـة تسمى هاجر(٨).

١ – ديوانه ، ص٢٢٦.

٢ – هو نجم الدين يعقوب بن صابر البغدادي المنجنيقي ، عاش اثنين وسـبعين سنة ، وصنـف كتـاب عمـدة المسالك في سياسة الممالك ، توفي سنة ٦٢٦هـ . الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٤٠.

٣ – ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٣٨.

٤ – فـهـد ، العامة ،ص٣٣.

٥ – ابن الساعي ، نساء الخلفاء ،ص١١١ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج١٣ ، ص٤٠ ؛ مصطفى جواد ، سيدات البلاط ، ص١٧٣.

٦ – الغساني ، المصدر السابق ، ص٤١٢ ، ويذكر الاربلي ان أسمها كبقجة ، ص٢٨٤.

٧ – الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٢٠.

٨ – المصدر نفسه ، ص٥١٠.

ونالت بعض الجواري اللواتي يخدمن بدار الخلافة الرعاية والعناية من قبل الخلفاء فكانت ست شمائل وأسمها شجرة الدر التركية حظية عند الناصر مقربة اليه ، وكانت تكتب خطاً جيداً، وتقرأ له المطالعات الوارده عليه عندما تغير نظره ، ويملي عليها الأجوبة[١] ، وكان عمر بن جلدك المطالغاتي من فراشي دار الخلافة ، ويقوم بنقل مطالعات الخليفة إلى الوزير[٢].

وكان هناك ظروف خاصة تدفع إلى اعتقاد الرقيق ولعل على رأسها عامل الدين والعقيدة، وذلك لما للدين من تأثير في المجتمع الاسلامي ، فالخليفة الظاهر بأمر الله والموصوف بالتقوى عندما تولى الخلافة تقدم إلى وكيله أبي المظفر هبة الله الموسوي[٣] في عتق خمسين جارية ، فأعتقهن وأخرجهن بما كن يملكن ، وجعل لكل واحدة في السنة مائة دينار[٤] .

وأعتق الأمير سليمان بن نظام الملك جميع مماليكه سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) بعد أن حضر مجلساً من مجالس ابن الجوزي بباب بدر[٥] .

ويمكن القول أن الرقيق ، وخاصة الجواري ، ورغم أنهن يمثلون ادنى فئة العامه في السلم الإجتماعي ، ألا أن بعضهن ، قد أدى دوراً مهماً في الحياة الإجتماعية وبالذات جواري الخلفاء وصاحبات الحظوة عندهم .

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص٩٧ . ويذكرها القفطي "بست نسيم " .

٢ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٠٠.

٣ - هو فخر الدين أبو المظفر هبة الله بن علي الموسوي ، صدر المخزن ، ولي الوكالة للخليفة الناصر ، ثم ولي صدرية المخزن سنة ٦٢٠هـ، وأقره الظاهر ، وبعده أقره المستنصر ثم عزله، توفي سنة ٦٣٣هـ ،ابن الفوطي ، المصدر السابق، ج٤ ، ق٣ ، ص٤٣٤.

٤ - ابن الكازروني ، مختصر ، ص٢٥٦.

٥ - مجهول ، الحوادث ، ص١٢٤.

الفصل الثاني

التنظيمات الاجتماعية

أ - نقابة الأشراف

الأشراف هم أولئك الذين ينتسبون الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ويطلق عليهم "أهل البيت" (١) ، وترجع هذه العبارة الى الآية الكريمة "انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" (٢) . ولكن منذ القرن الرابع الهجري حدد هذا اللقب بالطالبيين (العلويين) ، و العباسيين (٣) .

ومن أجل رعايتهم و حماية مصالحهم ،فقد جعلت لهم الدولة نقابة خاصة ، وقد عرفها الماوردي بقوله(٤) : "وهي موضوعة على صيانة ذوي الانساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ، ولا يساويهم في الشرف، ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى." .

كان الفرعان من أهل البيت : العباسيون و الطالبيون ،يخضعون لنقيب واحد حتى القرن الرابع الهجري، وفي نهاية هذا القرن صار لكل فريق منهم نقيب ، و السبب في ذلك يعود الى أن أمر العباسيين بدأ بالضعف ، وبدأ أمر العلويين بالقوة ، ويكمن السبب في ذلك أنه في سنه (٣٣٤هـ/٩٤٦م) ، دخل البويهيون الى بغداد ، وهؤلاء شيعة زيدية ، حتى أن معز الدولة بن بويه أراد نقل الخلافة الى أبي الحسن محمد بن يحيى الزيدي ، فحذره خواصه من سخط الناس و مخالفتهم ، لأن عامة الناس في الأقطار قد إعتادوا الدعوة العباسية، ودانوا بدولتهم ، وأطاعوهم ، طاعة الله ورسوله،ورأوهم أولي الامر ، فلم يعد العلويون يقبلون بالإشراف عليهم من قبل العباسيين (٥) .

ولعدم وجود إختلاف بين النقابتين من حيث الشروط الواجب توفرها في النقيب،أو مهامه ، لذلك سيكون الحديث عنهما شاملا ،ولا نفصل بينهما الا في حالة وجود اختلاف، والنقيب هو الزعيم لأحد الأسرتين العلوية أو العباسية،ولقد كان هنالك شروط يجب أن تتوفر في المرشح

---

١ - دائره المعارف الاسلامية ، مادة شريف .

٢ - الاحزاب ، الايه٣٣ .

٣ - دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شريف؛ فهد ، تاريخ العراق ، ص٢٣١ .

٤ - الاحكام السلطانية ، ص١٥٣. وقد قسمها الى نوعين : خاصة وعامة ، ففي الاولى ليس له الارعاية الأشراف دون تجاوز على ذلك ، اما العامة فبالاضافة الى حقوق الولاية الخاصة فله الحكم بينهم ، والولاية على أيتامهم ، وأقامة الحدود،وتزويج الايامى ، وايقاع الحجر على من سفه . ص١٥٤-٥ .

٥ - عبد العزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان ،بغداد ، ١٩٤٥ ، ص٢٤٨ .

للمنصب،منها أن يكون عالما من أهل الإجتهاد والتقوى والصلاح،ومعرفة بمسائل الشرع، وإحاطة بأخبار العرب وأنسابهم وأصولهم،فهو مرجع السادة و حافظ انسابهم[١] .

وكان للنقابة جهاز أداري يتكون من النقيب ، ونائب النقابة [٢] لكي ينوب عن النقيب في حالة غيابه أو سفره أو مرضه،فيتولى صلاحيات النقيب الكاملة ، فقد ناب الشريف محمد بن طلحه أبو المظفر بن نقيب النقباء المتوفى (٦١٠هـ/١٢١٣م) ، في ديوان النقابة للعباسيين بعد أخيه أبي الحسن، الى ان تولاها أخوه أبو القاسم قثم[٣] .

ومن الموظفين الكاتب ، وتفهم وظيفته من أسمه فهو يكتب ما يمليه عليه النقيب من تثبيت أو إسقاط لأسماء ، وكتابة كل ما يتعلق بالنقابة[٤] من أمور ، وهناك العامل الذي يعمل على نظافة ديوان النقابة ، وخدمة جهازها الإداري[٥].

وللنقيب جملة من الواجبات التي من أجلها وضعت النقابة وهي: التحقق ممن يدعي النسب الشريف ، فاذا أثبت ذلك ثبته في السجل وأن لم يثبت أسقطه ،ومن مات منهم أسقط أسمه من السجل ، ومن ولد له ولدٌ أثبت أسمه في جريدة الديوان ، كما عليه أن يسعى في حاجتهم ،و يشيع جنازتهم كواحد منهم [٦] .

وكان جميع النقباء في العراق ومعظم الشرق الإسلامي يتبعون لنقيب النقباء ،الذي يكون مقره بغداد.ويعين من قبل الخليفة،ويكتب مرسوم تعيينه الوزير[٧] .

وكانت هناك مراسيم خاصة يتم بها تقليد نقيب النقباء الطالبي أو العباسي ، فبعد أن تتم موافقة الخليفة بأسناد هذا المنصب لأحد الاشراف ، يستدعى النقيب الجديدالى دار الوزارة ،

---

١ - ابن الفرات ،المصدر السابق ،ج١،ص١٤٥؛ابراهيم الدروبي ،البغداديون اخبارهم ومجالسهم،مطبعة الرابطة ، بغداد، ١٩٥٨، ص٢٨٢.

٢ - ابن الفرات ،المصدر السابق ،ج١،ص١٤٦؛ابن الطقطقي،المصدر السابق،ص٣٢٥.

٣ - ابن الفوطي،المصدر السابق ، ج٤، ق١؛ الذهبي ، مختصر ، ج١ ، ص٢٩٩.

٤ - تاج الدين بن محمد بن زهره الحسيني، غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، مطبعة بولاق ، مصر؛ ١٣١٠ه ص١٢٥.

٥ - ابن الفرات ،المصدر السابق،ج١،ص١٤٦.

٦ - المصدر نفسه و الصفحه.

٧- ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ، ص٢٩٦ .

وبحضور كبار رجال الدولة كقاضي القضاة ، وأستاذ الدار ،وحاجب الباب و المحتسب ، يعلمه الوزير بإسناد المنصب اليه ، ويقرأعهده ، ثم يخلع عليه خلعة النقابة وتشمل "قميصاً أسود أطلس بطراز ذهب عريض سعة كمه ثلاثة اشبار وأربعة أصابع وعمامة وثوب بطراز ذهب ، وطيلسان ويقلد سيفا وسطانيا ، ويقدم له حصان عربي أشقر بركب ذهب وسيف ركابي ويقرأ عهده ثم يركب متوجها الى داره"[١].

وفي بعض الاوقات كان يتم تشريف النقباء بأن يسير اليه الموكب في جمع من الحجاب، وعلى رأسهم أحد كبار رجال الدولة لابلاغه بالتعيين والتقليد ، فلما عين الخليفة الناصر أبو علي الحسن بن أبي تميم معد في منصب النقابة (٦١٨هـ/١٣٢٠م)،سار اليه الموكب و بصدره عارض الجيش سعيد بن عسكر الانباري إلى داره بالمقتدية بعد موت والده بثلاثة أيام ،وأعلمه أن الخليفة الناصر قلده ماكان لوالده[٢].وعند حضور النقيب المعين الى دار الوزاره للخلع عليه بهذه المناسبة،ومشافهتة بالنقابة، يكون معه كبار الأشراف وعامتهما للأحتفال بهذه المناسبة،فينتظرونه خارج دار الوزارة ، فاذا خرج وعليه الخلعة ، عادوا معه الى منزله[٣] .

ولم يكن شرطا الخلع على النقيب في نفس يوم التعيين في منصبه الجديد،بل نجد أنه كان في بعض الاوقات يتأخر الى وقت آخر ،فعندما عين الشريف محمد بن عبد الله بن علي بن المعمر في سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) ، لم يخلع عليه في نفس الوقت ، ولا كتب عهده،وبقي على ذلك شهرين حتى خلع عليه في يوم عيد الفطر[٤] .

أما العهد الذي كان يصدر عند توليه النقيب،فقد أورد ابن الساعي واحداً من تلك العهود،وكان هذا العهد يتعلق بنقيب العلويين أبي الحسن فخر الدين محمدبن المختار الكوفي وقد كتب هذا العهد في السابع عشر من ربيع الأول سنه (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) ، بخط أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي كاتب الإنشاء حينئذ ،ومن إنشائه ، وقد بدأ العهد بالبسملة ، ثم

---

١ - المصدر نفسه ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٦٦ ؛ مجهول ، الحوادث ، ص٣٨ ؛ الذهبي ، مختصر ، ج٢ ، ص٢٢٣ . ويتضح ان الخلعة كانت تشمل العمامة السوداء وهي شعار العباسين ، وكانت تخلع على نقيب الطالبيين شأنه شأن نقيب العباسين، باعتبار هذا اللون هو الزي الرسمي للدولة؛ فهد ، تاريخ العراق ، ص٢٣٩ .

٢ - مجهول، الحوادث ، ص١١٩ .

٣ - ابن الدبيثي،المصدر السابق ، ج٢ ؛ ص٢٧ .

٤ - المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص٢٦-٧ ؛ فهد ، تاريخ العراق ، ص٢٣٨ .

ذكر أن هذا العهد صادر من الخليفة الناصر لدين الله الى النقيب المذكور آنفا،"بعد أن وجده-اي النقيب-مرضي الاخلاق،متمسكا بالديانه ،وأنه قلده نقابة الاسرة العلوية بمدينة السلام،وسائر بلاد الاسلام شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً"،ثم يورد السياسة التي رسمها الخليفة الناصر للنقيب الجديد في عمله من خلال المرسوم. فقد[1] :

١ – أمره بتقوى الله و مراقبته في السر والعلن.

٢ – أمره أن يتأمل أحوال من فوض أمره من أهل بيته اليه ، فمن كان منهم رشيد المنهج ، متلحيا من الدين و العلم بما يناسب نسبه ، ويلائم محتده أن يكرمه و يخصه بالانعام و التودد و الاحترام ، وأما من بدر منه بادرة أو عثره أقالها ، ومن وجده ذاهبا في مجال الجهالة ، وسادرا في مهاوي الضلال واجهه بالتقريع و زجره بالأخافة و الوعيد .

٣ – أن يتكفل أمر اليتامى ، وينفق عليهم بالمعروف ، فاذا بلغ الرشد سلم اليه ماله .

٤ – النظر في أمر الأيامى ، وتزويجهن من الأكفياء .

٥ – وأمره بصون النسب الكريم ، فمن أنتحل النسب من الأدعياء ، فعليه أن يتأكد من نسبه ، ويتثبت من ذلك باستشارة الشيوخ ، فأن وجده ماكرا وجب تأديبه و ردعه .

كان نقيب الأشراف شأن غيره من موظفي الدولة العباسية بأمكانه أن يشغل وظيفة أخرى الى جانب وظيفته الرئيسية كالإشراف على المخزن ، فالنقيب أبو الحسن علي بن أبي تميم معد، كان قد ناب عن والده في الإشراف على المخزن في أيام الخليفة الناصر ، فلما توفي والده سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) ، ولي النقابة للطالبيين مع وظيفته الاخرى الى سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) ، فعزله الخليفة الظاهر من إشراف المخزن ، ثم عزله عن النقابة في العام التالي، ثم أعيد الى إشراف المخزن في أيام الخليفة المستنصر سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، وعزل عنه مرة اخرى سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، ولم يستخدم بعدها[2] .

وكان منصب أمير الحاج في العصور العباسية الأولى يسند الى نقيب الطالبيين ببغداد ، أو أحد كبار الاشراف العلويين ،واستمر على ذلك حتى القرن الخامس الهجري ، ولكن مع نهاية هذا

---

١ – ابن الشاعي ،الجامع المختصر ، ج٩، ص ١٩٤.

٢ – مجهول ، الحوادث ، ص ص١١٩-٢٠ ؛ الحسيني ، المصدر السابق ، ص٨١ .

القرن أصبح امراء الحج يختارون من بين الأمراء الأتراك المماليك[1] ، و يمكن أن نرجع هذا الى أنه في هذه الفترة دخل السلاجقة الى بغداد وهم سنّة ، جاءوا وفيها البويهيون وهم شيعة، فحاولوا الحد من نفوذ الشيعة في العراق. لذلك أبعدوهم عن معظم المناصب في الدولة العباسية ومنها منصب أمير الحج .

ولم يكن شرطاً فيمن يتولى نقابة النقباء في بغداد أن يكون من أشرافها ،بل يمكن أن يتولاها من هم من مدن العراق الاخرى ، أو الاقاليم المجاورة ، فنرى أنه لما ملك خوارزم شاه علاء الدين تكش الذي قتل نقيبها [2] ، فهرب ولده المهدي بن حمزة[3] و معه نائب والده في النقابة نصير الدين بن مهدي الغلوي ، قاصدا بغداد ومستجيرا بالخليفة الناصر لدين الله مماحل بهم من بطش خوارزم شاه ، فتلقاه الخليفة بالترحاب و طمأنه ، ثم ولاه نقابة الطالبيين بالري ، وبعد أن خلع عليه عاد اليها [4] بعد أن عادت الى أملاك الخلافة . أما نصير الدين بن مهدي العلوي وكان من عقلاء الرجال فأختبره الخليفة الناصر فرآه عاقلاً لبيباً سديداً ، فصار يستشيره سراً فيما يتعلق بملوك الاطراف ، فوجد عنده خبرة و دراية حول سلاطين العجم ، فقر به الخليفة ورتبه نقيباً للطالبيين في بغداد[5] . وكذلك النقيب علم الدين أبو محمد الحسن بن أبي الحسن الأقساسي العلوي كان نقيب العلويين بالكوفة حتى سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) ،قدم الى بغداد وولي نقابة الطالبيين، وبقي فيها حتى عزل سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م)[6].

واستغل بعض النقباء علاقاتهم الطيبة مع الخلفاء في الكيد لكبار رجال الدولة ، فلما ولي نصير الدين بن مهدي النقابة كانت علاقته مع الوزير بن حديدة سيئة فأخذ يكيد له و يحرض الخليفة عليه حتى عزله من منصبه ، واستمر في مكيدة ابن حديدة حتى أنه عندما ولي ابن مهدي

---

١ - فهد ، تاريخ العراق ، ص٢٦٠ .

٢ - وهو عز الدين المرتضى القمي كان نقيبا لبلاد العجم كلها . ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

٣ - ويقول ابن الطقطقى أن أسمه مشرف الدين محمد، ولعله اختلط عليه الاسم باللقب. ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

٤ - الحسيني ، المصدر السابق ، ص١١٩ .

٥ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ الحسيني ، المصدر السابق ، ص٣٦٢.

٦ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٧٧ .

الوزارة سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) ، أعتقل ابن حديدة بداره ، وهم بتعذيبه مما دفع ابن حديدة الى الهرب ، بعد أن حلق لحيته ورأسه و خرج متخفيا بزي النساء وأقام بمراغة[١] حتى عزل ابن مهدي من الوزارة سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) ، فعاد الى بغداد[٢] .

كما أن الوزير ابن مهدي العلوي قد أساء السلوك . كما أشرنا . مع كبار مماليك الخليفه الناصر أمثال الامير مظفر الدين المعروف بوجه السبع[٣] ، والأمير قشتمر [٤] ، حتى أعتبر ذلك من أسباب عزله من الوزارة [٥] .

وكان لغلو مكانة نقيب الأشراف وارتفاع مكانته أن الخليفة كان ينتدبه لاستقبال الرسل وكبار الزوار القادمين من ملوك الأطراف الى بغداد،فقد أوعز الخليفه المستنصر بالله الى نقيب العلويين الشريف الحسين الاقساسي للخروج على رأس موكب الديوان للقاء الامير ناصر الدين داود بن الملك المعظم عيسى بن الكامل أبي بكر بن أيوب[٦]،وكذلك خرج النقيب نفسه في سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) ، الى لقاء الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل[٧].

وكان الخلفاء يحرصون على الإنعام على النقباء حتى يكونوا تحت تصرفهم وبعيدين عن معاداتهم ، فيرسلون لهم الهدايا والأموال . فقد أنعم الخليفه المستنصر بالله على النقيب مجد الدين أبي القاسم هبة الله بن المنصوري سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، بدار في دار الخلافة ليسكنها ، وأنعم عليه أيضا بخمسمائه دينار [٨] .

وكان بعض الذين أسندت اليهم النقابة زاهداً متصوفاً ، مصاحباً للفقراء، يقول صاحب الحوادث [٩] في وصف حال النقيب أبو القاسم بن هبة الله : " كان من أعيان عدول مدينه السلام،

---

١ - مراغه : بلاد عظيمة ، أعظم بلاد أذربيجان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٩٣ .
٢ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٣٢١ ؛ الحسيني ، المصدر السابق ، ص٣٦٢ .
٣ - الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٤٩ .
٤ - ابن الفرات ، المصدر السبق ، ج١ ، ص٦١-ص٦٢ .
٥ - المصدر نفسه و الصفحة .
٦ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٧٠ .
٧ - مجهول، الحوادث ،ص٧٩.
٨ - المصدر نفسه ، ص٣٨ ؛ الغساني ،المصدر السابق،ص٤٥٢.
٩ - ص٣٨.

وأفضل أرباب الطريقة المتكلمين بلسان أهل الحقيقة ، كان يصحب الفقراء دائما ، ويأخذ نفسه بالرياضة والسياحة والصوم الدائم والتخشن والتباعد عن العالم " فلما أسند اليه منصب نقابة العباسيين سنه (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، كان ذلك موضع أنتقاد من قبل تلاميذه ومريديه ، فعمل بعضهم ابيات طويلة في إنتقاده منها:

ناديت شيخي من شدة الحرب — وشيخنا في الحرير و الذهب
في دسته جالسا ببسملة — بين يديه إن قام في أدب
وركبة منه كنت أعهده — يذم اربابها على الرتب

إلى أن يقول:

قد كنت ذاك الذي تظن به — لو لم تكن مسرعاً إلى الرتب
شيخي أين الذي يعلمنا الـزهـد ويعتده من القرب
أين الذي لم يزل يعرفنا — فضل التعري بالجوع والتعب
أين الذي لم يزل يرغبنا — في الصوف لبساً له وفي الخشب[١]

وكان النقباء قد شاركوا في السياسة الخارجية للدولة العباسية ، كرسل من الديوان الخلافي الى ملوك الأطراف،فعندما طلب السلطان صلاح الدين الايوبي المساعدة والعون من أمراء وسلاطين الإسلام ، أرسل يطلب العون من الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وذلك من أجل مواجهة الصليبيين أثناء حصارهم لمدينة عكا سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م)، فأرسل الخليفة النقيب الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التبن[٢] ببغداد ومعه حملان من النفط، وتوقيع بعشرين الف دينار تقترض من بعض التجار على حساب الديوان ، وخمسة من الزرافين المتقنين صناعة الاحراق بالنار[٣] ، فقبل صلاح الدين الايوبي النفط ، و رد التوقيع قائلاً : " كل ما معي من نعمة

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص ص٣٨-٩ .

٢ - باب التبن : محله كبيره في بغداد على الخندق بإزاء قطعيه ام جعفر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٠٦ .

٣ - العماد ، الفتح القسي ، ص٣٦٥ ؛ ابن واصل ،المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣١٤ ؛ ابن الفرات ، المصدر السابق،ج١ ، ص٢١١ .

أمير المؤمنين ولولا صرف أموال هذه البلاد للجهاد ، لكانت محمولة الى الديوان " ، ثم أركب السلطان صلاح الدين النقيب رسول الخليفة معه مراراً ليشاهد المعارك، حتى يشهد بما رآه إذا عاد إلى بغداد[١] .

لم تقتصر نقابات الأشراف على بغداد وحدها ، بل كان لهم نقابات في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، وخاصه في المناطق التي يتواجد بها أعداد من الأشراف ، فكان لهم نقابة بمصر ، وبلاد الشام[٢] ، والعراق[٣] ، وأذربيجان ، والري[٤] وغيرها من المدن .

وفي العراق نفسها كان لهم نقابات بمختلف المدن، فكان للطالبيين نقابات في : البصرة[٥]، وكربلاء[٦]،والموصل[٧]، و المدائن[٨] ، وواسط[٩] ، كما كان لهم نقابات في المشاهد و المحلات التي يكثر بها الشيعة كالكرخ[١٠] ، ومشهد موسى بن جعفر[١١]، وفي مشهد مقابر قريش[١٢] ، ومشهد الحسين بن علي في كربلاء كما ذكرنا .

أما العباسيون فقد كان لهم نقابات منتشرة في المدن التي يكثر بها العباسيون ، فكان لهم نقيب في مصر والحجاز[١٣] ، أما في العراق فكان هناك عدة نقابات ، في البصرة [١٤] ، و في

---

١ - المصدر نفسه والصفحه .

٢ - وكانت النقابة بمصر و بلاد الشام تابعه للايوبيين ، ويتم تعينهم من قبل السلطان الايوبي .

٣ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٨١ .

٤ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

٥ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٨١ .

٦ - فهد ، تاريخ العراق ، ص٢٠٤ .

٧ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٦٦ .

٨ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ، ص٢٣٨ .

٩ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٦٧ .

١٠ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٧ ، ابن الفوطي ،المصدر السابق، ج٤ ، ق١ ، ص٢٣٨.

١١ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ،ص٢٨٥.

١٢ - الحسيني ، المصدر السابق ، ص٩١ . مقابر قريش : تقع بالجانب الغربي من بغداد وأول من دفن فيها موسى بن الخليفه أبو جعفر المنصوري . الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي بيروت ، (د.ت) ، ج١ ، ص١٢١ ؛ مجهول ، مناقب ، ص٢٨ .

١٣ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٦ .

١٤ - فهد ، تاريخ العراق ، ص٢٣١ .

واسط، و ممن وردنا أسمه ممن تولى نقابة واسط أبو طالب محمد بن عبد الله الرشيدي،مضافا اليه الخطابة و الصلاة على عادة أسلافه،و قريء عهده بجامع واسط[١] .

و كان نقيب النقباء الموجود في بغداد هو المسؤول عن ترشيح نقباء المدن و المشاهد ، داخل العراق و خارجها ، فلما قدم محمد بن اسماعيل ابن محمد العلوي الموسوي من مرو[٢] رسولا من ملك غزنه شهاب الدين أبي المظفر الغوري سنه (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، أكرم مثواه ، و لما عاد عين بمشورة نقيب النقباء ، نقيبا للطالبيين ، بمرو وما يليها و خلع عليه خلعة النقابة[٣]، كما أنه لما دخل خوارزم شاه علاء الدين تكش الري ، قتل نقيبها ، فهرب ولده الى بغداد ، فأقام بها مده ، ثم خلع عليه خلعة النقابة وعاد الى الري[٤] .

ويبدو أن النقابة مثل الكثير من الوظائف التي قد يرثها أبناء أسره معينة من بني هاشم لفترة طويلة، ومن العائلات التي أشتهرت بذلك،عائلة الزينبي[٥] العباسية ، وعائلة الأقساسي[٦] العلوية.

وقد أوردت لنا المصادر أسماء الذين تولوا نقابة النقباء في بغداد من الطالبيين و العباسيين ، فممن تولى نقابة الطالبيين : محمد بن عبد الله بن أحمد بن المغمر بن أبي الغنائم،تولاها بعد أبيه في سنة (٥٨١هـ[٧]/١١٨٥م) وبقي فيها إلى أن عزل في ذي القعدة سنة (٥٨٨هـ[٨]/١١٩٢م) ، وعلم الدين أبو محمد الحسن ابن أبي الحسن علي بن حمزة الاقساسي الكوفي[٩] ، الذي كان نقيباً بالكوفة حتى سنة (٥٦٨هـ[١٠]/١١٧٢م) ، ثم ولى نقابة النقباء ببغداد وبقي فيها إلى أن عزل سنة (٥٩٣هـ[١١]/١١٩٦م) ، وكان شاعرا أمتدح الخلفاء و الوزراء ،

---

١ - ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٦١ ؛ فهد، تاريخ العراق ، ص٢٣٢ .

٢ - مرو : أعظم المدن خراسان وهي قصبتها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١١٢ .

٣ - ابن الدبيثي ، المصد السابق ، ج١ ، ص١٧١ .

٤ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

٥ - ابن الفوطي،المصدر السابق،ج٤،ق٥،ص١٨٥.

٦ - الذهبي،مختصر،ج١،ص١٢٨.

٧ - ابن الدبيثي،المصدر السابق،ج٢ص٢٦.

٨ - المصدر نفسه،ج٢،ص٢٦؛الذهبي ، مختصر ،ج٢،ص٣١١.

٩ - ابو شامه،الذيل ،ص١١؛ابن الفوطي،المصدر السابق،ج٤،ق١،ص٦٣٠.

١٠ - المصدر نفسه،ج٤،ق١،ص٥٧٧.

١١ - المصدر نفسه و الصفحه؛ ابن كثير ، المصدر السابق ،ج١٣،ص١٨.

وهو من بيت مشهور بالرياسة والأدب ، أمتدح الخليفة المقتفي بالله ، والمستنجد والمستضيء والناصر لدين الله ، فولاه الخليفة الناصر النقابة ، وكان شيخاً مصيباً جاوز الثمانين[١] .

وتولى النقابة أيضا محمد بن عدنان بن عبد الله بن عمر ، ويعرف بابن المختار ، قدم بغداد وصاهر أبو القاسم علي بن طراد الزينبي ، ولي النقابة سنة (٦٠٣هـ[٢]/١٢٠٦م) ، وبقي فيها الى أن توفي سنة (٦١٢هـ[٣]/١٢١٥م) .

وممن تولاها أيضاً فواد الدين أبو علي الحسن بن مغد الموسوي ، ثم عزله الخليفة المستنصر بالله وقلد بعده قطب الدين ابا الحسين بن الاقساسي وبقي حتى آخر أيام المستنصر بالله [٤].

وفي سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) ، قلّد الخليفة المستعصم بالله نقابة الطالبيين أبا علي تاج الدين الحسن بن المختار ، وخلع عليه بدار الوزارة[٥] وتولاها اسماعيل بن الحسن ابن المختار عوضا عن والده ، ثم تولاها أخوه أبو علي الحسن بن المختار سنة (٦٥٣هـ[٦]/ ١٢٥٥م).

اما الذين تولوا نقابة العباسيين فهم:ابو العباس احمد بن يوسف المعروف بابن الزوال، تولاها مضافة الى خطابة جامع القصر ، إلى أن عزله المستضيء سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) ، ثم أعاده الناصر لدين الله في يوم توليته الخلافة سنة (٥٧٥هـ / ١١٧٩م) ، وبقي فيها الى ان عزل سنة (٥٨٣هـ[٧]/ ١١٨٧م) ، وتولى النقابة العباسية ايضاً قثم بن طلحة الزينبي ، وقد تولاها مرتين : الأولى في أيام المستضيء سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) ، وعزل عنها سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) ، والثانية في صفر سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)،وولي بعدها حجبة باب النوبي[٨]، وأبو طالب الحسن بن أحمد بن علي بن أحمد المهتدي بالله ، تولى الخطابة بجامع القصر ، بعد

---

١ - المصدر نفسه و الصفحه.
٢ - ابن الساعي، الجامع المختصر ،ج٩،ص١٩٣؛الذهبي ، مختصر ،ج١،ص١٢٨.
٣ - المصدر نفسه،ج١،ص١٢٨.
٤ - مجهول ، الحوادث ، ص١٥٦.
٥ - المصدر نفسه ، ص٣٢٣، الغساني ، المصدر السابق، ص٥٥٠.
٦ - مجهول ، الحوادث، ص٣٠١؛ الغساني ، المصدر السابق، ص٦١١.
٧ - ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٥، ص٢٢٣٢؛ الذهبي، مختصر ، ج٣، ص١٦١.
٨ - الغساني ، المصدر السابق، ص٥٣١.

وفاة والده ، ثم فوض اليه النظر في ديوان النقابة العباسية ، وبقي فيها إلى أن توفي سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) . وتقلدها في عام (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، شمس الدين علي النسابة [١] .

ولما دخلت جيوش المغول الى بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، وبعد ان قتل الخليفة المستعصم وأولاده من الامراء وكبار رجال دولته لم ينجُ من بطشهم نقيببي العباسيين الشريف الشمس ابو الحسن علي وكان عمره نحو ثلاثين سنة ، والطالبيين الشريف ابو علي بن المختار حيث قتلا مع جملة من قتل من اهل بغداد [٢] .

ونخلص الى القول ان نقباء الأشراف في بغداد كانت مهمتهم الاساسية هي الحفاظ على نسب الشريف من التداخل والادعاء ، ورعاية أهل البيت وحل مشاكلهم.

وبأعتبارهم من كبار العلماء من جهة ولتأثيرهم على أتباعهم من جهة أخرى فقد حرصت الدولة على التودد اليهم ، وتقريبهم ليقفوا الى جانبها وأسندت اليهم في بعض الاوقات مهام إدارية وسياسية .

٢- الطرق الصوفية

ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذم الدنيا وزخرفها والدعوة الى العمل الصالح والتوكل على الله ، وفي سيرة الرسول (ص) ، وحياة المسلمين الاوائل ما يوحي بأن الاسلام يدعو الى الزهد ويحث عليه ، فظهرت حركة الزهد في أول أمرها قريبة من الاسلام ، ثم أخذت تكبر وتتسع ، وقد برزت طائفة من الزهاد قام زهدها على الخوف والبكاء بسبب أحساسها العميق بالخوف من الذنوب والآثام والرعب من سخط الله في الآ خرة ، وسمي هؤلاء بالزهاد البكائين ، ثم ظهر تيار التصوف امتدادا لحركة الزهدالقريبة من الدين الاسلامي ، حتى أصبح مذهبا منظما في الجزء الأخير من القرن الثالث الهجري، ثم تأثر هذا التيار بمعتقدات مسيحية وهنديه وفلسفية، فغدا التصوف يعني الانقطاع الى العبادة ، وترك الكسب وهجرة الحياة الإجتماعية[٣].

---

١ - الغساني ، المصدر السابق، ص٦٠٤.

٢ - المصدرنفسه ، ص ص ٦٣٧-٨.

٣ - عبد الكريم توفيق العبود،الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد،دار الحرية للطباعة،بغداد،١٩٧٦،ص ص٢٥٧-٨

وقد وقف أهل السنة من التصوف الجديد موقفاً يدل على ضرب من المعارضة والاستنكار، حتى جاء الإمام الغزالي فاستطاع ان يوفق بين مذهب أهل السنة وبين موقف الصوفية ، وذلك في النصف الاول من القرن السادس الهجري.

وهناك أسباب أخرى ساعدت على ذلك ، منها : تعاظم الاخطار على العالم الاسلامي كالخطر الصليبي والمغولي ، وازدياد وطأة المظالم السياسية والاقتصادية على الناس، وتفشي الاوبئة والكوارث وشيوع الجهل ، وما كان يقوم به الوعاظ في هذا العصر من ذمّ الدنيا ، وتحذير الناس منها ، ورسم صورة مخيفة لمشاهد يوم القيامة وتهويل عقاب الله وعذابه بحيث القوا الرعب والفزع في النفوس ، وتركوا الناس يعضون أصابعهم ندماً، وقد ذكر ابن جبير وصفا لما كان يتركه الواعظ ابن الجوزي في نفوس مستمعيه، وذلك حين حضر أحد مجالسه، فقال:" وأعلن التائبون بالصباح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ، ويمسح على رأسه داعياً له[1].

وكان هناك سبب آخر ساهم في شيوع التصوف ألا وهو دعم الحكومة لهذا الاتجاه السُلبي في الحياة السياسية ، فهدف الصوفية كان العزلة والاعتكاف للقيام بعبادة الله سبحانه وتعالى حتى لا يشغلهم عن ذلك شاغل، ولتأثير المتصوفة على العامة من أفراد المجتمع الذين ينظرون اليهم نظرة قدسية. فيحترموهم ويقدروهم ، وسرعان ما يتحركون استجابة لأي نداء من كبار الصوفية. من جهة اخرى ، دفعت الحكومة الى العناية بالصوفية ، محاولة تسخير هذه القوة لمصلحتها. فبنت لهم الربط [2] ، وأنفقت عليهم الموارد الكثيرة ، حتى غدت الأربطة مناخاً للبطالة والكسل، وملاجيء يأوي إليها الفقراء والمعوزون واليتامى والعاطلون يحصلون فيها على المسكن والطعام[3].

---

١ - رينولد نيكلسن ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ، ترجمة ابو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ١٩٥٩،ص٨٤.

٢ - الربط: جمع رباط وهو دار يسكنها اهل طريق الله ، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله ان يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا ، ثم تطور مفهوم الرباط الى جهاد للنفس واصبح بيت يقيم فيه الصوفية ، تقي الدين احمد بن علي المقريزي، الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة النيل ، مصر ، ١٣٧٦هـ، ج٤ ، ص ص ٢٩٢-٣ .

٣ - العبود ، الشعر ، ص٦٢ .

ولقد حرص الخلفاء على إنشاء الأربطة في اماكن مختلفة من بغداد ، ووقفها على المتصوفة ، فالخليفة الناصر لدين الله امر بإنشاء مجموعة من الربط منها رباط الأخلاطية[١] بمشرعة الكرخ مجاور مشهد عون ومعين[٢] وأنشأ الى جانبه تربة ، ورباط الحريم الطاهري[٣] ، ورباط المرزبانية[٤]، وهذا الرباط بناه الخليفة الناصر وعزم على أن ينقطع فيه ويترك الخلافة زاهدا بالدنيا ، وكتب في ذلك كُتباً بليغة لتقرأ على الناس، ولكنه تراجع عن هذه الخطوة [٥] ولم نعلم السبب في ذلك.

ولكثرة المتصوفات من النساء في بغداد أنشأ رباطاً خاصاً لهن وسماه رباط دار الفلك [٦]، ورتب فيه ابنه السيد العلوي [٧] شيخة له، ويقال له بيت الخدور [٨]. ولما استولى هولاكو على بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) صدر من وزيره أمرٌ الى الجاثليق بالاستيلاء على دار الفلك مع غيرها من الدور المجاورة [٩].

---

١ - ويسمى رباط الخلاطية ، بناه الخليفة الناصر لزوجته سلجوقة خاتون سنة٥٨٤ه ، وبجواره بنى تربة لها ، ويقع هذا الرباط على شاطىء دجلة بمشرعة الكرخ من الجانب الغربي من بغداد . ابن الاثير، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٦؛ الاربلي ، المصدر السابق، ص٢٨٢؛ مصطفى جواد ، " الربط البغدادية واثرها في الثقافة الاسلامية"، مجلة سومرة ،مج١٠، ج٢، ١٩٥٤، ص٢٣٤.

٢ - يقول ابن جبير في وصف هذا المشهد:" وفي الطريق الى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام ، عليه مكتوب:هذا قبر عون ومعين ، من اولاد امير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ".المصدر السابق ،ص ص١٨٠-١

٣ - أنشأه سنة ٥٨٩ هـ ، في محلة الحريم الطاهري واسكنه الصوفية وخصص لهم الجرايات من الطعام . سبط بن الجوزي ، المصدر السابق، ج٨ ، ق١ ، ص٤٢٢ ؛ الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٢ ؛ جواد ، الربط البغدادية ، ص٢٤٢ .

٤ - يقع هذا الرباط على نهر عيسى بالجانب الغربي من بغداد . مجهول ، الحوادث ، ص٧٤ .

٥ - الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ط٦٣ ، ص٨٦ .

٦ - يقع هذا الرباط بالجانب الشرقي على نهر دجلة مجاوراً لدار الامير علاء الدين الطبيرسي الظاهري مجهول، الحوادث ،ص٢٦٥ .

٧ - هوالسيد علي بن المرتضي بن علي العلوي الحسني ، مدرس جامع السلطان وكان رئيس الحنفية في زمانه .جواد ، الربط البغدادية ، ص٢٤٤ .

٨ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٤٠٨ ؛ جواد ،" المعاهد النسوية " ، في التراث العربي ، ج١، ص١٠٩ .

٩ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٣٤ .

وقد بلغ من تقرب الناصر من الصوفيــة أنــه عمل ثياباً كزي أهل التصوف كـان يلبسها ويتردد بها عليهم في الرباط الذي انشأه لهم خاصة انه اتخذ له دارا مجاورة للرباط[1].

وأنشأ الخليفة المستنصر بالله رباط دار الروم بمحلة دار الروم بالجانب الشرقي من بغداد[2] . وتم افتتاحه سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م) ، وأسكنه جماعة من الصوفية ، وجعل المشيخة للشيخ أبي صالح نصر بن عبد الرزاق[3] .

اما الخليفة المستعصم بالله فقد بني رباطاً نسوياً سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ويقع بدار الشط[4] وأسكنه النساء المتصوفات وجعل مشيختة للشريفة العباسية التي يرجع نسبها الى الخليفة المكتفي[5] .

ولم يقتصر إنشاء الربط على الخلفاء بل شاركهم فيها أفراد الأسرة العباسية والأمراء فهذه أم الناصر لدين الله زمردخاتون تنشئ رباط المأمونية[6].

ومن جوانب اهتمام الخلفاء بالمتصوفة تقريبهم لهم حتى أصبح بعضهم من حاشيتهم ومعاونيهم ورسلهم الى ملوك الاطراف ، فكان شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردي رسولاً بين الخليفة الناصر لدين الله والسلطان صلاح الدين بالشام ، فلما طلب صاحب الموصل سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) ، مساعدة الخليفة بالتدخل لمنع صلاح الدين من الأستمرار بحصار الموصل،

---

١ - الذهبي ، تايخ الاسلام ، ط٦٣ ، ص٨٦ .

٢ - محلة دار الروم : بيعة كبيرة ، حسنة البناء للنسطورية خاصة وهي ببغداد بالجانب الشرقي . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١١ .

٣- ابن الكازروني، مختصر، ص٢٦١.

٤ - دار الشط : هي دار الامير علاء الدين الطبيرسي المعروف بالدويدار الكبير ، وتقع بالجانب الشرقي على شاطئ دجلة . جواد ، الربط البغداية ، ص٢٤٣.

٥ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٧٤ ؛ جواد ، "الربط البغدادية" ، ص٢٤٣ .

٦ - نسبة الى محلة المأمونية بشرقي بغداد تم افتتاحة سنة ٥٩٠ هـ. ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص٥٠٣ .

أرسل الخليفة شهاب الدين السهروردي في وساطة لتحقيق الصلح[1] . ولما مات ابن شيخ الشيوخ أمر الخليفة الناصر أن يسير إلى رباطه[2] جميع أرباب الدولة[3] .

ومن مظاهر الاهتمام بالصوفية أنه إذا قدم أحدهم الى بغداد أو عاد من سفر كان يخرج موكب الديوان للقائه فلماعاد عبد الواحد بن عبد الوهاب المعروف بابن سكينة خرج الديوان للقائه، وبعدها أرسل من قبل الديوان رسولاً الى كيش[4] فتوفي في الطريق سنة(٦٠٨هـ/١٢١١م)[5].

ومن الصوفية الذين كان لهم المكانة عند الخلفاء الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي الذي تولى في بداية حياته العملية التدريس في مدرسة جده أبي النجيب السهرودي[6] ،ثم تولى عدة ربط للصوفية ، ولمكانتة عند الخليفة الناصر فوض اليه مشيخة رباط المرزبانية الذي كان قد انشأه لينقطع فيه ، وبنى له الى جواره داراً واسعة وحماماً وبستاناً ليسكنها أهله ، وأرسله الى عدة جهات [7] ، وكان الملوك يبالغون في احترامه وتعظيمه اعتقاداً

---

١ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص١٣٢ ؛ ابن واصل ، المصدر السبق ، ج٢ ، ص١٥٥؛ الغساني المصدر السابق ، ص١٩٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج١ ،ق٨٢ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٩٧ .

٢ - ينسب هذا الرباط لابي سعد الصوفي (ت ٤٧٧هـ) ويقع بمحلة نهر المعلى .

٣ - الأيوبي ، المصدر السابق ، ص١٣٢ .

٤ - وهي جزيرة في البحر من أعمال عُمان ، وتعد من اعمال فارس لان أهلها فرس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٩٧.

٥ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج١ ،ص ص٦٠-٧

٦ - هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي ، ولد في عام ٤٩٠ هـ بسهرورد الكائنة في منطقة الجبال شمالي بلاد فارس ، ويرجع نسبة الى الخليفة ابو بكر الصديق ، وكان عمه عمر بن محمد صوفياً في بغداد ، ولما صار أبو النجيب صوفياً ألبسه عمه الخرقة ، درّس بالنظامية ، ثم بنى مدرسة ورباط أسكنه المتفقهة والصوفية ، توفي سنة ٥٦٣ هـ . حول حياته أنظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ،ص ص١٤٦ -٨ ؛ أبو محمد عبد الله بن سعد اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دائرة المعارف النظامية ،حيدر آباد الهند،١٣٣٩هـ ،ج٣، ص٣٧٢ ؛ السبكي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص٢٥٦ -٧ ابن المستوفي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٠٧ ، وترجمته في مقدمة كتابه اداب المريدين ، التي وضعها مناحيم ميلسون ، الصادر عن معهد الدراسات الاسيوية والافريقية القدس ، ١٩٧٨ ، ص ص ٢١-٥.

٧ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ص٤٦٦-٧ ؛ سبط بن الجوزي ، المصدر ، ج٨ ، ق٢ ، ص٦٧٩ ؛ الذهبي ، مختصر ، ج٢، ص ص١٠٨-٩ ؛ ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٥ ،ص ص١٥٣-٤ ؛ مجهول، الحوادث ، ص٧٤ .

فيه وتبركاً [١] . وقد الف كتاب" عوارف المعارف " في ضبط قواعد التصرف وبقي على هذه المكانة والاحترام حتى توفي سنة (٦٣٢هـ[٢]/ ١٢٣٤) .

وكان الشيخ عبد العزيز بن دلف بن الخازن المعروف بالناسخ (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) ، شيخ رباط الحريم الطاهرى له الحظوة عند الخليفة المستنصر بالله ، وكان يقضي حوائج الناس عنده وعند غيره [٣] :

ولماً تولى الخليفة المستعصم الخلافة سنة (٦٤٠هـ /١٢٤٢م) ، حرص على تفقد الصوفية والأولياء . فقصد مشاهدهم وربطهم ووزع عليهم الاموال والهدايا [٤] .

وكان الشيخ شمس الدين أبو المظفر علي بن النيار مختصاً بخدمة الخلفاء منذ صغره ، فلما أفضت الخلافة إلى المستعصم عرض عليه سنة (٦٤٣ هـ/١٢٤٥م)، منصب الوزارة بعد أن شغر بوفاة الوزير أحمد بن الناقد، فأبى ذلك وقال : " اني عاهدت الله أن لا أغير لبس المتصوفين ، ولا أنزع عني ما تعودته " عند ذلك فوضت إلية مشيخة الشيوخ ببغداد وسلم إليه رباط ثم أضيف له مشيخة رباط المرزبانية [٥] .

لم يقتصر التصوف على الفقراء في هذه الفترة ، بل نجد أن أبناء الأمراء والأعيان يتوجهون إلى الرباط للانقطاع والتصرف [٦] أمثال : أحمد بن على بن بختيار بن عبد الله وكان والده يقيم بباب الجعفرية [٧] حتى توفي فيه سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) ، ودفن في نفس الرباط .

---

١ - المصدر نفسه ،والصفحة .

٢ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٦٧.

٣ - مجهول ، الحوادث ، ص١٣٤ .

٤ - المصدر نفسه ،ص١٧٠ .

٥ - المصدر نفسة ،ص ص٢٨٤ - ٦ .

٦ - أنشأه علي بن نجتيار بن عبد الله ابة الحسن الكاتب المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، بمجلة الجعفرية بالجانب الشرقي من بغداد . ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج٢ ، مخ ، ورقه ٢١٩ ؛ عبد الحسين مهدي الرحيم ، الخدمات العامة في بغداد (٤٠٠-٦٥٦ هـ / ١٠٠٩-١٢٥٨م) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٧، ص١٥٤.

٧ - الحافظ شهاب الدين احمد بن الدمياطي ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ محي الدين بن النجار ، حققه وعلق عليه محمد مولود خلف باشراف بشار معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ ،ص ص ١٥٠ -١ .

وشمل التصوف التجار والعسكر ، فقد جاء محمد بن علي بن الحسن ابن الرأس الصوفي انه كان ابنا لتاجر ثم صحب الصوفية حتى وفاته سنة (٦٠٩ هـ[1] / ١٢١٢ م) ، ومن العسكر كان أبو الحسن ورام بن أبي فراس الحلّي (ت٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) ، زاهداً متعبداً وكان أولاً جندياً فهداه الله الى التوبة ، ولزم باب الله عز وجل _ وانعكف على عمل الخير والعبادة على قراءة القرآن ، ومداومة الصيام ، حتى عظم في أعين الناس وصاروا يقصدونه اكابرهم وعامتهم للتبرك منه [2].

ولم تكن النساء بعيدات عن حركة التصوف ، ولكثرتهن في ذلك دفع ذلك الخلفاء الى انشاء الربط من أجلهن [3] .

وفي ظل الجو السياسي القلق لجأ العوام الى الزهاد والمتصوفة ، وآمنوا بهم وبمعتقداتهم ، واعتبروهم أولياء الله ، تحل بركاتهم عليهم ، فاكثروا من زيارتهم والتبرك بهم ، حتى لو خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها [4] .

وكان بعض العوام إذا غُسل أحد المتصوفة بعد موته يأخذون الماء ويغسلون عمائمهم ، واذا حمل نعشه مزقوا كفنه للتبرك به [5] .

وقصدوهم في المساجد والربط لهذه الغاية ، فقد كان الشيخ عبد الله الرومي (ت٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م)، منقطعاً في سقاية الخليفة الراضي[6] بجامع المنصور يقصده الناس للتبرك[7] ، وكذلك أبو عبد الله محمد البلخي الزاهد (ت٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) ، يحاول الناس التبرك به وهو ينفر منهم [8] . ولما توفي الشيخ عرفه بن علي بن الحسن (ت ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) ، نودي للصلاة عليه فاجتمع الناس بالمدرسة النظامية ، وجيء بتابوته مشدوداً بالحبال وحوله خلق عظيم

---

١ - الذهبي ، مختصر ، ج١ ، ص٩٩ .

٢ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٧٢ ؛ فهد ، تاريخ العراق ، ص٣٩٧

٣ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٤٠١ ؛ مجهول ، الحوادث ، ص٣٣٤ .

٤ - ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تلبيس إبليس ، تحقيق السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص٤٧٠ .

٥ - ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٠ .

٦ - حول سقاية الراضي انظر الفصل الرابع " توفير المياه لمدينة بغداد " .

٧ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٨٩ .

٨ - المصدر نفسه ، ص ص٥٤ -٥٥ .

من العوام ، يتبركون به ويلقون عمائمهم وميازرهم . وحملوه على رؤوسهم ، كان يوم وفاته يوماً مشهوداً [١] .

هذا الاتجاه من تقديس الصوفية لم يقتصر على العامة وحدهم ، بل شاركهم فيه الاكابر والأعيان . فيذكر ابن الساعي في ترجمته لابي الحسين ورام بن ابي فراس الحلّي (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨م) ، " انه كان يقصده الاكابر للتبرك " [٢] .

ونتيجة لهذا الإتجاه نجد أن العوام قد إعتقدوا بولاية المجانين أمثال رجل يدعى حميد الزيزي ، الذي كان يتجول في الشوارع والاسواق مكشوف العورة ، وعلى أشنع ما يكون منظراً، أسود اللون من القذرو الرماد الذي ينام عليه ، ومع ذلك كان العوام يعتقدون به على انه ولي من اولياء الله ، فلما توفي سنة (٥٩٥ هـ / ١١٨٩٨ م) ، شدّ تابوته بالجبل من شدة الزحام، وبقي الناس يزورونه لعدة ايام وينذرون له النذور [٣] .

وفي وقت الكوارث والازمات ، فلما هبت رياح شديدة سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) ، قصد الناس المشهد الكاظمي ومقبرة الامام احمد بن حنبل ، وازدحموا بباب الاول وركب بعضهم بعضاً ، فاختنق من ذلك الزحام سبعة عشر رجلا وامرأتان ، وذهب من الناس عمائم ومداسات كثيرة، وبعد أن هدأت الرياح عصر ذلك اليوم ، تفقد الناس القتلى فمن عرف أحداً من الهالكين اخذه ودفنه، وبقي منهم جماعة لم يعرفوا فدفنهم الناس ، وقد غرق في تلك الليلة عدة سفن كانت صاعدة أو نازلة في دجلة ، وغرق فيها خلق كثير[٤] .

ورغم ما سبق من حديث عن ميل العامة الشديد للمتصوفة الا أن هذا لا يعني أن الجميع كان راض عن تصرفاتهم البعيدة عن الدين ومبادىء التصوف . وكان أكثر العلماء حملة على الممارسات الشاذة من قبل دعاة التصوف هو الأمام ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، الذي ألف كتاباً سماة " تلبيس ابليس " ، محاولا من خلاله كشف ابتداعات الصوفية وطرق تحايلهم على الناس.

---

١ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٢٥١ -١ .

٢ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٣٩ .

٣ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١١٥ .

٤ - المصدر نفسه ، ج٩، ص١٤٦ .

كما نجد أن فئة كبيرة لم تكن راضية على هذا الإتجاه السلبي في التصوف ، حتى قيل في ذمهم الشعر . فقال احدهم:

لا تثق بالسكون من كل صوفي   واجتنب مكرهم وكن في صروف

افقروا العالمين أكلا ورقصاً   وادعوا أنه لرب رؤوف

أترى ربهم يقول ارقصوا لي   واتركوا ما فرضت من معروف(١)

وللشاعر يعقوب بن صابر المنجنيقي(٢)، بيتان في هجو الصوفية.

قد لبس الصوف لترك الصفا   مشايخ العصر للبس القصير

الرقص والشاهد من شأنهم   شر طويل تحت ذيل قصير (٣)

وقال ظهير الدين أبو أسحاق بن عسكر (٤) في ذم الصوفية وممارستهم سماع الغناء :

متى سمع الناس في دينهم   بأن الغنا سنة تتبع

ويأكل المرء أكل البعير   ويرقص في الجمع حتى يقع.

ولو كان طاوي الحشا جائعاً   لما دار من طرب واستمع(٥) .

---

١ - ابن الفوطي ، تلخيص، ج٤، ق٢، ص٩٢١.

٢ - هو يعقوب بن صابر الحراني الاصل، كان شيخا مقدماً على اهل صناعته وعنده ادب ويقول الشعر ، عاش اثنين وسبعين سنة ، وصنف كتاب عمدة المسالك في سياسة الممالك توفي في صفر سنة ٦٢٦ه. الغساني، المصدر السابق، ص٤٤٠.

٣ - ابن الشعار الموصلي ، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان . نسخة مصورة عن المخطوطة بتركيا ، موجودة في مكتبة جامعة مؤته (المجموعات الخاصة) ، ج١، ورقة ٧٦.

٤ - هو ظهير الدين ابو اسحاق ابراهيم بن نصر بن عسكر ، قاضي السلامية فقيهاً تفقه بالنظامية، وسمع وحدث وغلب عليه نظم الشعر. جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي، طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالله الجبوري ، مطبعة الارشاد، بغداد ، ١٩٧٠، ج٢، ص٦١.

٥ - المصدر نفسه والصفحة.

ولع الصوفية بالسفر والسياحة [١]، واعتبروهما نوعاً من العبادة بل هما ركن من أركان العبادة لديهم، والقصد منه :" رؤية الآثار وتسريح النظر في مسارح الفكر ومطالعته أجزاء الأرض، واستماع التسبيح من ذوات الجمادات"[٢] .

وباعتباره نوعاً من العبادة فعلى من أراد السفر. فعليه قبل سفره ان يرضي خصومه ويستأذن والديه ، وأن لا يكون غرضه من السفر غرض دنيوي، بل يكون للطاعة والعبادة[٣].

ويوصي الشيخ عبد القادر الجيلاني من أراد السفر بأن لا يصحب معه الأحداث المردان "لأنهم أقرب الى مصافاة الشيطان" ويجب عليه السفر وهو على طهارة[٤] .

إذا عاد الصوفي من سفرة ، فأول شيء يقوم به الدخول الى الرباط الذي كان يقيم فيه قبل سفره، وقبل أن يسلم على أحد من ساكني الرباط يتوضأ ويصلي ركعتين ، ثم يسلم على الشيخ وعلى الجماعة، وبعدها يحتفلون به بذبح شاة[٥] .

وممن اشتهر بالسياحة والسفر أبو محمد الدراجي الصوفي، وهو من الصوفية الذين جالوا في الافاق وتغربوا في بلاد الشام والعراق[٦]،وشيخ الشيوخ ضياء الدين ابو احمد بن عبد الوهاب بن أبي منصور على بن سكينة البغدادي ، كان شيخ العراق في الحديث ، وكان كثير الحج والزيارة توفي في سنة (٦٠٧هـ[٧]/ ١٢١٠م).

ومهما قيل في المتصوفة وسلوكهم ، فإن كيانهم ظل ينمو ويتسع حتى كاد أن يطغي على الحياة الدينية بأسرها في هذا العصر بسبب كونه صدى لواقع اليم، دفع الناس إلى أن ينظروا إلى

---

١ - ابن الجوزي، تلبيس ، ص٣٦٣؛ ابن الفوطي، المصدر السابق، ج٤،ق١،ص٣٨٦، ص٤٣٨، ص٥٦٥؛ ج٤ ، ق٢، ص٩٢٨.

٢ - ابو حفص عمر السهروردي، عوارف المعارف، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص١٢٢.

٣ - عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، تحقيق فرج توفيق الوليد، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، ١٩٨٧، ج٣،ص١٣١٥؛ السهروردي، عوارف ، ص١٣٤.

٤ - الجيلاني ، الغنية ، ج٣، ص١٣١٦.

٥ - ابن الجوزي، تلبيس ، ص ص ٣٨٦-٧.

٦ - ابن الفوطي ، المصدر السابق، ج٤،ق١، ص٣٨٦.

٧ - المصدر نفسه، ج٤،ق١، ص٣٨.

الحياة نظرة استخفاف واحتقار، والجأهم الى البحث عن الامن والاستقرار والراحة ، في عالم الروح والخيال، بعد أن افتقدوها في عالم الواقع[١] .

والباحث في تيار التصوف في هذا العصر ، يمكنه أن يميز فريقين من المتصوفة : فريق منهم كان يتخذ من التصوف وسيلة الى العيش الهادىء في وقت ضعفت فيه وسائل الانتاج ، وعزت فيه لقمة العيش وكان هذا الفريق يقيم في الربط آمناً ، يأتيه رزقه، ولا عمل له سوى التدين ، وانتظار الصدقات، وقد يكون التصوف لهؤلاء طريقاً يوصلهم الى الشهرة ، والفريق الأخر من المتصوفة ، فأنهم مالوا الى التصوف وانغمروا في تياره تدينا او هربا من واقع اليم ناشيء عن اخفاق في الحياة ، أو زهداً في حياة مليئة بالمظالم والفتن ، فصدروا عن مناهج الحياة ولذتها، وسرعوا في مجاهدة النفس المتمددة ويختنقونها بالعزلة والتقشف[٢] .

ومن هذا الاتجاه نجد طريقتين إشتهرتا في العراق ، ومن ثم انتشرتا في معظم أقاليم العالم الاسلامي ألا وهما : القادرية والرفاعية .

أ- الطريقة القادرية

تنسب هذه الطريقة الى الشيخ عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست[٣] بن أبي عبدالله بن يحيي بن محمد بن داوود بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله المحض بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٤] .

أصله من جيلان[٥] واليها ينسب الجيلاني او الجيلي ، وبهذا تعرف الطريقة ايضا بالطريقة الجيلانية.

---

١ - العبود ، الشعر ، ص٢٦٩.

٢ - المرجع نفسه ، ص٦٢.

٣ - جنكي دوست: لفظ اعجمي معناه المحب للقتال ؛ محمد ابن يحي التادفي، قلائد الجواهر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٥٦، ص ٣.

٤ - ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١، ص٣٢٣؛ نور الدين ابو الحسن علي بن يوسف الشطنوتي ، بهجة الأسرار ومعدن الانوار في مناقب القطب الرباني سيدي محي الدين ابي محمد عبد القادر الجيلاني ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ص٨٨ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ،ص٣٦ ؛ أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ، الطبقات الكبرى المسمى لواقع الأنوار في طبقات الأخيار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر،١٩٥٤ ، ج١ ،ص١٢٦ .

ولد الشيخ عبد القادر "بنيف"، قصبة أقليم جيلان سنة (٤٧٠هـ[١]/١٠١٦م) ،توفي والده فنشأ يتيماً فرعته أمه وجده لوالدته عبد الله الصومعي الزاهد [٢] ، وأمه هي فاطمة بنت عبدالله الحسيني [٣] ، فربي تربية دينية [٤] ، وبهذا النسب فهو ينتسب الى البيت النبوي فهو حسني من جهة الأب ، وحسيني من جهة الأم ، وقد صرح الشيخ عبد القادر بهذا النسب فقال :[٥]

محمد رسول للخلق رحمة وجاهد كفارهم بالقواضب

أتاني مراراً قبل عهدي وقال لي أنا جدك افخر بي فخرت بخاطب

وإن هذه الأرجوزة تقدم لنا الدليل على صحة النسب العلوي وتخطي الذين دعوا أن السيد الجيلاني لم يكن قد إدعى هذا النسب في وقته وإذا كان لم يذكر نسبه فلربما كان ذلك بسبب نزعته الصوفية التي لا تجعله يزهو بنفسه وهو يدعو الى التواضع [٦] .

حصل عبد القادر الجيلاني على دراسته الأولية في الكتّاب بجيلان وظل يواصل دراسته على جده حتى بلوغه الثامنة عشرة ، فاستأذن والدته بالسفر الى بغداد ، فاذنت له وجهزته ، وأعطته أربعين دينارا [٧] .

ولما وصل الى بغداد تقرب من أبي سعيد المخرمي [٨] ، وأخذ عنه العلم ، ثم لبس منه خرقة التصوف [٩] .

---

٥ - جيلان : أسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان ، وليس بجيلان بلدة كبيرة أنما هي قرى في مروج بين الجبال .ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ،ص٢٠١.

١ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ،ص٢١٩ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ،ج١ ،ص٥٩ ؛ الشطنوفي ، المصدر السابق ، ص٨٨ ؛ الشعراني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٢٦.

٢ - التادفي ، المصدر السابق ، ص٣.

٣ - المصدر نفسة والصفحة ؛ الشطنوفي ، المصدر السابق ، ص٨٨.

٤ - ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٧١.

٥ - عبد القادر الجيلاني ، فتوح الغيب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٠،ص٢٢٤ ؛ جعفر صادق سهيل ، عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي ، رسالة ماجستير ، قدمت لجامعة القاهرة ، ١٩٧٥، (غير منشورة) ، ص ١٤.

٦ - المرجع نفسه ، ص١١.

٧ - التادفي ، المصدر السابق ، ص٩.

لم يكن الشيخ عبد القادر متزوجاً قبل دخوله بغداد ، وانما تم زواجه فيها بعد أن مضى على تواجده ببغداد بضع سنين ،ولم يكن زواجه بواحده بل باربع زوجات ، انجبن منه تسعة وأربعين ولداً ، منهم سبعة وعشرون ذكراً والباقي إناثاً (١) .

إتخذ الشيخ عبد القادر رباطاً متصلاً بسور بغداد للتزهد والعبادة والوعظ ، وانشأ من الهدايا الكثيرة التي كانت ترده من الآفاق التي ذاع فيها اسمه " المضيف"وكان مفتوحاً لتلاميذه وطلاب العلم(٢) .

وكما يذكر اليافعي(٣) فإن كرامات الشيخ عبد القادر الجيلاني قد قربت من التواتر(٤).

وكانت وفاة الشيخ عبد القادر في بغداد سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م)،في عهد الخليفة المستنجد بالله، ودفن بمدرسته بباب الأزج(٥)، وكان دفنه ليلا لكثرة الزحام، فأنه لم يبق أحد إلا جاء حتى إمتلأت الشوارع والأسواق(٦).

وألف الشيخ عبد القادر مجموعة من الكتب منها : الغنية وهو كتاب في العقيدة والتصوف، وجعله على خمسة اقسام . الأول والرابع في الفقة مثل الصلاة والصيام والاعتكاف

---

٨ - ابو سعيد المبارك المخرمي ، ولد سنة ٤٤٦هـ ، سمع الحديث من ابي الحسين بن المهتدي ، وافتى ودرس ، وجمع كتباً وناب في قضاء بغداد،بنى مدرسته بباب الازج شرقي بغداد.توفي سنة ٥١٣هـ. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢١٥؛ ابراهيم الدروبي، المختصر في تاريخ شيخ الاسلام سيدنا عبد القادر الكيلاني واولاده،الفه قبل سنة ١٣٢٢هـ، نشر بخط المؤلف ، باريس، (د.ت) ، ص٣٩.

٩ - المرجع نفسه، ص٣٩.

١ - التادفي، المصدر السابق، ص٤١.

٢ - الدروبي، المرجع السابق ، ص٢٨؛ وما زال هذا البيت موجوداً الى اليوم في الحضرة الجيلانية ويسمى بيت الخير.

٣ - عبد الله بن سعد اليافعي ابو محمد ، نشر المحاسن في فضائل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات الغالية (الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد) ، تحقيق ابراهيم عطوه عوض ، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٦١، ص ٢٩٥؛ يوسف بن اسماعيل النبهاني، جامع كرامات الاولياء، تحقيق ابراهيم عطوه عوض، المكتبة الثقافية ، ليبيا، ١٩٩١ ، ج٢،ص٢٠٤.

٤ - التادفي ، المصدر السابق ، ص ١٣٤؛ مجهول ، مختصر ، ص١٠٢؛ الشعراني، المصدر السابق ، ج١،ص١٦٨.

٥ - باب الازج: محلة كبيره ببغداد بالجانب الشرقي، ذات اسواق كثيرة . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١، ص١٦٨.

٦ - التادفي، المصدر السابق، ص١٣٤.

والحج ،،، الخ، والثاني في العقائد والفرق الاسلامية كالشيعة الزيدية ، والاباضية والرافضة....الخ واما القسم الثالث فجعله للمجالس وهي أربعة عشر مجلساً ، تدور حول مواضيع منها فضائل الصيام، وعيد الفطر ، والأضحى، وعرفة ، وعاشوراء...الخ ، والخامس فهو في التصوف وقواعده، واجبات كل من الشيخ والمريد، وعلاقتهما معاً ، ثم القواعد التي تقوم عليها الطريقة القادرية.

والكتاب الأخر هو فتوح الغيب، ويشمل الكتاب على سبعين موعظة مختلفة، قام بجمعها ولده عبد الرزاق ، وفيها المعلومات التي استخلصها من أبيه وهو على فراش الموت[١] .

والفتح الرباني والفيض الرحماني، كتاب آخر للشيخ عبد القادر، ويحتوي على مجموعة مجالس الشيخ ، وكل مجلس له يشير الى تاريخه ومكان انعقادة ، يوجه فيه خطابه الى المريدين، وباسلوب المشايخ بقوله يا غلام، ويشملالكتاب على أثنين وستين مجلسا، واخرها كان في مدرسته في سنة (٥٤٦هـ/ ١١٥١م) .

أنتشار الطريقة القادرية وكيفية الانتساب اليها :

كانت الطريقة القادرية واحدة من أهم الطرق الصوفية وأوسعها إنتشاراًخاصة أن هناك عوامل عديدة تظافرت لتؤدي في النهاية الى قيام هذه الطريقة واستمرارها قوية بعد وفاة مؤسسها وهي :

١- إهتم الشيخ عبد القادر بإرساء قواعد طريقته الواضحه في الكتاب والسنة[٢] ، مما جنب أراءه الوقوع في مزالق التأويلات ، والخوض في الفرعيات ، فظلت طريقته واضحة المعالم بعد وفاته .

٢- ترك الشيخ عبد القادر ذرية كثيرة [٣] ، فخلفه في مشيخة الطريقة وتربية المريدين أبناؤه وأحفاده [٤] ، ومن أشهرهم ، الشيخ عبد الوهاب ، وعبد الرزاق .

---

١ - الدروبي ، المرجع السابق ، ص٢٨.

٢ - الجيلاني ، الغنية ، ج٣ ، ص١٢٧٧ ؛ يوسف محمد طه زيدان ، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١، ص١٧٦.

٣ - التادفي ، المصدر السابق ، ص٤١.

٤ - D.S. margoliouth, "Qadiriyya," E.I²

٣- تلقى العديد من الصوفية الوافدين من أقطار العالم الاسلامي الطريقة والخرقة على يد الشيخ الجيلاني ، وقد عمل هؤلاء على نشر الطريقة بأقطارهم ، في حياة الشيخ ، وبعد وفاته [١].

أما الإنتساب للطريقة القادرية فتحكمه ضوابط وشروط ، على من أراد الدخول فيها تحقيقها . فعلى السالك لها أن يعتقد بها أولاً ، واعتقاده يجب أن يكون باراده صادقه وايمان ثابت لا أثر فيه لأي عامل خارجي عن إرادة المريد .

فالذي يجب على المريد [٢] المبتدىء في هذه الطريقة الإعتقاد الصحيح الذي هو الأساس فيكون على عقيدة السلف الصالح ، وأهل السنة القديمة سنة الأنبياء والمرسلين [٣] .

فإذا توفرت بالمريد هذه الشروط يبدأ الطريق بحضوره الى الشيخ وأخذ العهد منه ، حيث يطلب الشيخ من المريد الإستغفار ويكون ذلك الإستغفار بالصيغة التالية :" قل أستغفر الله العظيم، الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأشهد الله ، وملائكته ، ورسله ، وأنبيائه بأني تائب لله منيب ...ورضيت بحضرة شيخنا المشار اليه ، شيخاً لي ، وطريقته لي ، والله على ما أقول وكيل " [٤] .

وبعد أن يقبل المريد هذه الوصايا ، تكون المبايعه والقبول بين الطرفين الشيخ ، والمريد ، فيقول الشيخ للمريد :" وأنا قبلتك أيضاً ولداً وبايعتك على هذا القول "[٥] . وبعد هذه المراسيم ، تنتهي المبايعه فتنفصل الأيدي المتشابكة وتبتعد الركب المتلاصقة ، ثم تأتي مرحلة الدعاء مختومة بشرب كأس الشيخ [٦] .

الطريقة بعد وفاة عبد القادر الجيلاني

---

١ - الشطنوفي ؛ المصدر السابق ، ص١٣١ ؛ اليافعي ، المصدر السابق ،ص٢٩٦ ؛ زيدان ، المرجع السابق ،ص١٧٧.

٢ - المريد : هو من ترك ما عليه العادة ، والبحث عن حظوظ الدنيا ، وتجددت ارادته فهو مقبلاً على الله عز وجل ، يسمع من ربه فيعمل بما في الكتاب والسنة ، ويبتعد عما سواه . عبد القادر الجيلاني ، الغنية، ج٣ ، ص١٢٦٥.

٣ - المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٢٧٧ ؛ سهيل ، المرجع السابق ، ص١٢٧.

٤ - الجيلاني ، الفيوضات الربانية ، ص ص٢٩-٣٠.

٥ - سهيل ، المرجع السابق ، ص١٣١.

٦ - المرجع نفسه ، ص١٣١.

بعد وفاة الشيخ عبد القادر سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م) ، خلفه في المشيخه ابنه عبد الوهاب وقام بالتدريس بمدرسة والده وأسند اليه الخليفة الناصر لدين الله النظر في ديوان المظالم [١] .

وتولى أخوه عبد الرزاق المشيخة بعد وفاته سنة (٥٩٣هـ[٢]/١١٩٦م)، وكان هذا أشهر أبناء الشيخ عبد القادر بالحديث ، وكانت له أحوال صوفية باهرة وبقي في مشيخة الطريقة حتى وفاته سنة (٦٠٣هـ[٣]/١٢٠٦م).

وفي عهد عبد الرزاق نبش قبر الشيخ عبد القادر سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) وبأمر من الوزير بن يونس " الذي أرسل جماعة في الليل، قامت بنبش القبر ، ويقال أنه رمى عظامه باللجة[٤] ، بحجة أن المدرسة وقف لا يحل أن يدفن بها أحد [٥] ، ولكن نعتقد أن السبب الحقيقي وراء هذه لخطوة يعود الى العداوة السابقة بين أبناء الشيخ وابن يونس ، فقد كان الأخير جارهم بباب الأزج وكانوا يؤذونه ، حتى أنهم لقبوا كلباً لهم "بجليل" ، وهو لقب ابن يونس "جلال الدين " فلما ولي الوزارة حاول الانتقام منهم [٦] ، بعد أن استفتى فقهاء الحنابلة في ذلك فأفتوه [٧] .

وتولى الطريقة بعده ابن أخيه الشيخ عبد السلام بن عبد الوهاب ، وكان قد تفقه على جده ووالده ، ودّرس وأفتى ، وتولى عدة ولايات ، وكان عارفاً بالمنطق والفلسفة والتنجيم ، وكانت محنته في عهد الوزير فقد أتهم بالالحاد والكفر ، فكُبست داره وأحرقت جميع كتبه على مرأى من الناس[٨]، ثم قام الوزير بتحريض الخليفة الناصر والعلماء على الركن عبد السلام،

---

١ - التادفي ، المصدر السابق ، ص٥٣ ؛ ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣١٤.

٢ - المصادر نفسهاوالصفحات.

٣ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص ص٢١٤-٥ ؛ الذهبي ، مختصر ،ج٢ ،ص٦٢ ؛ المنذري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٨٠

٤ - ابو شامة ، الذيل ، ص١٢ ؛ مجهول ، مختصر ، ص١٠٢ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ،ج٦ ،ص١٤٢ ؛ ابن العماد ، المصدر السابق ،ج٤ ، ص٣١٤.

٥ - المصادر نفسها والصفحات.

٦ - أبو شامة ، الذيل ، ص٥٦ ؛ مجهول ، مختصر ، ص١٠٢.

٧ - المصدر نفسه ، ص١٠٢.

٨ - أبو شامة ، الذيل ،ص٥٦ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق، ج١٣ ، ص٥١ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٩٢.

ولم يكتف بذلك ، بل شتت أبناء الشيخ عبد القادر وأحفاده وأخرجهم من بغداد الى الطوامير بواسط (١) . ولكن بعد أن أبعد ابن يونس عن الوزارة ، حاولت السلطة وكجزء من سياستها العامة بالتقريب بين المذاهب من جهة ، ولما لاولاد الشيخ من تأثير بين أتباعهم من جهة أخرى ،ان قامت بالإفراج عن الشيخ عبد السلام (٢) ، وعاد الى بغداد، ليتولى أمر المشيخة والمدرسة.

ويؤيد ما ذهبنا اليه أنه لما وقعت الفتنة بين أهل باب الأزج ومحلة المأمونية (٣) سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) ، وبعد عدة محاولات من قبل السلطة لإخماد هذه الفتنة ، لم تجد أفضل من الركن عبد السلام للتدخل في حلها . خاصة أنه من أهل باب الأزج ، ومن أبناء الشيخ عبد القادر الذي يحترمه الناس ويطيعونه ، فذهب وأجتمع مع الشهاب يوسف الغقاب زعيم أهل باب الأزج ومقدم الفتيان بها ، وأتفق معه على كف أهل باب الأزج ومنعهم واحضروا رأس الفتنة وأجبروهم على ذلك بعد أن توعدوهم (٤) .

وتولى أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبد الرزاق الجيلاني منصب قاضي القضاة في عهد الخليفة الظاهر (٥) ولم يتول هذا المنصب خلال هذه الفترة حنبلياً سواه ، ولكنه عزل سنة (٦٢٣هـ(٦) /١٢٢٦م) ، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدار الروم ، جعله المستنصر شيخاً على من فيه من الصوفية (٧) ، وبقي فيه الى أن توفي سنة (٦٣٣هـ(٨)/١٢٣٥م) .

وأسند الخليفة الناصر الى الشيخ عبد السلام بن عبد الوهاب مهمة النظر في أوقاف المارستان العضدي (٩) ، ثم ولاه مسؤولية كسوة الكعبة في كل عام (١٠) ، وتولى أبو نصر محمد

---

١ - مجهول ، مختصر ، ص١٠٢.
٢ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص ١٤٧.
٣ - المأمونية :محلة في بغداد تنسب الى الخليفة المأمون تقع بين محلة نهر المعلى ومحلة باب الأزج.ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٥،ص٤٤
٤ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٤٨.
٥ - مجهول ، الحوادث ، ص ص٨٦-٧ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٧٣.
٦ - المصادر نفسها والصفحات ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٩٦.
٧ - مجهول ، الحوادث ، ص٨٧ ؛ ابن رجب ، المصدر السابق ،ج٢ ،ص١٨٩ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٧٣.
٨ - المصادر نفسها والصفحات.
٩ - ابن الدُبيثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٣ ، ورقه ٥٩ ب.

بن نصر الجيلاني القضاء والحكم بدار الخلافة في عهد الخليفة المستعصم ، وتوفي سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، ودفن بجوار جده في المدرسة [١] .

مما سبق يتضح للباحث أن الطريقة القادرية ، لم تكن بالطريقة المتطرفة ، التي تهدف الى تحقيق مطالب سياسية أو غيرها ، بل نجد أنها حركة مرنة تتأقلم مع الظروف ، مع المحافظة على مبادئها ، كما نجد أن مشايخ الطريقة ، لم يبتعدوا كثيراً عن مسرح الأحداث الداخلية ، بل شاركوا فيها من خلال إسناد أهم الوظائف لهم.

٢- الطريقة الرفاعية .

تنسب هذه الطريقة الى الشيخ أحمد الرفاعي ، وقد ورد نسبه كالآتي " هو أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي أحمد يحيا بن أبي حازم ثابت بن أبي الفوارس على الخارم بن أبي علي أحمد المرتضى بن أبي الفضائل علي بن أبي محمد رفاعة الحسن الأصغر المكي بن أبي رفاعة المهدي بن أبي القاسم محمد بن أبي موسى ... وينتهي نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب [٢] ".

ولد السيد احمد في المحرم سنة (٥١٢ هـ / ١١١٨ م)، بأم عبيدة[٣]، ويعرف بالرفاعي[٤] والبطائحي[٥] .

فنسبه من جهة الاب ينتهي بالحسين بن علي ، واما من جهة الام فهو ينتهي بالصحابي خالد أبي ايوب بن زيد الانصاري[٦] .

---

١٠ - المصدر نفسه والصفحة.

١ - التادفي ، المصدر السابق ، ص٥٩.

٢ - ابن خلكان، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٧٢ ؛ مجهول ، مختصر ، ص١١٢.

٣ - ام عبيدة ؛ قرية من قوي ناحية واسط . مجهول ، مختصر ، ص١١٧ .

٤ - وتفسر كلمة الرفاعي بأنها نسبة الى أحد اسلافه ، ويدعى رفاعة هاجر من مكة الى أشبيلية سنة ٣١٧ هـ ، ومنها هاجر جدّ احمد الى البصرة سنة ٤٥٠ هـ . دائرة المعارف الاسلامية . مادة رفاعية .

٥ - البطائحي : نسبة الى البطائح ، وهي عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة . ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٦٠ .

٦ - مجهول ، مختصر ، ص١١٣ .

وقد أورد المؤرخون أخبار زواجة ، ومعاملة زوجته له . "فيذكر انه تزوج امرأة بذيئة اللسان تؤذية ، فدخل عليه يوماً أحد مريدية فرآها وفي يدها محراك التنور وتضربه على أكتافة ؛ فاسود ثوبة ، وهو ساكت ، فانزعج ذلك الرجل ، وخرج من عنده وقال لمجموعة من أصحابه : يا قوم يجري على الشيخ من هذه الامرأة هذا، وانتم سكوت؟! فقال بعضهم مهرها خمسمائة دينار، وهو فقير ، فمضى الرجل وجمع خمسمائة دينار وجاء بها الى الشيخ، فقال:ما هذا ؟ قال: مهر هذه الامرأة السفيهة التى فعلت بك كذا وكذا ، فابتسم وقال: لولا صبري على ضربها، ولسانها ما رأيتني في مقعد صدق"[١] .

ولقد اعتقد الناس بالشيخ الرفاعي ، وأيقنوا بكراماته وكانوا يتبركون بأقواله وأدعيتة ؛ ويطلبون منه ذلك ، فاذا طلب احد منه ان يكتب له عودة ولم يكن معه مداد ، يأخذ ورقة ويكتب عليها بغير مداد [٢] .

حج السيد أحمد سنة (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ، لما وصل الى الروضة الشريفة ، وقف امام القبر الشريف ، فسلم على الرسول (ص) ، فأنشد يقول [٣] :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها	تقبل الأرض عيني وهـــي نائبتي
وهذه دولـــة الاشباح قد حضرت	فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وكان ملوك الاطراف والخلفاء يعتقدون فيه ؛ ويتخذون كتبه التي ترد اليهم منه احرازاً ؛ ويتبركون بمن يرد عليهم من اتباعه [٤] ، ونسب الى أتباعه الكرامات الكثيرة ، فكان قد أنضم

١ - ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٤ ،ص ص٢٦٠ -١ ؛ النبهاني ، المصدر السابق ، ج١،ص ص٤١٤ -٥ .

٢ - المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٩٣ ؛ فهد تاريخ العراق ، ص٤١٤ .

٣ - مجهول ، مختصر ، ص٩٧ .

٤ - المصدر نفسه ، ص٩٨ .

أليه خلق عظيم من الفقراء واحسنوا الاعتقاد به[١] وقد بلغ عددهم في حياته أكثر من مائة وثمانين الفاً، ولم يكن في بلاد المسلمين في مشارق الارض ومغاربها مكان يخلو من مريديه[٢].

ويرى من كرامات أصحابه أنهم يركبون السباع، ويلعبون بالحيات[٣] والنزول بالتنانير ، وهي تضطرم بالنار ، فيطفئونها ، ويركبون الاسود[٤] ، ويتسلقون أطول النخل ، ثم يلقوا أنفسهم على الأرض ولا يتألمون[٥] .

توفي الشيخ أحمد الرفاعي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الاول سنة (٥٧٦هـ / ١١٨٢ م) ، في ام عبيدة [٦] ، وكان آخر كلامه " لا اله الا الله محمد رسول الله " ، وقد بلغ عدد من صلى عليه كما يذكر بعض المؤرخين تسعمائه الف من الرجال وستمائة الف من النساء[٧] .

مقومات الطريقة الرفاعية

يرى الرفاعي أن مهمة الشيخ بالنسبة للمريد ، هو أن يلزمه بالكتاب والسنة ، ويبعده عن البدع " فهو ظاهره وباطنه " [٨] . ويدعو أتباعه الى عدم الإعتقاد بعظمة المشايخ ، بحيث يعتمد عليهم فيما بينهم وبين الله ، "فان الله غيور لا يحب ان يدخل في ما آل الى ذاته بينة وبين عبده"[٩] فهم ادلاء على الله ، ووسائل الى طريقه ، يؤخذ عنهم حال رسول الله(ص) ويطلب من

---

١ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٧١- ص٢ .

٢ - مجهول ، مختصر ، ص١١٦ .

٣ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ،ج١ ،ص١٧٢ .

٤ - ابن خلكان ، المصدر السابق ج١ ، ص١٧٢ .

٥ - النبهاني ، المصدر السابق ج١ ، ص٤٩٥ .

٦ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ج٨ ، ق١ ، ص٣٧١ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق ،ج١ ،ص١٧٢ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق، ج١٢ ، ص٣٣٣ .

٧ - مجهول ، مختصر ، ص١١٧ .

٨ - احمد الرفاعي ، الحكم الرفاعية ، جمعها واعدها ياسر سعدي ابراهيم ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص١٠.

٩ - المصدر نفسه ،ص١٩ .

مريديه أيضاً طاعة الشيخ واحترامه ، من تمشيخ عليك ، تتلمذ له ومن مدّ لك بيده لتقبلها فقبلَ رجله " [١] .

وقامت هذه الطريقة على عدة أسس منها :

١ - تعظيم كتاب الله بالأخذ بأحكامه الكريمة ، والالتزام بها [٢] .

٢- صحة الاعتقاد ، وهو أن يعتقد المرء أن الله واحد لا شريك له ، فرد لامثيل له ، وهو الأول والأخر ، والظاهر والباطن[٣].

٣- العمل بأوامر الله ، والكف عن نواهيه والتجرد في العمل من طلب غير الله[٤].

٤- الاشتغال بذكر الله عز وجل لأن ذكر الله جلاء للقلوب ونور للسر ، وهيبة للوجه ، وهو الحبل الموصل الى الله ، والطريق الدال عليه [٥] .

٥- المحبة للرسول(ص) وكثرة الصلاة عليه ، لأن باب الله وسيلة الخلق اليه ، ودليل الكل عليه ، والشفيع بين يدي الله [٦] .

الطريقة الرفاعية بعد وفاة مؤسسها

لم يكن للشيخ أحمد الرفاعي عقب من الذكور ، وإنما العقب لأخيه واولاده يتوارثون المشيخة والولاية . فقد خلفه في مشيخة الطريقة ابن اخته وزوج ابنته السيد ممهد الدولة علي بن سيف الدين عثمان الرفاعي[٧]، وخلفه اخوه السيد ابو الرجال عبد الرحيم بن سيف الدين

---

١ - المصدر نفسه ،ص٢٢ .

٢ - المصدر نفسه ، ص٩ .

٣ - بهاء الدين محمد مهدي الشويخي الرفاعي، بوارق الحقائق ، مكتبة النجاح ، طرابلس ، ليبيا ، (د.ت)، ص٤٢٠.

٤ - المصدر نفسه، ص٤٢٣.

٥ - المصدر نفسه، ص٤٢٤؛ يونس السامرائي، السيد احمد الرفاعي حياته وآثاره، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد، (د.ت) ص٤١.

٦ - الشويخي ، المصدر السابق ، ص٤٢٤.

٧ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج١، ص١٧٢.

غثمان المتوفى سنة(٦٠٤هـ[١]/ ١٢٠٧م)، ثم خلفه السيد ابراهيم الأعزب المتوفى سنة (٦١٠هـ[٢]/١٢١٣م)،وممن تولى مشيخة الطريقة السيد قطب الدين أبو الحسن علي بن عبد الرخيم المتوفي سنة (٦٣٦هـ[٣]/ ١٢٤٧م).

أما الخلفاء العباسيون فقد أجمعوا على تفويض أمر ولاية واسط لآل الرفاعي ، فكانوا يتوارثون الولاية عليها، فيرسل الخليفة الوالي الى واسط ، ويشترط عليه . أن يكون تحت نظر شيخ الطريقة الرفاعية في أم عبيدة[٤].

كما أن الدولة خلعت عليهم الألقاب التشريعية ، فقد لقب الخليفة الناصر السيد علي بن عثمان "بمهذب الدولة" ، والسيد عبد الرحيم"ممهد الدولة" والسيد ابراهيم الاعزب " نظام الدولة" ، والسيد شمس الدين "سعد الدولة"، وتابع الخليفة المستنصر ومن بعده المستعصم هذه السياسة في رعاية آل الرفاعي فقد خلع المستنصر بالله على السيد أبي الحسن علي بن عبد الرخيم لقب"شرف الدولة"[٥].

٣- الفتــوة

الفتوة[٦] في الاصطلاح الإسلامي هي مجموعة الصفات التي يتحلى بها الفتى من : الشجاعة، والسخاء ، والإيثار ، والغصبية الدينية ، والصدق ، والوفاء ، والحياء ، واتباع الحق ونصر صاحب الحق والمطالب به ، واخلاص العبادة ، واغاثة المضطر، ورعاية النساء واليتامى[٧] .

---

١ - مجهول ، مختصر ، ص١١٨ .

٢ - المصدر نفسه ، ص١١٨.

٣ - المصدر نفسه ،ص١١٩.

٤ - المصدر نفسه ،والصفحة .

٥ - المصدر نفسه ،والصفحة.

٦ - الفتوة لغة : هي الاسم من فتو يفتو . فتاء ، او فتى يفتي فتى ، فهو فتى السن ، والفتيان هو الشباب ، والفتى والفتاة : الشاب والشابة. ابن منظور ، المصدر السابق ج ١٥ ،ص ص ١٤٥ - ٦ .

٧ - مصطفى جواد ، " الفتوة واطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين" ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، مج٥ ، ١٩٥٨ ، ص ٤٦.

وقال ابن المعمار(١) في تعريفه للفتوة : " أعلم أن الفتوة أسم موضوع . يقال على أنحاء، أخدها في اصطلاح العرف عبارة عن صفات محمودة اتسم بها الشخص على وجه مخصوص ، وامتاز بها عن ابناء جنسه، فأوجبت له اسم فتى ، ويشهد لذلك قوله تعالى: " انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم"(٢) ، وأيضاً قوله تعالى : " اذ اوى الفتية الى الكهف"(٣) ، واما السنة فقد ورد في الفتوة اخبار المختار منها ، ما رواه جعفر الصادق – عليه السلام– عن ابيه ، عن جده قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : لفتيان امتي عشر علامات . قيل : يا رسول الله ، وهل لأمتك فتيان ؟ قال – عليه السلام – : نعم وأين الفتوة الاولى من فتوة أمتي ؟ ، قيل : وما تلك العلامات يا رسول الله ؟ قال – عليه السلام : صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، واداء الامانة ، وترك الكذب ، والرحمة لليتيم ، وإعطاء السائل ، وبذل المنائل ، وإكثار الصنائع وقري الضيف ، ورأسهن الحياء".

لا نستطيع أن نورد كل ما قيل في الفتوة(٤) ، وإنما نريد أن نذكر أن الفتوة من حيث هي مذهب اسلامي ديني اجتماعي ، قد تطورت كسائر المذاهب فالمتصوفة يعتقدون أن فتوتهم في ربطهم وخانقاتهم وتكياتهم هي الصحيحة ، والشجعان الأسخياء يظنون أن فتوتهم هي الفتوة العملية الصحيحة ، وأن التطور المادي العملي اسرع من التطور الروحاني النظري ، فلذلك تغيرت الفتوة الى غناء وشرب عند الراغبين في الدنيا ، واللهو والمتعة والحرية والتسلط ، وانقلبت الشجاعة الى شطارة وعبارة ، وصارت فتوة مزيفة ، وأصبح الفتيان بالأمة صفة متميزة كل التميز حتى في الملابس والكلام (٥).

---

١ – أبو عبدالله محمد بن ابي المكارم المعروف بابن المعمار ، الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد وآخرون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٥٨، ص ص ١٣٠-١

٢ – الكهف ، آية ١٣.

٣ – الكهف ، آية ١٠.

٤ – هناك عدة دراسات حول الموضوع ، ومن اهم تلك الدراسات : مصطفى جواد ، في تقديمه لكتاب الفتوة لأبن المعمار؛ سعيد الديوه جي، الفتوة في الاسلام المطبعة الكلدانية، الموصل ، ١٩٥٠، ودراسة عمر الدسوقي ، الفتوة عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ،١٩٦٦؛ ولكن اهم الدراسات وأجودها والتي حاولت ان تمزج التنظيم بالواقع التاريخي رسالة ماجستير بعنوان ، الفتوة في بغداد في العصر العباسي الأخير (٥٧٥-٦٥٦هـ) ، قدمت للجامعة الاردنية ١٩٩٢م ومقال Taeschner, "Futuwwa", E.I²

٥ – جواد ، الفتوة واطوارها ، ص ٤٨.

لذلك يمكن أن تقسم الفتوة الى تيارين : فتوة العيارين والشطار ، وهي فتوة عملية عنيفة ، وفتوة العارفين والصوفية وبينما صار شعار العيارين لبس السراويل ، صار شعار الصوفية المرقعة [١].

بعد أن تولى الخليفة الناصر الحكم بثلاث سنين-اي سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) انتظم الخليفة نفسه في منظمة الفتوة التي كان يرأسها الشيخ عبد الجبار بن يوسف بن صالح البغدادي[٢] ، ولقد ندرت المعلومات حول هذا الشيخ في مصادرنا، رغم اهميته في هذا التطور ، فلم نجد سوى أنه كان مشهورا بالشجاعة ،لدرجة ان الرجال كانت تخافه، ثم انقطع بعد ذلك للعبادة بموضع أتخذه لنفسه : فاشتهر عند ذلك[٣].

وقد أصبح هذا الشيخ شيخا لفتوة وحامل لوانها ودرة تاجها، وانفرد بشرف النفس والأبوة[٤]، واصبح له اتباع كثيرون[٥]، ثم أمر الخليفة الناصر بأن تعمر له صومعة، فعمرت وانتقل اليها عبد الجبار ، وصار الخليفة يكثر من التردد عليه، والحديث معه في الفتوة ومعرفة الفتيات ، فكان يخدمونه لأجل الخليفة [٦]، وكان ذلك سبباً في ارتفاع مكانة الشيخ عبد الجبار[٧]، واستمر الامر على ذلك حتى توفي الشيخ سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، وهو في طريقه الى الحج[٨].

يوضح النقاش وضع الفتوة واختلافها الى بيوت وأحزاب ، ثم دور الخليفة الناصر في تنظيمها قائلا[٩]:" وبعد فإن احزاب الفتوة كانوا تائهين ، وعن الحق زائغين...، تأولوا الفتن

---

١ - عبد العزيز الدوري، " نشوء الاصناف والحرف في الاسلام"،مجلة كلية الاداب،جامعة بغداد ، العدد الاول، حزيران ١٩٥٩،ص١٦٢ .

٢ - ابن ابي الدم الحموي ، التاريخ المظفري، نسخة البلدية بالاسكندرية، رقم ١٢٩٢ب، ورقة ٢١٢. نقلا عن جواد ، مقدمة كتاب الفتوة، ص٥٢؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص ٨٥؛ ابن العماد ، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٧٥.

٣ - الذهبي ، سير ، ج٢٢ ، ص٢٠٤، ؛ عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص١١٥.

٤ - الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص ٨٥.

٥ - ابن ابي الدم ، المصدر السابق ، نقلا عن جواد ، مقدمة كتاب الفتوة ، ص ٥٢.

٦ - الايوبي، المصدر السابق، ص١٧٧.

٧ - ابن العماد، المصدر السابق ، ج٤، ص٢٧٥.

٨ - الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٨٥.

٩ - احمد بن الياس النقاش ، فتوة النقاش، نسخة استانبول ، نقلا عن جواد ، مقدمة كتاب الفتوة ، ص٥٤.

والابتداع ...تجلت عليهم الشقاوة ، وتحكمت في بواطنهم الضلالة ... الى ان شرف الله تعالى الفتوة وكرمها ، وأعلى منارها وعظمها بسيدنا ومولانا الشجرة الإمامية ... وهو بهذا يعكس النقد الموجه الى تصرفاتهم واوضاعهم ، ليبرز دور الناصر في توحيدهم وفي وضع أسس أمتن لحركتهم [١].

وقد تم أنضمام الناصر الى هذه المنظمة في بستان التاج ، حيث حضر الشيخ عبد الجبار ومعه أبنه علي وصهره يوسف العقاب ، كما حضر ندماء الخليفة المقربين منه هذه المراسيم ، فقام الشيخ عبد الجبار بالباس الناصر سراويل الفتوة ثم شرب الخليفة شراب الفتوة المكون من الملح والماء[٢] . وبعدها أخبر الشيخ عبد الجبار الخليفة الناصر سنده في الفتوة الى الإمام علي بن أبي طالب (رض) ، وبعد أن تمت مراسيم الفتوة ، أعطى الخليفة للشيخ عبد الجبار خمسمائة دينار ، كما أنعم على ولد الشيخ بخلعة سنية[٣].

وكان لإنضمام الخليفة الناصر الى الفتوة أثره البالغ في انتشار الحركة في بغداد أولاً، ثم في أطراف العالم الإسلامي ثانياً، خاصة وأنه خليفة المسلمين وزعيمهم الروحي فدخلها العلماء والفقهاء والاعيان والاجناد ، وعامة الناس ، يشير الى ذلك ابن المعمار عند حديثه عن السبب الذي دفعه الى وضع كتاب الفتوة قائلاً [٤]:" إعلم أيها الناظر أن الباعث على اصدار هذا الكتاب أني رأيت جملة الناس وجمهورهم وأفاضلهم وصدورهم قد اولعوا بذكر الفتوة وألهجوا بها راغبين في فضائلها ، راجين نيل طاعتها ، خصوصا حين أحيا سننها ومعالمها سيدنا ومولانا أبو العباس أحمد الناصر لدين الله " .

وقد أستمرت الفتوة على تلك الحالة من الأهمية والأشتهار والانتشار لإتصال الخليفة الناصر بها، إلا أن الفتيان لأختلاف بيوتهم [٥] ، وفروعهم وأحزابهم[٦]، ومذاهبهم الدينية، كانوا

---

١ - الدوري ،"نشوء الاصناف"، ص ١٦٣.

٢ - ابن أبي الدم، المصدر السابق، ورقه ١١٢. نقلا عن جواد ، مقدمة كتاب الفتوة، ص ٥٣.

٣ - جواد ، مقدمة كتاب الفتوة ، ص٥٨.

٤ - الفتوة، ص١٢٣.

٥ - البيت من تنظيمات الفتوة، وهو اسم لطائفة تميزت بصفة تخصها ، ورأى تفردت به ، كما قيل بيت الرهاص ، وبيت الشحينية. ابن المعمار : المصدر السابق ، ص١٩١.

٦ - الحزب: اسم يطلق على الاشخاص المنسوبين الى شخص واحد.ابن المعمار ، المصدر السابق ، ص١٩١.

يحدثون شغباً في المجتمع. ويؤدي بهم النزاع الى الاقتتال وارتكاب المحرمات في الشرع من النهب والهتك [١] .

وكان معظم أسباب الفتن في بغداد باستثناء الفتن الطائفية ناجماً عن صيد السباع تلك الرياضة التي شجعها الخليفة ، واعتبرها من علامات تفوق الفتى على أقرانه، لذلك وبسبب التنافس بين الفتيان نجد ان الفتن تكررت منها ما حدث سنة (٦٠١هـ / ١٢٠٤م)، حيث أجتمعت جماعة من عوام محله باب الازج ببغداد وخرجوا لصيد السباع فقتلوا حيواناً ، وعادوا الى محلهم، وعزموا ان يطوفوا به في المحلات ، ويجتازوا في محلة المأمونية ، فتسامع فتيان المأمونية بذلك ، فتوعدوهم ، وأرسلوا بأنهم سيمنعونهم من الاجتياز في محلتهم أن هم أقدموا على ذلك ، فجمع أهل باب الازج خلقاً من العوام والعرب ، وشاع الخبر فخاف الناس ، ونشبت الفتنة بينهم ، وتجالدوا بالسيوف[٢] ، وتراموا بالنشاب ، ولم تهدأ الفتنة الا بعد أن تدخل بها الركن عبد السلام الجيلاني ، ومقدم الفتيان يوسف العقاب ، فأحضروا رؤوس الفتنة، فسكن الناس وانقطعت الفتنة[٣] .

وبعد أيام وقعت فتنة أخرى بين اهل قطفتا[٤] والقرية[٥] من محال الجانب الغربي ، حيث أراد اهل قطفتا أن يطوفوا بسبع أصطادوه فمنعهم اهل القرية من أجتياز محلتهم فاقتتلوا ، ولم يكف عن الاقتتال ألا بعد تدخل العسكر[٦] .

وفي سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) ، حدث أن الفاخر العلوي ، وكان في نظام الفتوة رفيقاً[٧] للوزير نصير مهدي العلوي ، وكان له رفقاء من الفتيان ، فاختصم أحد رفقائه مع رفيق لعز

---

١ - جواد ، مقدمة كتاب الفتوة ، ص٥٨.

٢ - ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج٩، ص ص ١٤٦-٧.

٣ - المصدر نفسه ، ص ص ١٤٧-٨.

٤ - وهي محلة كبيرة ذات اسواق بالجانب الغربي من بغداد ، ومجاورة للمقبرة التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي ، بينها وبين دجلة أقل من ميل . يا قوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٧٤.

٥ - وهي محلة كبيرة جداً بالجانب الغربي مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٤٠.

٦ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص ١٤٨.

٧- الرفيق : هو اسم يطلق على جميع المنتسبين الى بيت واحد . ابن المعمار ، المصدر السابق ،ص١٩٣.

الدين نجاح الشرابي ، مقدم الجيوش العباسية ، وحدثت بذلك فتنة عظيمة في محلة قطفتا حتى تجالدوا بالسيوف ، فانتهى هذا الى الخليفة الناصر فأنكره [١] .

هذه الفتن كما رأينا كانت تشير الى نوع من العصبية أخذت تظهر بين الفتيان ببغداد بحيث أصبح فتيان كل محلة يشكلون جماعة واحدة ، ويتعصبون لمحلتهم ، هذا عدا أن الفتوة أصلاً لم تكن جماعة واحدة ، فقد كانت جماعات متعددة ، ويشير الى ذلك صراحة ابن المعمار بعد ذكر سند الفتوة ، " ولم تزل الفتوة تنتقل هلم جرا الى عصرنا هذا ، حتى تفرعت وصارت بيوتاً وأحزاباً وقبائل كالرهاصية والشحنية ، والخليلية ، والمولدية ، والبنوية "[٢] فأدى هذا الاختلاف في جماعات الفتوة الى ظهور الفتن فيما بينها ، والتي كانت تؤدي الى مقتل العديد من الناس ، وكان للعلوم أثر كبير في هذه الفتن [٣] .

نعود الى فتنة سنة(٦٠٤هـ/١٢٠٧م) ، فلما علم الخليفة أنكر ذلك ، وأمر الوزير نصير الدين بن مهدي العلو بجمع رؤوس أحزاب الفتيان ، وأن يكتب لهم منشوراً يؤمرون به بالمعروف والألفة وينهون عن التضاغن ، ويقرأ هذا العهد بمحضر منهم ، ويشهد عليهم بما يتضمنه ، ومن خالفه أخذت منه سراويل الفتوة، وأبطلت فتوته وعوقب بما يرى من العقوبة [٤]، وأحضر الفاخر العلوي الى مجلس الوزير ، فقال الوزير ابن مهدي للحاضرين :" أشهدوا اني قد نزلت عنه وأخرج من الفتيان "[٥] .

وبذلك رأى الناصر أن الفتوة لا تزال تتعرض للجرائر والكبائروالاضطراب فقام بإهدار الفتوة القديمة ، وأمر ان تجدد فتوة الفتيان الذين لم يأخذوا التفتي عنه ، وصار بذلك المرجع لجميع الفتيان ، والقبلة الجديدة في التفتية التي تستوجب التجديد ، والتي هي انتماء جديد .

وكان قد رافق تجديد الفتوة أصدار المنشور على رؤوس الفتيان ، من انشاء مكين الدين أبي الحسن محمد بن محمد المقدادي القمي كاتب ديوان الإنشاء يومئذ ، وهو الذي لقب بمؤيد

---

١ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٢٢ ؛ جواد ، مقدمة كتاب الفتوة ، ص٦٣ .
٢ - الفتوة ، ص ص١٤٥-٦ .
٣ - عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص١٢٥ .
٤ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٢٢ .
٥ - المصدر نفسه والصفحة .

الدين عند نقله الى نيابة الوزارة ، وقد حدد هذا المنشور أحكام الفتوة العامة وآدابها [١] ، وورد نص المنشور كاملاً عند البصري[٢] وابن الساعي[٣] ، وفي هذا المنشور تظهر عدة ملاحظات :

١- ابتدأ بالحديث عن علي بن أبي طالب ، وأنه هو أصل الفتوة في الاسلام ، ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها ، واليه دون غيره تنتسب الاحزاب ، وكون الأمام علي هو أصل الفتوة فإن ذلك يرضي كلاً من السنة والشيعة ، لأن شخصية الامام علي محبوبة ومقبولة عند الطرفين ، ولذلك فقد أنتظم في فتوة الناصر فتيان السنة والشيعة [٤] .

٢- يذكر المنشور بعد ذلك الأوامر والتعليمات التي يريد الخليفة الناصر أن يوصلها لرؤساء أحزاب الفتوة ، وتتلخص هذه التعليمات بالتشديد والتهديد والوعيد لكل من يرتكب جريمة القتل بحق رفقائه من الفتيان ، وأن من يقتل رفيقاً له يعتبر خارقاً بذلك دائرة الفتوة ، وساقطاً من عداد الرفقة[٥] .

وبعد أن كتب المنشور ، وقريء على مسامع رؤساء الفتيات ، سلم الى كل واحد منهم نسخة منه عليه شهادة ثلاثين من عدول دار الاسلام ، ثم كتب تحت كل نسخة من المرسوم ما نصه : " قابل العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع وقابله بما يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال ، وهو الذى يجب العمل به فتوة وشرعاً ، وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحقق نقلا ، وقد ألزمت نفسى إجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الشريف ، فمتى جرى ما ينافى المأمور به المحدود فيه ،كان الدرك لازما لي والمؤاخذة مستحقة علي على ما يراه صاحب الحزب ، ثبت الله دولته ، واعلى كلمته ، وكتب فلان بن فلان في تاريخه " [٦].

ولم يكتف الخليفة الناصر بعد أن وحد تنظيمات الفتوة في تنظيم واحد، وجعل نفسه قبلة أهل الفتوة ، وربط جميع الفتيان بشخصه ، بل أراد أن ينشر الفتوة خارج بغداد ، لدى ملوك

---

١ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٢١ ؛ جواد ، مقدمة كتاب الفتوة ، ص٦٣.

٢ - علي بن ابي الفرج البصري ، المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية ، صورة عن المخطوط على مايكروفلم محفوظة في مكتبة جامعة بغداد المركزية الثانية ، رقم ٢٢٥ عن مخطوطة دار الكتب الوطنية بباريس ، رقم ٦١٤٤ ، ورقه ١٣٨ .

٣ - الجامع المختصر ، ج٩ ، ص ص٢٢٣-٥ .

٤ - عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص١٢٧ .

٥ - ابن الساعي، الجامع المختصر ، جـ٩، ص٢٢٤.

٦ - المصدر نفسه والصفحة.

الأطراف والاقاليم الاسلامية[١]، ولعله كان يريد من ذلك تدعيم مركزه الديني لدى ملوك الأطراف خاصة أنه الزعيم الروحي وخليفة المسلمين .

وكان قد إتخذ هذه الخطوة بعد ثلاث سنوات من اهدار الفتوة القديمة اي سنة (٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) فارسل الى ملوك الاطراف طالبا منهم ان يلبسوا له سراويل الفتوة ، وينتموا اليه في رمي البندق ، وانفذ اليهم من يفتيهم نيابة عنه بطريق الوكالة ، فشربت له ملوك الاطراف كأس الفتوة ولبست سراويلها [٢] كما امرهم ان يلبسوا رعيتهم السراويل ، ويسقونهم كأس الفتوة ، فقبلوا دعوته ، وامتثلوا أمره وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمرائها وأكابرها والبس كل منهم له وسقاه كأس الفتوة [٣] .وكان ممن لبس سراويل الفتوة للخليفة الناصر، السلطان شهاب الدين الغوري سلطان الهند وغزنه (ت٦٠٢هـ/١٢٠٥م) وأتابك سعد صاحب شيراز ، كما لبسها صاحب جزيرة كيش، والملك الظاهر صاحب حلب [٤] . وارسل الناصر لباس الفتوة الى عز الدين أبي المظفر كيكاوس السلجوقي،والى الملك الاشرف[٥] أبو الفتح موسى بن الملك العادل صاحب دمشق[٦].

تركزت نشاطات الناصر في الفترة (٥٧٨-٥٩٩هـ/ ١١٨٢-١٢٠١م) ، فيما يتعلق بالرياضات التي يجب أن يمارسها الفتى ويتقنها ، فكان على كل من يريد الانضمام الى الفتوة أن يمارس هذه الرياضات وعلى رأسها رياضة الرمي بالبندق[٧].

---

١ - ولكن الناصر كان قد ارسل سراويل الفتوة الى السلطان العادل الايوبي سنة ٥٩٩ه ، وكان بذلك اول من ارتبط بفتوة الناصر من ملوك الاطراف . انظر ابو شامة ، الذيل ، ص ٣٣؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص ٥١٣؛ ابن كثير ، المصدر السابق ج١٣، ص ٣٨ .

٢ - الديوجي، المرجع السابق ، ص ٤٨.

٣ - ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٣، ص٢٠٦؛ المقريزي ، السلوك ، ج١، ق١،ص٢٧٢؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٨٣؛ ابن الفرات ، المصدر السابق، ج١ ، ص١١٣؛ الديوه جي، المرجع السابق ، ص٤٨.

٤ - الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ط٦٣، ص ص ٧٦-٧

٥ - هو الملك الاشرف مظفر الدين ابو الفتح موسى بن الملك العادل الايوبي ، صاحب دمشق ، من ملوك الدولة الايوبية، ملك الرها وحران وسنجار ، توفي سنة ٦٣٥ه . الذهبي ، سير ، ج٢٢، ص ص ١٢٢-٧.

٦ - مجهول ، الحوادث ، ص ١٠٦.

٧ - البندق : عبارة عن كرات تصنع من الطين بعد ابن يعجن جيدا ، وترمى بواسطة الاقواس والنبال .النويري ، المصدر السابق، ج١٠، ص ص ٣٢٤-٥ ؛ جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، راجعه وعلق عليه حسين مؤنس دار الهلال ، بيروت ١٩٥٣-١٩٥٧، ج٥، ص ص ١٥٣-٤.

وكان الهدف من هذه الرياضة هو صيد طيور الواجب [١] أو الطير الجليل ، ووضعت لصيدها قواعد واحكام وشروط وصدرت في امورها فتاوى تشبه الفتاوى الفقهية ، وألفت كتب في ذلك منها كتاب " المقترح في المصطلح " للشيخ محمد بن اسماعيل بن ودعه المعروف بابن البقال (ت ٥٨٨ هـ [٢] /١١٩٢) .وكما كان الخليفة رئيساً لجميع الفتيان في مذهب الفتوة في العالم الاسلامي ، كذلك ترأس عليهم في الرمي بحسب احكام الفتوة فكان جميع الرماة من هذه الفئة يرمون بأسمه ، ويعترفون برئاسته [٣] .

وشجع الخليفة الناصر رياضة صيد السباع [٤] ، كما شجع رياضة السعي لمسافات طويلة، فقد انعم على شخص يدعى بركة بن محمود الساعي وجعله مقدم رجال باب القرية ، بعد أن ركض من واسط الى بغداد في يوم وليلة ، ومن تكريت الى بغداد في يوم واحد [٥] .

وأهتم الخليفة الناصر بالحمام الرسولي (الزاجل). ، الذي كان يستخدم في نقل الرسائل ، والمكاتبات من منطقة الى أخرى [٦] ، ويعود السبب في الاهتمام بهذا النوع من الحمام كما يقول يحيى عبد الهادي[٧] الى امرين :-

الأول : انهاتستطيع الطيران الى مسافة بعيدة ، فقد تمكن احد الطيور من الطيران من القسطنطينية الى البصرة .

الثاني : هو انها تستطيع ان تعود الى موطنها الاصلي دون أن تضل الطريق .

ورغم ما جلبته هذه الاهتمامات من النقد للخليفة الناصر من قبل بعض المؤرخين [٨] ، الا أنه كان يهدف من خلالها الى جملة من الأمور : فهي رياضات جمعت بين التسلية . والمتعة،

---

١ - وقد حددت طيور الواجب باربعة عشر نوعا هي : التم، والمرزم ، والكركي ، والغرنوق ، واللغلغ ، والضوع ، والاوز ، والبجع ، والانيسة ، والحبرج ، والنسر ، والعقاب. القلقشندي ، صبح الاعشي ، ج٢ ،ص ص٦٩ -١٧٠ مصطفى جواد ، "طيور الفتوة واثرها في الادب" ، ضمن كتاب في التراث العربي ، ج١ ، ص ٢١٩ .

٢ - المرجع نفسه والصفحة .

٣ - المرجع نفسه ، ج١ ، ص ٢٢٠ .

٤ - مجهول ، الحوادث ، ص١٧٥ .

٥ - المصدر نفسه ، ص ص٢٥ -٦ .

٦ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١٤ ، ص٤٣٤ .

٧ - الفتوة في بغداد ، ص١١٩ .

والانبساط من جهة ، وتربية الاجسام تربية رياضية من جهة أخرى ، كما إستخدم هذه الرياضات لتحقيق سياسته التى يمارسها فرياضة السعي توفرله سعاة قادرين على نقل الأخبار والمعلومات والبريد بسرعة خاصة اذا علمنا انه كان مهتماً بجمع الاخبار وله من أجل ذلك أصحاب أخبار منتشرين في داخل بغداد وخارجها [١] .

أسباب اهتمام الناصر بالفتوة

أمام الاندفاع من قبل الخليفة الناصر في الاهتمام بالفتوة وتنظيم حركتها يطرح سؤال : لماذا اهتم الناصر بالفتوة ؟ .

إعتبر ابن خلدون اهتمام الناصر بالفتوة دليل على هدم الدولة العباسية وضعفها ، " وكان الناصر كثيراً ما يشتغل برمي البندق ، واللعب بالحمام المناسيب ، ويلبس سراويل الفتوة ، شأن العيارين من اهل بغداد ... وكان كله دليلاً على هرم الدولة وذهاب الملك من أهلها بذهاب ملاكها منهم " [٢] .

ولكن رغم ما يتصف به ابن خلدون من الدقة في التحليل والنقد ، إلا ان ما قاله في وصف فتوة الناصر لا تؤيده الروايات التاريخية عن شخصية الناصر ، ومحاولته الطموحة الى اعادة امجاد الخلافة العباسية ، ومن كان هذا همه ، فان كل سياسة يتبعها تكون لتحقيق غاية والوصول الى هدف [٣] فما هي تلك الغاية التي كان الناصر يسعى اليها ؟.

حاول مجموعة من الباحثين الاجابة على هذا السؤال ، وأول من تصدى لهذه المهمة المستشرق " بول فتك" "P.Wittek" يقول [٤] ": ان الناصر حرص على أقامة خط دفاعي يقي البلاد من الزحف الصليبي على المسلمين ، وأنه اراد أن يوحد جميع المجاهدين الجدد تحت لوائه، وأن يربطهم بشخصه برباط جديد". أما سالنجر "G.Salinger" ، فيرى إن غرض الناصر كان مراقبة النقابات الشاذة التي أثارت في بغداد قبل حكمه فتناً وقلاقل أستمرت سنين

---

٨ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٦٤٩ .

١ - عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص١٢١ .

٢ - تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٦٤٩ .

٣ - عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

٤ - تشنز ، "الفتوة والخليفة الناصر"، مقال ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين ، ترجمة صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة، ١٩٥٥، ص٢٠٠.

وأرهبت الناس[١]. وذهب تشنر " F. Taeschner" ، الذي تصدى لهذا الموضوع ، ونلمس من رأيه انه يرد على ابن خلدون ، فيرى ان هدف الناصر من الفتوة في شخصه، ونشرها بين الامراء في العالم الاسلامي ، أنما فعل ذلك لنقصان القوى العسكرية لديه، ثم ليخلق بواسطة هذه التبعية القوية بين أفراد الفتوة من الامراء قوة يستطيع عند الحاجة اليهم تنفيذ رغباته[٢] .

ومن الباحثين العرب الذين حاولوا تقديم إجابة على ذلك الدكتور مصطفى جواد حيث قال[٣] : " رأى الناصر أن العالم الاسلامي في خطر ، فالقسم الشامي ما بين مستعمر ومهدد من الفرنج ، ومصر مطمع أنظار الغزاة ، وشمال أفريقيا بأيدي بني عبد المؤمن وهم يدعون الخلافة، والاندلس في قرارة الاخطار ، والعراق مقر الخلافة مستهدف لمطامع الدولة السلجوقية الكبرى بغربي إيران ، فأراد أن يجدّد شباب الامة الاسلامية، ويوحدها في الداخل والخارج ، ويجعل بغداد المركز العالمي للسياسة ولجميع بلاد الاسلام كما كانت في بعض العصور الماضية".

ونحن أمام هذه التعليلات التي قدمها نخبة من الباحثين ، لا بد لنا من توضيح جملة من الحقائق التي كانت وراء فتوة الناصر.

لقد حرص الناصر على اضفاء الشرعية علىفتوته بإسنادها الى الرسول (ص) عن طريق علي بن أبي طالب(رض) ورغم ان هذا السند لا يقف امام الدراسة والنقد،الا أن له دلالاته:

أولاً : فهو يعطي الناصر السند والسلطة الأدبية والروحية ، زيادة الى سلطة الخلافة ، وذلك لأنه رئيس تنظيم يرجع في أصوله الى الامام علي بن أبي طالب ، ومن هنا حرص الناصر على إدخال ملوك الاطراف في فتوته وربطهم به شخصياً لتأكيد هذه السلطة.

ثانياً : لان إسناد الفتوة الى الامام علي فيه تقرب من الشيعة ، وذلك لأن شخصية الامام علي مقبولة لدى السنة والشيعة ، وهذا فيه دلالة على أن فتوة الناصر ليست لمذهب دون آخر ،

---

١ - جير الدسالنجر،" الفتوة هل هي الفروسية الشرقية " ، بحث منشور في كتاب دراسات اسلامية، بأقلام مجموعة من المستشرقين ، أشرف على الترجمة الى العربية نقولا زيادة ، دار الاندلس ، بيروت، ١٩٦٠، ص٢٢٧؛تشنر ، المرجع السابق ، ص٢٠٠.

٢ - الفتوة والخليفة الناصر ، ص١٩٣. ويؤيدة في ذلك صلاح الدين المنجد في كتابه. الحركات التقدمية في العراق حتى الغزو المغولي، دار القلم للملايين ، بيروت، ١٩٦٢.

٣ - مقدمة كتاب الفتوة ، ص ص٥٥-٦.

وإنما هي وسيلة لجميع المسلمين السنة منهم والشيعة تحت قيادة واحدة ، وبذلك يتغلب على أكبر عقبة تواجهه الا وهي العصبية المذهبية[١] .

كما أن فتوة الناصر كحركة تربوية للأمة يتربى فيها الفرد تربية متكاملة ، فقد بنى الناصر فتوته على أساس خلقي ينبع من أوامر الشرع وان نظرة سريعة الى الفصل التاسع من كتاب الفتوة لأبن المعمار ترينا ما هي الخصال التي يجب على الفتى فعلها ، وما هي الخصال التي يؤمر باجتنابها [٢].

بالاضافة الى ذلك ، فأن فتوة الناصر اهتمت بالتربية من الناحيتين الروحية ، والبدنية . أما من الناحية الروحية فأننا لاحظنا الجانب الصوفي فيها فقد أخذ الناصر الفتوة عن الشيخ عبد الجبار وهو شيخ من مشايخ الصوفية ، ولذلك كان الناصر شديد الاهتمام بالصوفية، والمتصوفة، ويتردد عليهم ويلبس زيهم[٣].

أما من الناحية البدنية فنلاحظ ذلك من خلال الاهتمام الكبير الذي اولاه للرياضة وبناء الأجسام ، من ممارسة رياضة الصيد والسعي وغيرها من الرياضات [٤] .

اذن فإن الاهتمام الكبير الذي أولاه الناصر للفتوة كان بسبب رغبته بتحقيق أهداف وغايات كثيرة تؤدي الى توحيد الامة وتربيتها تربية متكاملة ، وجمع جهودها لتحقيق نهضة شاملة ليعيد من خلالها للخلافة بعض أمجادها . وقوتها التي فقدتها منذ قرون.

الفتوة بعد الناصر

بعد وفاة الناصر سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) ، أتبع الخلفاء الذين جاءوا بعده أثره في العناية والقيام برسومها ورعاية الفتيان في البلاد الاسلامية على إختلافهم في الحماسة لها ، بالاضافة الى ميل أنفسهم أليها ، فابنه الظاهر لم يبق في الخلافة زمنا طويلاً نستطيع أن نتبين به مقدار عنايته بالفتوة ، فانه توفي في سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، ودامت خلافته من أول شعبان سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) الى الرابع عشر من رجب لسنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م).

---

١ – عبد الهادي، المرجع السابق ، ص١٣٧.

٢ – ص ص ٢٥٦-٦١.

٣ – عبد الهادى ، المرجع السابق ، ص١٣٩.

٤ – المرجع نفسه والصفحة .

أستمرت الفتوة في عهد الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢م)، وقد حاول المستنصر أن يرتفع في سند الفتوة الى سند عال ، فحسن له جلال الدين بن المختار العلوي[١] ، بأن يلبس سراويل الفتوة من علي بن ابي طالب، وافتى بجواز ذلك، فتوجه الخليفة الى مشهدعلي بالنجف ، ولبس السراويل عند الضريح [٢] .

وأستمرت سراويل الفتوة في عهد المستنصر عنوانا للولاء والطاعة من ملوك وامراء الاطراف ، حيث كان كل امير او ملك يريد ان يعلن الطاعة والولاء للخلافة، يرسل الى الخليفة طالباً منه ان يمنحه سراويل الفتوة[٣].ففي سنة(٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، طلب جلال الدين منكبرتي شاه سراويل الفتوة من الخليفة المستنصر، فأرسل الخليفة من ينوب عنه بطريق الوكالة ليقوم بإلباس سراويل الفتوة لجلال الدين[٤].وفي سنة (٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)، قدم نور الدين ارسلان شاه بن عماد الدين بن زنكي صاحب شهرزور الى بغداد فحضر عند شرف الدين إقبال الشرابي مقدم الجيوش العباسية فشرفه بلباس الفتوة نيابة ووكالةعن المستنصر[٥].

وفي السنة نفسها شرف الخليفة المستنصر الشيخ عبدالله الشرمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية بلباس الفتوة[٦] .

وقد برز في عهد المستنصر بعض رجال الدولة ككبراء في الفتوة ، وكان على رأس هولاء شرف الدين إقبال الشرابي. فقد كان الخليفة ينيبه في منح سراويل الفتوة ، ويعطيه وكالة بذلك [٧] .

بعد وفاة المستنصر بالله سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)، استمر الخليفة المستعصم بالاهتمام بالفتوة ، ولكن ليس بنفس درجة إهتمام والده، ومن تلك الاشارات التي تدل على أهتمامه بالفتوة ،

---

١ - هو جلال الدين عبدالله بن المختار الكوفي ، اديباً، حفظ القرآن الكريم في نيف وخمسين يوما ، وكان يحضر عند الناصر في رمي البندق، وكان مولده سنة ٥٧٧هـ، وتوفي سنة ٦٤٩هـ. مجهول، الحوادث ، ص٢٥٦ ؛ تشنز ، المرجع السابق ، ص١٩٨.

٢ - مجهول ، الحوادث ، ص ٢٥٧؛ جواد ، "الفتوة وأطورها" ، ص٧١.

٣ - مجهول ،الحوادث، ص ٤؛ عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص ١٤٢.

٤ - مجهول ، الحوادث ، ص٥؛ جواد ،"الفتوة وأطوارها"، ص٧١.

٥ - مجهول ، الحوادث ، ص ص ٨٨-٩٠ ؛ جواد ، مقدمة كتاب الفتوة ، ص٨٢.

٦ - مجهول ، الحوادث ، ص ص ٩٠-١.

٧ - المصدر نفسه ، ص٨٩.

تلك الروايات التي تبين أنه سار على طريق والده في منح سراويل الفتوة للذين يقصدون بغداد من الامراء والرسل، فعندما جاء القاضي عبد العزيز بن أبي البركات رسولا من الملك الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر،منحه المستعصم سراويل الفتوة وسقاه شربة الفتوة (١) .

ومما يدل على اهتمامه بالفتوة ايضا تشجيعه للألعاب الرياضية. ونشرها بشكل كبير، وخاصة رياضة السعي(٢) . واهتم بالحمام الرسولي فاضاف اليه اربعة انواع جديدة (٣).

ومما سبق نلاحظ ان الفتوة بعد الناصر لدين الله أخذت تتراجع عن الاهداف التي من أجلها سعى الناصر لتبني الفتوة ، وبلغ هذا التراجع أوجه في عهد المستعصم ، حيث غلب على الفتوه في زمنه الاهتمام بالنواحي الترفيهية واللعب ، أكثر من الاهتمام بالنواحي التربوية التي حرص على تحقيقها حيث ظهرت الفتن (٤) من جديد بين أهل المحال وكان سببها صيد السباع. ثم ظهور ظاهرة العيارين والشطار من جديد بعد ان توارى ذكرهم طيلة حكم الناصر والظاهر والمستنصر ، وعادوا للظهور مرة أخرى في ايام المستعصم(٥) .

ونخلص الى ان منظمة الفتوة كانت منظمة شعبية شبه عسكرية خاضعة لتنظيم قوي ، فهي نظام متكامل تمتد جذوره الى الفتوة العربية القديمة ، فأنتشرت بصورة موحدة ونظام جديد في البلاد الاسلامية بعد عام (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) .

٤ - الأصناف

إرتبط تطور المدينة الاسلامية إرتباطاً وثيقاً بتطور حياتها الإقتصادية و لم يقتصر دور الأسواق على الحياة الاقتصادية، بل تعداه الى النواحي الفكرية و الاجتماعية و السياسية، فلما

---

١ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤، ق٤، ص٢١٥؛ عبد الهادي ، المرجع السابق، ص٢١٥.
٢ - مجهول ، الحوادث، ص٢٣٤، وص٢٩١.
٣ - المصدر نفسه ، ص٢٠٣٧.
٤ - حول هذه الفتن انظر مجهول، الحوادث ، ص٣١٤، ص ٣٠٢؛ الغساني، المصدر السابق ، ص٦٢١.
٥ - مجهول، الحوادث ، ص ٢٧٨؛ الغساني، المصدر السابق، ص ٦١١؛ عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص١٥٠.

بنيت بغداد وجهت عنايه خاصة الى الاسواق بما فيها مـن تجـار و باعـة وصنـاع. فترى أسـواقاً رئيسة و آخرى فرعية حتى كان لكل ناحية و محلة سوقها[١] .

وقد أدى التحول الاقتصادي الذي شهده العصر العباسي الى ظهور فئة رأسمالية تضم كبار التجـار وكبـار الموظفين و أصحـاب المعـامل ،زاد مـن قوتهـا وتوسيـع فعاليتهـا ظهـور فئـه مـن أصحاب المصارف الذين هم تجار في الاصل أخذوا يتاجرون بـالنقود،و صـاحب توسـع المعـامل وتكثيف الزراعة تجميع العمـال و تكتلهـم فـي محـل واحـد أو رقعـه واحـدة،و هـذا قـوى الشـعور بالمصلحه المشتركه.ولاشك أن تكتل الصناع في أسواق خاصــه قـوى تماسكهم وجعلهـم يزيـدون في تنظيمهم[٢] .

ونجد أهل الحرف يشار اليهم.بالأصناف ،و أصحـاب المهـن،و أهـل الصنـايع.و لقـد قويـت الرابطه بين أهل الصناعـة و صـار كـل يشـعر بالأرتبـاط الوثيـق بزملائـه ،و صـار مـن أقوالهـم المأثوره :"الصناعه نسب"،ويتصل بالتماسك الحرفي ،الشعور بالكيان لـدى أهـل الصنـايع ،أنتشـار الانتساب الـى المهنـة حيث الانتسـاب الـى لامينـه و القبيلـه مثـلً : الزيـات و الجـراح و الزجـاج وغيرها . وهذا الاتجاه يدل على تحسن النظرة الى الحرفة اليدوية [٣] .

ولقد كانت الحكومة تنظر إليهم كمنظمات إجتماعية متضامنة في المسؤولية،فمثـلا عندمـا قتل شخص من الانبار يعرف بأبن مهديه ، فألزم تاج الدين العلوي ناظر نهر عيسـى يومئذ اهـل الانبار ديته، وطالبهم بمال فقطع علـى خمسـة ،نفـر خمسـة الآف دينـار، ثـم ألـزم الضعفـاء ألـف دينار؛ على الخليفة خمسة وعلى(الصفـارين) خمـس مائـة ، فـاعتبر صنـف (الصفـارين) مسـؤولاً بالتضامن[٤]، ولما أقدم معلم يعرف بيحيى ابن أبي سعيد البصري على إرتكاب الفاحشه مـع فتـى كان يعلمه الخط أحضر جميع المعلمين بمدينه السلام وجُب ذكره بمشهد من الجميع[٥] .

---

١ – الدوري،"الاصناف"،ص١٣٧.

٢ – محمد عبد الستار عثمان ،المدينة الاسلامية،سلسلة علم المعرفه العدد (١٢٨)،تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت ، ١٩٨٨ ، ص٣٦١.

٣ – الدوري،"الاصناف"،ص ص١٤١-٢.

٤ – ابن الساعي،الجامع الختصر ،ج٩،ص١٩؛الدوري،"الاصناف"،ص١٤٦.

٥ – ابن الساعي،الجامع لمختصر ،ج٩،ص١٢١؛الدوري،"الاصناف"،ص١٤٦.

وقد فرضت الدولة على الأسواق في هذه الفتره ضرائب ، وأحيانا كانت هذه الضرائب تلغى من قبل الخليفه، فقد أمر الخليفه الناصر لدين الله سنه (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) باعفاء الدوله للاسواق من الضرائب المفروضه على السلع و أنواع المبيعات ، وكان مبلغ ما يجبى منها في كل سنه مائتي الف دينار وسمح الخليفة بالغائها تحقيقا لمصالح الناس ورغبه في الثواب[١] .

وفي خلافة الظاهر (٦٢٢هـ-٦٢٣هـ/١٢٢٥م-١٢٢٦م)، توجهت جهود الدوله لتوحيد الأوزان في الصنجات[٢] المستعمله و هي صنجه المخزن مع صنجة البلد،وكان المخزن يقبض الضرائب من الناس بصنجة تزيد على صنجة البلد بنصف قيراط، ويدفع اليهم المال بصنجة البلد، وقد بلغ المجموع السنوي لما يحصله المخزن من هذا التعامل المزدوج بالصنجات خمسه وثلاثين الف دينار[٣]، وأن تخلي الدولة للشعب يعني تخفيض ما يدفعونه من الضرائب من أجل تحسين واقعهم الاقتصادي، فضلا عن شعورهم بعدالة الدولة الاقتصادية بالجباية والتوزيع[٤] .

ويظهر أن أفراد الصنعة يتفاهمون على الاسعار حماية لانفسهم من المنافسة،ولا تتدخل الحكومة في الاسعار الا فيما يخص أسعار المواد الغذائية من حنطة و دقيق عند حصول غلاء أو مجاعة. فبأمر من الخليفة المستنصر بالله بحدود سنه (٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، أتخذت الدولة خطوة أخرى من أجل أستقرار الاسعار حينما حددت قيمه الدينار بعشرة دراهم،ومنعت من التعامل بالقراضه لأنقاذ الرعية من العرف المشتمل على الربا، وكان ذلك بحضور الخليفة والولاة وأرباب الدولة في دار الوزارة ، وقد منح الصيارفة مبالغ من هذه الدراهم الجديدة للتعامل بها مع الناس ببغداد ،كما فرقت مبالغ اخرى في أنحاء البلاد كافة[٥] .

وكان من محاولة الدولة لتحديد أسعار المواد الغذائية بعد أرتفاع أسعارها بسبب عدم بيع الدولة لغلاتها المتوفرة في مخازنها، ما قام به الخليفة الناصر لدين الله ففي نفس السنة التي تولى فيها الحكم سنه (٥٧٥هـ/١١٧٩م) . فأعادت الدولة ما كانت قد جربته من فوائد تيسير الغذاء عن

---

١ - ابن الاثير ، المصدر السابق،ج١٢،ص٢٧٨؛ابن الساعي،الجامع المختصر،ج٩،ص٢٢٧.

٢ - الصنج عباره عن عيار على هيئة الدرهم أو الدينار ، وتشبها بالكتابة و النقوش، قد أتخذت من الزجاج لانه لا يتأثر بالحرارة والبرد. ناجي معروف، العمله و النقود البغدادية، دار الجمهوريه،بغداد،١٩٦٧،ص٧.

٣ - ابن الأثير، المصدر السابق ،ح١٢، ص٤٤٢

٤ - المصدر نفسه، حـ١٢، ص٤٤٢ .

٥ - مجهول،الحوادث،ص ص٧٠-١؛الغساني ،المصدر السابق،ص٤٦٥؛ الدوري،الأصناف،ص ص١٥١-١٥٢،

طريق بيع الغلات المتوفرة في المخازن ، أو توزيعه على الجند عوضا عن رواتبهم فرخصت الاسعار و كثرت الخيرات(١) .

وعلى هذا النمط من السياسة قام الخليفة الظاهر سنة(٦٢٢هـ/١٢٢٥م)،حيث عالج أرتفاع أسعار المواد الغذائية ببيع ما لديه من الطعام في خزانته الخاصة فرخصت الاسعار(٢).

وكانت الأصناف و الأسواق تحت أشراف المحتسب، ويبين الشيزري (ت٥٨٩هـ/١١٣٩م) في مطلع كتابه في الحسبة "ونبهت فيه على غش المتعيشين في المبيعات وتدليس أرباب الصناعات (٣) "، ويقول " وينبغي للمحتسب أن يحدد النظر في المكاييل"(٤). عليه أن يتفقد عيار الصنج و الحباب و الموازين، وأن نختمها بختم خاص بعد أن يرى أنها ماده صلبه كالحديد أو مغطاه بالجلد(٥). ثم يبين اهميه العرفاء لمساعدته في كشف الغش و التدليس لدى أهل الصناعة(٦) .

ومن هذا يتبين أن مهمة المحتسب تنصب على التأكيد من صحة الأوزان و المقاييس والمكاييل ، ومنع الغش و التدليس.

ويساعد المحتسب عرفاء جميعهم من أهل الصنف ، ويشترط في عريف أي صنعة أن يكون من صالح أهلها خبيرا بصير ابغشهم و تدليسهم مشهورا بالثقة و الامانة(٧) .

وممن تولى الحسبة ببغداد أحمد بن عبد الله البنديجي الاصل البغدادي المولد و الدار ، وكان فقيها حنفيا وقد ولى القضاء و الحسبة بالجانب الغربي سنه (٥٦٦هـ/١١٧١م)، فحمدت

---

١ - الايوبي، المصدر السابق،ص٦١.

٢ - ابن الاثير ، المصدر السابق،ج١٢ ،ص٤٤٣؛الرحيم،المرجع السابق،ص٢٥٥.

٣ - يعرف الماوردي الحسبة بقوله: هي أمر بالمعروف اذا ظهر تركه و نهى عن المنكر اذا ظهر فعله.ص٣٦٢.

٤ - عبد الرحمن بن نصر الشيزري،نهاية الرتبة في طلب الحسبة،نشرة السيد الباز العريني،مطبعه لجنه التأليف والنشر، القاهرة ١٩٤٦، ص٣.

٥ - المصدر نفسه،ص١٩.

٦ - المصدر نفسه،ص١٢؛الدوري،الاصناف،ص١٤٩.

٧ - الشيزري ، المصدر السابق ، ص١٢ ؛ محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الاخوه ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبين لوي ، مطبعة دار الفنون ، كمبرج ، ١٩٣٧ ، ص٢٢٤ .

سيرته ، وتوفي سنه (٥٩٣هـ[١]/١١٩٦م) ، وعلاء الدين بن الزينبي، ويبدوا أنه كان شديدا على الناس حتى ضجوا منه فرفعت يده عن الحسبة.و هذا يظهر مدى مراعاة الحكومة لشعور الناس[٢] .

وتولى أبو محمد يوسف بن الجوزي الحسبه ببغداد سنه (٦٠٩هـ [٣]/١٢١٨م)، وهناك ثلاثة أخوه كل منهم تولى الحسبة و لكن ما نزال نجهل حدود ولاية كل منهم وهؤلاء الاخوه هم أبناء المحتسب أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي[٤]، أما أبناؤه الثلاثة فهم جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ، وشرف الدين عبدالله ، وتاج الدين عبد الكريم ، وقد قتلوا جميعا عند سقوط بغداد بأيدي المغول سنة (٦٥٦هـ[٥]/١٢٥٨م) .

---

١ - فهد ،تاريخ العراق،ص ص٢٢٥-٦.

٢ - ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٢٠٠.

٣ - سبط الجوزي،المصدر السابق،ج٨،ق٢،ص٥٣٢.

٤ - المصدر نفسه،ج٨،ق٢،ص٥٦٠.

٥ - ابن رجب،المصدر السابق،ج ٢ ، ص ص٢٦١-٢.

الفصل الثالث

الأعياد و الاحتفالات ووسائل التسلية

و الحياة اليومية

أولا-الأعياد والاحتفالات

كانت هذه الاحتفالات تضم ألواناً شتى من الأعياد منها الديني، الرسمي، المحلى، العائلي. وفيها ما هو من ابتكار التجمعات المدنية الإسلامية ، وبعضها تقليدي سابق للاسلام . ولم تنتظم تلك الاحتفالات فنجد بعضها دوري، في حين أن البعض الأخر يكون في المناسبات فقط . ولكنها تدل كلها على أن المجتمع البغدادي كان في حاجه إلى الترويح عن النفس بشكل أو بآخر ولو بالبكاء ، وفي حاجة إلى كسر الرتابة اليومية بالخروج عليها . وأذا كان بعضها يدل على عمق الشعور الديني في المجتمع : فأن بعضها الآ خر كان يدل على رقة المظهر الاسلامي في الحياة العامة ، وعلى الرغبة في الاشتراك في الجانب الاجتماعي والمسلي من الأعياد التقليدية و النصرانية.

أ-الأعياد و الأحتفالات الإسلامية

١ - حلول شهر رمضان

تبدأ الاستعدادات للاحتفال به مع نهاية شهر شعبان ، فيقوم ديوان الخلافة بتوزيع الهدايا (العطايا الرمضانيه) على سائر المساجد والمدارس والمشاهد والربط وزوايا الفقراء ، وتكون تلك العطايا من الدقيق واللحم من أجل تقديم وجبه الافطار للمنقطعين بها من الزهاد والمتصوفة ، بالأضافه إلى من أراد الافطار بها من عامة الناس[١].

وباعتبار شهر رمضان موسم العبادة والتقرب إلى الله لذلك حرص الأغنياء والموسرون من أهل الخير على توزيع العطايا على الفقراء[٢].

وإذا حل رمضان يكون شهر عبادة فتضاء المساجد بالمصابيح و تقام فيه الصلوات الخمس أضافه إلى صلاة التراويح[٣] ، ويقبل الناس على سماع وقراءة القرآن في منازلهم ، وفي المساجد ، ويأخذ المرتلون بترتيل القرآن بعد صلاة العصر ، واذا كان أحدهم حسن صوت يجعله ذلك محط أنظار المسلمين في مختلف محلات بغداد ، فيأتيه الناس ليستمعوا قراءته ، ومن هؤلاء

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص ص١٤-٥ ؛ الغساني ، المصدر السابق ،ص٤٢٢.

٢ - سبط بن التعاويذي ، المصدر السابق ، ص٢٩؛ ابن الكازروني ، مقامه ،ص٤٣٧ ؛ مجهول ، الحوادث ، ص١٤.

٣ - أبن الكازروني ،مقامه،ص٤٣٧.

المقرئين الذين كان لهم هذا الصيت ، أبو يعلى الحراني المقرئ (ت ٦٠٢[١] هـ\١٢٠٥م) ، والشيخ حسن بن علي الدرزبيثي كان حسن الصوت ، وكان أهل بغداد يقصدونه لسماع القرآن ، ولم يقتصر قراءته للعامه بل حرص الخليفة الناصر على سماع صوته، فكان يأتي إلى باب حجرة الخليفة فيقرأ ، والخليفة يسمع[٢].

ولم تقتصر أعمال الخير على توزيع الطعام على أماكن تواجد الزهاد و المتصوفة ، بل نجد أن الخليفة الناصر يأمر بأنشاء دور الضيافة ليفطر فيها فقراء المسلمين ، وقد أنشئت هذه الدور بجانبي بغداد ، وبلغ عددها عشرون داراً [٣] وجهزت هذه الدور بكل ما تحتاجه من أدوات للطبخ وطباخين ، و جعل الخليفه في كل دار من يوثق به و بأمانته ليتولى مهمة الإشراف عليها[٤] .

ولعل هذه الخدمة كانت مجانية لا يتقاضى صاحبها أي أجر، أنما كانت جزءاً من عمل الخير. وتفتح هذه الدور أبوابها قبل أذان المغرب بفتره ، أستعدادا للافطار و يقدم لكل صائم قدح مملوء بالطبيخ ، ونصف رطل من اللحم ، و رطلين من الخبز[٥] .

وفي خلافة المستنصر بالله أمر بزيادة عدد دور الضيافة الرمضانية وكان عدد دور المضافة دارين : إحداهما بدار الخلافة لإفطار أولاد الخلفاء المقيمين بدار الشجرة ، والأخرى بخربه ابن جردة [٦] للفقراء الهاشميين[٧] .

واستمرت دور الضيافة في ازدياد فقد أمر الخليفة المستعصم بالله بفتح أربع دور أخرى ، دار بالمشهد الكاظمي لأجل افطار العلويين المقيمين به ، وداران بالجانبين الغربي و الشرقي

---

١ - أبو شامه،الذيل،ص٥٤.

٢ - المصدر نفسه و الصفحة.

٣ - أبو شامه،الذيل ، ص٦٠ ؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٣٤ ؛ الذهبي ، مختصر ، ج١ ، ص١٨٠ ؛ الغساني، المصدر السابق ، ص٣٢٢ .

٤ - أبن الاثير ، المصدر السابق،ج١٢،ص٢٧١؛الغساني،المصدر السابق،ص٣٢٢.

٥ - أبو شامه ، الذيل ، ص٦٠ ؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٣٤ ؛ أبن كثير ، المصدر السابق ، ج١٣، ص٥٢ ؛ مجهول ، الحوادث ، ص٤٤ .

٦ - خربه ابن جرده:محله بشرق بغداد تنسب إلى ابي نصر بن ابي عبد الله بن أحمد المتوفي سنه ٤٩٤هـ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١١٣.

٧ - البصري،المناقب العباسيه،مخ،ورقه ١٤٦ب؛مجهول،الحوادث، ص٤٤.

للفقراء من العباسيين ، ودار بصحن السلام من دار الخلافة لاجل الساكنيين بدار الشجرة من أولاد الخلفاء ، فاصبح بها داران لافطار أولاد الخلفاء[١] .

ولأجل أستمرار هذه الدور التي كانت بحاجة إلى الاموال الكثيرة خصصت لها العوائد المالية اللازمة . بل جعل لها ديوان خاص يسمى "ديوان الطبق" .

يقول أبن خلكان [٢] في تعريف الطبق :"أن أهل بغداد يحضرون سماط الخليفة عند الوزير، وهم يسمون السماط طبقا " .

غير أن الطبق في الاصطلاح له مفهوم أوسع وأشمل بعد أهتمام الخلفاء العباسيين ومنهم الناصر والمستنصر والمستعصم بشؤون دور الضيافة بصوره عامة ، والضيافة الرمضانية بصورة خاصة حيث أوقفت عليه الاراضي الزراعية ، فعرف الطبق بأنه "الضياع الموقوفة على ضيافة الدوله العباسية للفقراء والحجاج وغيرهم ولأسيما في شهر رمضان"[٣] .

والظاهر أن توسيع مهام الطبق في الأعمال و الادارة و تنوعها جعلت منه ديواناً مستقلاً يعنى بوسائل دعم الطبق في الدولة لتمكينه من القيام بمهام الضيافه في الدولة العباسية بما فيها دور ضيافة الحجاج ، ودور الافطار في رمضان وغيرها من مظاهر الضيافة [٤] .

ومما قام به المستنصر من وسائل دعم الطبق هو وقف الاراضي الزراعية. فبعد أن تحول مجرى دجلة جهة الشرق اصبحت المنطقة التي كان يجري بها الماء خربة ، فقام الخليفة المستنصر باستخراج نهر لها من دجيل ، ووقف تلك الارض على دور الضيافة [٥] ، و عرف النهر الذي شقه المستنصر "بدجيل المستنصري"[٦] .

---

١ - الغساني،المصدر السابق،ص٥١٨.

٢ - وفيات الاعيان،ج٦،ص٢٣٥.

٣ - ابن الساعي ،الجامع المختصر ،ج٩،ص٢١،هامش رقم (١)؛الرحيم،المرجع السابق،ص٤٦.

٤ - الرحيم ،المرجع السابق،ص٤٦.

٥ - ابن عبد الحق ،المصدر السابق ،ج٢،ص٩٥٣؛ ،تاريخ العراق،ص١٥٨؛الرحيم،المرجع السابق، ص٤٦.

٦ - ويقع دجيل المستنصري على بعد عشره فراسخ شمال بغداد. ابن عبد الحق،المصدر السابق، ج٢، ص٩٥٣.

وأصبح توزيع الأعطيات الرمضانية سُنة سنوية ، حرص الخلفاء على توزيعها على سائر المدارس والاربطة و المشاهد وزوايا الفقراء ، و تتكون كما اسلفنا . من الدقيق ، و اللحم وغيره من المواد[١] .

ويقدر عدد الذين كانو يفطرون في هذه الدور بأكثر من عشرة آلاف شخص إذا علمنا أنه كان يقدم في كل دار من الدور في كل يوم خمسمائة قدح من الطعام[٢] .

ومن العادات التي حرص المجتمع البغدادي على إستمراريتها هي (المسحراتي) ، ويبدأ عمل هذا الشخص قبل موعد آذان الفجر بوقت ليس بالقصير بالمناداة على أهل الشارع أو المحلة التي يقطنها يذكرهم بقرب موعد الأذان[٣] ، ويردد أثناء مسيره في الشارع أناشيد وألحان بسيطه التركيب و مما وردنا منها "يا نياما : قوما قوما .السحور قوما"[٤] .

وممن تولى هذه المهمة في بغداد أبو منصور بن أبي بكر ويعرف بابن نقطة ، وفي إحدى الليالي مر ابن نقطة بجوار دار الخلافة ، فعطس الخليفة الناصر ، فقال ابن نقطة:"يامن عطس في الروزنة يرحمك الله ، قوما" ، فبعث اليه الناصر في اليوم التالي مائةدينار[٥] .

ولا يعني أن أهل بغداد كانوا جميعا يقضون أوقاتهم في هذا الشهر بالعباده و الصيام والصلاة ، بل نجد من الناس إذا افطروا اجتمعوا في بيت أحدهم ، والتهوا إلى ما قبل السحور بملاذّهم و غنائهم[٦] .

وعلى عادة ديوان الخلافة فإذا ما بقي من رمضان أربعة أيام يقوم المخزن بتوزيع الخلع الخلافية على صدور الدولة و الامراء و العلماء ، و توزيع الاموال على الفقراء والمحتاجين[٧].

---

١ - حول ذلك ينظر الغساني،المصدر السابق، الصفحات :٤٢٢،٤٧٠،٥٠٦،٥١٢،٥١٨،٥٣٢،٥٤٣، ٥٥٣، ٥٧١، ٥٧٨، ٦٠٤، ٦١١.

٢ - ابن الساعي ،الجامع المختصر، ج٩،ص٢٣٠؛الغساني،المصدر السابق،ص٣٢٢.

٣ - ابن النجار،المصدر السابق،ج١،ص٤٧.

٤ - أبو شامه،الذيل،ص٢٨؛سبط بن الجوزي،المصدر السابق،ج٨،ق٢،ص٥٠٩.

٥ - المصادر نفسها و الصفحات؛ابن الكثير،المصدر السابق،ج١٣،ص٣٥.

٦ - ابن الكازروني،مقامة،ص٤٣٧.

٧ - المصدر نفسه و الصفحة.

٢- عيد الفطر

يكون عيد الفطر[١] يوم الأول من شوال ، ويستعد الناس له عند آخر ليلة من شهر رمضان ، ويكون ذلك بمراقبة الناس لهلال شهر شوال ثم الشهاده عند القضاة بذلك ، والذين بدورهم يتولون أمر ايصال تلك الشهادة إلى قاضي القضاة ومنه إلى الخليفة فيصدر أمر الخليفة بآذان العيد ، أما إذا لم يتحققوا من رؤية الهلال ، فانهم يتمون الصيام ويكملوا عدة رمضان وبعدها يكون العيد[٢] .

ويظهر الاهتمام بالعيد منذ الصباح ، فيلبس الناس أفضل ملابسهم ويتزينون و يتعطرون،إستعداداً للذهاب لصلاة العيد[٣]. وجرت العادة أن تزين بغداد و جميع طرقاتها ، وخاصه الطريق التي سيسلكها الخليفة أثناء ذهابه إلى الجامع لصلاة العيد[٤] .

وحرص الخلفاء على الخروج بمواكب يظهر عليها الأبهة و الفخامة ينتظرها أهل بغداد مصطفين على طول الشارع الذي سيسلكه الخليفة أثناء ذهابه إلى الجامع لصلاة العيد .

وكان يتقدم خروج موكب الخليفة موكب كبار الأمراء ، ثم يخرج موكب الخليفة ، ويتوجه إلى مصلى العيد الذي كان في ظاهر البلدة [٥] ، ويكون الخليفة مرتدياً ملابس الخلافة : البردة المقصبة بفضة وذهب وعلى رأسه قلنسوة مرصعة بالاحجار الكريمة ، وعليها قطعة قماش سوداء [٦] ، شعار العباسيين .

وينتظر الناس على طول الطريق قدوم الخليفه بالهتافات والتهاليل وينادون "السلام على أمير المومنين ونور الاسلام" ، ويردد عليهم الخليفة التحية بلثم أطراف بردته والتلويح بها[٧] .

---

١ - كان السبب في اتخاذ عيدي الفطر و الأضحى ، ما روي عن الرسول (ص) انه قدم المدينة ولاهلها يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ فقالو : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال الرسول (ص) : ان الله -عز وجل - قد بدل لكم خيرا منهما ، يوم الفطر ، و يوم الأضحى ، فأول مبدء فيه من العيدين عيد الفطر، وذلك سنة أثنتين للهجرة . النويري ، المصدر السابق ، ج١ ،ص١٨٤.

٢ - بدري محمد فهد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري سطبعة الارشاد ، بغداد ،١٩٦٧ ، ص١٩١.

٣ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥.

٤ - التطيلي ، المصدر السابق ، ص١٣٤ : ابن الكازوني ،مقامة ، ص٤٣٧.

٥ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٩١.

٦ - التطيلي ، المصدر السابق ، ص١٣٣.

٧ - المصدر نفسه،ص١٣٤،ابن الكازروني،مقامه،ص٤٣٧.

وبعد ذلك يدخل الخليفة إلى الجامع ، ويصعد المنبر و يشرع في القاء خطبته ، ثم ينهض كبار المسلمين بالدعاء له ، فيهتف الجميع آمين[١] .

ولم تكن صلاة العيد تقام دائما في الجامع ولكن كانت هناك مصليات خاصة أعدت لها[٢].

وفي فرحة العيد يشتري الاباء لابنائهم الهدايا و الملاهي على أشكال الحيوانات المصورة لتزداد فرحتهم[٣] ، كما يتبادل الجيران و الاقارب الحلوى ، ويأمر الخليفة بأن تحمل أطباق من الحلوى إلى الخواص والمقربين[٤] .

وبعد أن تنقضي صلاة العيد ، وعودة الخليفة إلى القصر، يتوجه كبار رجال دولته من الأمراء و الأعيان و القضاة والعلماء لتقديم التهاني و معايدته[٥] ، فيمد سماط عظيم بدار الوزارة، يحضره كبار رجال الدولة ، والامراء من المهنئين[٦] ، وأحياناً كانت صلاة العيد تتأخر عن موعدها فيتأخر بذلك مكوث الموكب إلى وقت متأخر ، كما حدث سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ، حيث اتصل خروج الموكب إلى الليل ، وصلى الناس صلاة العيد قبل منتصف الليل قضاءً ولم يذكر السبب [٧] .

كما كانت هنالك ظروف غير طبيعية كالفيضانات ، أو ظروف خاصة كموت الخليفة أو أحد أفراد عائلته تحدّ من مراسيم العيد ، فتقتصر الاحتفالات على خروج الخطيب يصلي بالناس صلاة العيد ، ثم يعود ، فلما توفيت والدة الخليفة المستعصم سنة (٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) ، لم يخرج الموكب ولا ضرب طبل ولم يجلس الوزير للهناء ، وذلك لأجل العزاء بوالدة الخليفة [٨] .

وحرص الخلفاء على إستغلال هذه المناسبة لتوزيع الخلع على المقربين والحاشية ، ففي العيد سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) أمر الخليفة بالتصدق بمائة الف دينار [٩] ، وفرق الخليفة

---

١ - المصدر نفسه والصفحه.
٢ - الاسنوي،المصدر السابق،ج٢،ص٤٤٤.
٣ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي،احياء علوم الدين،دار الفكر ، عمان ،١٩٨٦،ج٢،ص٣٦٧.
٤ - سبط بن التعاويذي،المصدر السابق،ص٤٠١.
٥ - الايوبي،المصدر السابق،ص١٨٣.
٦ - الغساني،المصدر السابق،ص٥٥٥.
٧ - مجهول ، الحوادث ، ص١٨٠ .
٨ - الغساني ،المصدر السابق ، ص٥٥٥ .
٩ - ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٦٥ .

المستنصر سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م) ، على وزيره ومماليكه وعلى كافة الامراء ما يزيد على ثلاثة عشر الف دينار [١] .

ويستغل الشعراء هذه المناسبة من اجل الاسترفاد والعطايا فيتقدمون بمدح الخليفة في هذه المناسبة . ففي عيد الفطر سنة (٥٨٠هـ /١١٨٤م) ، تقدم الشاعر سبط بن التعاويذي ومدح الخليفة الناصر بقصيدة مطلعها :

بك يا أبـــا العباس أحمد أحُمد الزمـن المسئ وانه لمزُحمُ

فاسلم أمير المؤمنين فإننا بك ما سلمت من المخاوف نسلمُ [٢]

واستخدمت الرقاع لتقديم التهاني والمعايدة على الخليفة فتكتب عليها وترسل إلى الديوان لإطلاع الخليفة عليها [٣] .

وبهذه المناسبة كان يجري في بغداد أستعراض عسكري في أول أيام العيد ، وحرص الخليفة على رعاية ذلك الاحتفال ، فيجلس في منظرة الحلبة (وسط محلّة المأمونية) ، يستعرض فيها الجند[٤]، وأحيانا كان الخليفة ينيب الوزير لرعاية الاستعراض العسكري ويكون ذلك من خلال شباك جعل في حائط الوزارة ينظر من خلالها الوزير للجيش في الشارع[٥] .

وحرص الخلفاء شأن غيرهم من عامة الشعب على زيارة قبور أبائهم واجدادهم من خلفاء في مقابر قريش ، حتى ان الناصر نقل جثمان والده المستضيئ بأمر الله سنه (٥٧٧هـ/١١٨١م) من الدار التقتية غرب دجلة المجاورة لجامع فخر الدولة بن المطلب إلى مقابر قريش [٦] بالرصافة لئلا تبغد عليه زيارتها ، يقول الايوبي [٧] : انه في سنه (٥٧٧هـ / ١١٨١ م) ، " نقل المستضئ من الدار التي كان مدفوناً فيها إلى الدار العتيقة التي بغضها لجهات دجلة من بغداد عند رأس الجسر ، مجاورة لجامع فخر الدين بن المطلب ، وكانت العادة ان يدفن الخلفاء بمقابر

---

١ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٩١ .
٢ - ديوانه ، ص٣٧٣.
٣ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق٢ ، ص ص٦٢٧ -٨ .
٤ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢١٢ .
٥ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٤ .
٦ - مضمار الحقائق، ص ٤٥٧ وانظر : سبط بن الجوزي، المصدر السابق ، ج٨، ق١، ص٢٦٠.
٧ - الايوبي ، المصدر السابق، ص١٨٧.

قريش بالرصافة الا المستضيئ رضوان الله عليه - فانه ذكر أنه اوصى بذلك ، وقبل أن الامام الناصر لدين الله . صلوات الله عليه -أختار هذه الحال لاجل خريدة أمير المؤمنين لئلا تبعد عليه زيارته ، ولا تجد من يدله بعد ذلك الطريق ، فاختار ذلك لقربه " .

لأهل بغداد في العيد عادة طريقة ، فبعد انقضاء أسبوع على العيد يخرجون لزمن العيد في اطراف بغداد ، فيخرج الناس كبارهم وصغارهم وعلى رأسهم رؤساء المجال ، فيحضرون شخصاً يتمسخرون عليه ويضحكون، ثم يكفنوه على هيئة ميت على مرآى من الناس ، وهم يبكون ، فاذا طابوا وفرحوا قام ذلك (الشخص الميت) وهم يضحكون[١] .

وفي سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) ، أمر الخليفة الناصر أن يدفن العبد عند بستان يحيى بن علي على نهر عيسى ، فلما كان الموعد أمر ابن يحيا رؤساء العوام والمحلات ان يخرجوا لدفن العبد في الموضع الذي حدده الخيلفة ، فخرج الناس رجالا ونساء واطفالا ، والخليفة جالس ينظر إلى العوام ، الذين كفنوا احدهم كهيئة الميت وحمل فيما بينهم ، وقوم منهم يبكون ويصرخون، وقوم آخر يعزونه ، حتى إذا ضجروا رموا الميت بالماء ، والخليفة يضحك على تلك الأفعال، ثم أمر (للشخص الميت) بمائة دينار [٢] .

٣- موسم الحج

وإذا ما حل شهر ذي القعدة بدأت الاحتفالات بحلول موسم الحج ، حيث يتواجد الحجاج في هذا الشهر من مختلف انحاء العراق ، ومن المناطق الواقعة شرقه كفارس وخرسان وغيرها، يجتمعون في الجانب الغربي من بغداد ، فيضربون خيامهم هناك، وتوفرلهم الحكومة أماكن خاصة للشرب وتقدم لهم الاطعمة [٣] .

وكانت الحكومة تشرف على تنظيم مسيرة الحجاج من بغداد إلى الديار المقدسة ثم العودة بعد انتهاء الموسم ، فتولي إمرة الحاج إلى أحد كبار الأمراء من مماليك الخليفة ، وغالبا ما يكون من الاتراك [٤].

---

١ - المصدر نفسه، ص١٨٨.

٢ - الايوبي، المصدر السابق،ص١٨٨.

٣ - ابن الكازروني،مقامة،ص ص٣٢٥-٦.

٤ - حول اماره الحج انظر الفصل الاول تحت عنوان الامراء المماليك.

وبعد أن يخلع على أمير الحاج ، يفوض بالخطبة بقوافل الحجاج ، ويتقدم امير الحاج الموكب ، " وهو جالس في هودج يعلوه قبة مزينة بالديباج المطرز بالذهب وخلفه الكوسات "[١] ويحمل معه كميات كبيرة من المؤن والثياب إلى جانب الابل [٢].

وإذا حان موعد الرحيل للحجاج شهدت بغداد مواكب رائعة، وتزدان الشوارع والمحلات التجارية[٣]، وترى الناس خارجين على إختلاف أعمارهم وأجناسهم من دورهم للتفرج على ذلك الموكب ، وقد لبسوا ازياء مختلفة الالوان والاشكال[٤] .وارتبط موسم الحج بأمر غاية في الأهمية، يعكس اهتمام الخلفاء العباسيين برعاية تلك المشاعر المقدسة بأعتباره ألزعيم الروحي للمسلمين تمثل في كسوة الكعبة المشرفة ، فكان الخليفة يعهد إلى أحد العلماء بتولي كسوة الكعبة،ويكون خروجه مع خروج الحاج من بغداد ، حاملا تلك الكسوة [٥]، وممن تولى كسوة الكعبة الشيخ عبد السليم من عبد الوهاب الجيلاني[٦]. وتولاها أبو الحسن علي بن عبد الجبار بن صالح الملقب شمس الدين الذي كان يتولى المخزن، وحمل الكسوة وصدقا ت في الحرمين الشريفين، ويراسل بها ملوك الأطراف[٧].

و من أجل راحة الحجاج و توفير المسكن و الطعام لهم أمر الخليفة الناصر سنة (٦٠٥هـ/١٢٠٨م) ، بأنشاء دور الضيافة للحجاج الوافدون إلى بغداد بالجانب الغربي ، على دجلة، وأمر ان تزود بكل ما تحتاجه هذه الدور من الاطعمة و المياه وأوصى متولو الدور ان لا يردوا احدا من الحجاج عن تناول الطعام فيها[٨]. بالاضافه إلى هذه الخدمه، فاذا أعلن الرحيل زودوا بالكسوة، وأعطى كل فقير منهم دينار[٩] .وقد شارك الحجاج في بعض الامور السياسيه و

---

١ – ابن الكازروني،مقامة،ص٤٤١.

٢ – الاطرقجي،ص٣٠١.

٣ – المرجع نفسه،ص٣٠١.

٤ – ابن الكازروني،مقامة،ص٢٣٦؛ العامة،ص١٩٣.

٥ – ابن الفوطي،المصدر السابق،ج٤،ق٢،ص٨٥٥.

٦ – هو عبد السليم بن عبد القادر الجيلي (الجيلاني) الصوفي ، درس بمدرسه جده بباب الازج ، وحج مرارا متولي لكسوة الكعبة ، توفي سنه ٦١١هـ . ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٣ ، ورقة ١٥٩ .

٧ – ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٨٩ .

٨ – أبو شامة ، الذيل ، ص٦٤ ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ن ص٢٥٨ ؛ ابن الكازروني ، مختصر ، ص٢٤٥ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٥٦ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .

٩ – ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٥٩ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ،ج١٣ ، ص٥٦ .

مسيره الحكم ،ويتمثل ذلك بالمشاركة بالبيعة للخليفة فصادف موسم الحج سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)، مع البيعة للناصر فتقدم الحجاج الوافدون من خارج بغداد بالبيعة له [١] .

ولا بد ان نشير ان هناك من كان يقوم بالحج نيابة عن أحد اقربائه أو من يعز عليه، فقام الشيخ عفيف الدين بن اسعد بن كامل البندنجي بالحج نيابة عن والدة الناصر السيدة زمرد خاتون ثلاثين سنة [٢].كان الطريق الذي تسلكه قافلة الحاج يمر في مناطق شاسعة يسكنها البدو الذين كثيرا ما يقومون بمهاجمة تلك القوافل و السطو عليها .

لذلك عمدت الحكومة إلى تلافي هذه الغارات عن طريق كسب البدو بعقد اتفاقيات معهم لحماية القوافل مقابل مبلغ من المال تدفعه لهم[٣]. لكن هذه الاتفاقيات لم تكن تحترم دائماً، ويعود ذلك إلى صعوبة عقد إتفاقيات مع جميع البدو لذلك نجد أن الحجاج كانوا يتعرضون إلى تلك الغارات بين سنة وأخرى، فقد تعرض الحجاج سنة (٦١٠هـ/ ١٢١٣م)، إلى غارات البدو بزعامة رجل يدعى دهمش، وكان معه نفر قليل، وكان مع أمير الحاج الأمير سنجر بن عبدالله الناصري[٤] ستمائة فارس، ولكنه تقاعس عن ردعه، فطلب دهمش من الحجاج خمسين الف دينار، جمعها سنجر منهم، فضيق عليهم بذلك فلما عاد إلى بغداد كلفه الخليفة الناصر برد المال إلى أصحابه من ماله الخاص، وعزله عن امارة الحاج[٥]، وتكرر مثل هذه الحادثة سنة (٦٢٦هـ[٦]/ ١٢٢٨م)، وسنة (٦٤٣هـ[٧]/١٢٣٦م) .

وموسم الحج لم يكن رغم عظمته وقدسيته يخلو من الفتن والاقتتال بين الحجاج . ففي سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، وقعت فتنة بين الحجاج كان سببها أن الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ، وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين الايوبي قد طلب من السلطان السماح له بالحج فعينه اميرا للحاج الشامي ، فلما كان عشية عرفة تجهز هو واصحابه ليسيروا، وأمر بضرب الكوسات التي هي علامة الرحيل، فأرسل اليه أمير الحاج العراقي طاشتكين ينهاه

---

١ - أبو شامة ، الذيل ، ص١٥ .

٢ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ،ص ص٩٧-٨ .

٣ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٨٤؛ فهد ، العامة ، ص١٩٧ .

٤ - سنجر بن عبدالله الناصري ، صهر الامير طاشتكين ، وهو أحد مماليك الناصر تولى امارة الحج لعدة سنوات ثم عزل ، توفى سنة ٦١٠ هـ . ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢١٩.

٥ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨، ق٢، ص ص ٥٦٨٠ - ٩.

٦ - مجهول، الحوادث، ص ص ٦-٧.

٧ - المصدر نفسه ، ص٩٠.

عن ذلك، فاجابه: "اني لست لي معك تعلق، انت أمير الحاج العراقي، وانا أمير الحاج الشامي"(١)، وساروا ولم يقف فلما رأى طاشتكين ذلك تبعه هو واصحابه من الحاج العراقي فهجم على الحاج الشامي وفتكوا بهم ،وقتلوا جماعة،ونهبوا أموالهم ، وسبيت جماعة من نسائهم وجرح ابن المقدم وتوفي في اليوم التالي(٢)، فلما علم الخليفة بما حدث أنكر ذلك على طاشتكين، ونسبه إلى طيشه ، فانحط قدره عنده، ثم نكبه وحبسه(٣) .

وتكررت المضايقة للحاج سنة(٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، عندما حج صدر جهان البخاري رئيس علماء الشافعية في بخارى ، فمنع الحاج من مياه الشرب قبل أن يشرب رجاله وخيلهم حتى ان أهل بغداد أطلقوا على هذه السنة "صدر جهنم"(٤) ، فلما عاد الحاج إلى بغداد لم يخرج أحد إلى استقباله بل خرج الناس إلى الاسواق ولعنوه في وجهه(٥). وكانت النساء تخرج صارخات ناشرات الشعر يلطمن على موتاهن (٦) ، لكثرة من مات في هذا الموسم ، فقد توفي بسبب ذلك أكثر من ستة الآف من الحجاج(٧) .

وتعرض الحاج مرة أخرى للنهب سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م)، من قبل الشريف قتادة (٨) أمير مكة ، فقد قتل ابن عمه وكان هو المقصود بالقتل على يد أحد الاسماعيلية ، وارتبط ذلك بوجود والدة السلطان جلال الدين مقدم الاسماعيلية في الموت ؛ فثار أهل مكة ونهبوا الحاج يوم العيد(٩) وكان مع الحاج ربيعة خاتون أخت السلطان العادل الايوبي، فأرسلت إلى قتادة تحذره وتهدده(١٠)،

---

١ - ابن الأثير ، المصدر السابق، ج١١، ص ص ٥٥٩-٦٠.

٢ - العماد الكاتب ، الفتح القسي ، ص١٨٩؛ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج١١، ص٥٦٠ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٢،ص٢٥١.

٣ - أبو شامة ، الذيل ، ص٧٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الأسلام ، ط٦٣ ، ص ص٦٥-٦.

٤ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق، ج٨، ق٢، ص٥٣٣.

٥ - المصدر نفسه والصفحة.

٦ - المصدر نفسه والصفحة ؛ ابن كثير ، المصدر السابق، ج١٣، ص٥٣.

٧ - المصدر نفسه ، ج١٣، ص٥٣.

٨ - هو قتادة بن أدريس بن مطاعن العلوي الحسيني وكنيته أبو عزيز ، كانت ولايته قد أتسعت إلى اليمن ثم إلى مدينة رسول الله ، قتل مخنوقا من قبل ولده حسن سنة ٦١٧ه ، وعمره تسعين عاما . سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٦١٧ ؛ الذهبي ، سير ، ج٢٢ ، ص١٦٠ .

٩ - أبو شامة ، الذيل ، ص٧٨.

١٠ - المصدر نفسه ، ج٧٨؛ الذهبي ؛ تاريخ الاسلام ، ط٦٣، ص ص ٦٥-٦.

فكف عن عن ذلك مقابل أن يدفع الحاج مائة ألف دينار جمعت له من أمير الحاج ومن أم جلال الدين ، ويقال ان ما أخذ من المتاع بقيمة ألف ألف دينار [١] .

وحدث مثل ذلك للحاج سنة(٦١٨هـ/١٢٢١م)، ففي هذه السنة توفي الشريف قتادة أمير مكة، وقد خلفه في الأمارة أبنه حسن ، وكان له ولد آخر أسمه راجح مقيم بظاهر مكة، نازع أخيه على ملك مكة ، فلما سارحاج العراق كان الامير على الحاج مملوك الخليفة اقباش، فاتفق مع راجح على مساعدته ضد أخيه فخرج حسن ومعه مجموعة من العرب ، وتقدم إلى أمير الحاج وصعد الجبل إمعاناً في التحدي وانه لا يقدر عليه أحد ، فأحاط به حسن وأصحابه وقتلوه، وقام اصحابه ونهبوا الحجاج، ثم أرسل حسن عمامته للحجاج اعلانا بالأمان ، فعاد أصحابه ولم ينهبوا منهم شيئا، واذن لهم بالدخول إلى مكة، وعظم الامر على الخليفة الناصر ، فوصلت رسل حسن يعتذرون فاجابهم الخليفة إلى ذلك[٢] .

وكانت عودة الحجاج موسم آخر للأحتفال ، حيث يخرج الناس للقائهم ويكون دخولهم إلى بغداد نهاراً ويتقدمهم العلم والكوسات ، ولكن نتيجة لظروف معينة كالتي سبقت، كان الخليفة يأمر بعدم الخروج لاستقبال الحجاج ، من ذلك ما حدث سنة(٦٠٣هـ/١٢٠٦م) ، عندما فارق أمير الحاج وجه السبع الحجاج وغادر إلى الشام، فأمر الخليفة ان لا يخرج أحد لاستقبال الحجاج وأن يدخل العلم والكوسات ليلاً وذلك لحزن الخليفة على مفارقته أمير الحاج للعراق[٣]. وحدث مثل هذا سنة(٦١٨هـ/١٢٢١م)،عندما قتل أهل مكة الامير قشتمر فلم يسمح بالخروج لاستقبال الحجاج[٤].

وكان موسم الحج مجالاً لعمل الخير والبر ، حيث يتصدق الموسرون على الفقراء ، فلما حجت ام الخليفة الناصر زمرد خاتون انفقت مالا عظيما يقدر بثلثمائة الف دينار[٥]، وكان معها

---

١ – أبو شامة ، الذيل ، ص٧٩ ؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٧٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ط٦٣ ، ص٦٦؛ سيد ، ج٢٢، ص٢٢٩؛ اليافعي ، مرآة ، ج٤ ، ص١٥.

٢ – ابن الاثير،المصدر السابق، ج٢١،ص ص٤٠١-٢؛سبط بن الجوزي، المصدر السابق،ج٨،ق٢،ص٦١١؛اليافعي،مرآة ، ج٤، ص٣٧.

٣ – أبو شامة ، الذيل ، ص٥٥، سبط بن الجوزي، المصدر السابق ، ج٨، ق٢، ص٥٢٩.

٤ – سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨، ق٢، ص٦١١؛ اليافعي ، مرآة ، ج٤، ص٣٧.

٥ – أبو شامة ، الذيل ، ص٣٣؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨، ق٢، ص٥١٣ ، ابن تغري بردى، المصدر السابق، ج٦، ص١٨٢؛ ابن ابي عذيبة ، المصدر السابق ، مخ، ورقة ١٢٧ب.

نحو الفا حمل تصدقت بها على أهل الحرمين [١]، وأصلحت البرك وآبار المياه لخدمة الحجاج وزوار بيت الله[٢] .

ومن أجل خدمة الحاج ، واعتبار ذلك جانب من جوانب التقرب إلى الله – عز وجل – قام االأمير شرف الدين إقبال الشرابي في سنة (٦٤١ هـ/١٢٤٣م) ، بتجديد رباطه الذي كان قد انشأه بمكة لخدمة الحاج[٣]، وبنى كذلك عين عرفة التي بالموقف ، وأجرى ماءها لانتفاع الحاج، وأوقف على ذلك الاوقاف الكثيرة[٤] .

ولقد أثر الموقف السياسي على اداء فريضة الحج ، فمن المعروف ان الخطر المغولي الذي اسقط الخلافة العباسية ببغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) لم يكن وليد هذه السنة ، بل كان هذا الخطر يهدد الخلافة منذ سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م) ، ولكن ازدياد نشاطهم كان بعد (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، إلى سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ، حيث امر الخليفة المستعصم في هذه السنة بالاهتمام بامور الحج[٥] .

ودفع هذا الخطر الخليفة المستنصر بالله إلى استفتاء الفقهاء والعلماء : بأنه إذا أتفق الجهاد والحج سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، من اجل الاستعداد وللجهاد ومقاومة المغول[٦] وتكرر أنقطاع الحج في السنوات (٦٤٣ هـ/١٢٤٥م)[٧] ، (٦٤٤ هـ/١٢٤٦م)[٨] ، (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)[٩] ، (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)[١٠] ، (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[١١] .

---

١ – أبو شامة ،الذيل ، ص٣٣؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦، ص١٨٦.

٢ – أبو شامة ، الذيل، ص٣٣؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢، ص٥١٣ ، مصطفى جواد، سيدات البلاط ، ص١٧٥.

٣ – مجهول ،الحوادث ، ص٣٠٨ ، ابن العماد ، المصدر السابق ،ج٥ ،ص٢٦١ ، ناجي معروف ، حياةاقبال ، ص٩٢.

٤ – المصادر نفسها والصفحات.

٥ – مجهول ، الحوادث ، ص١٧٣.

٦ – المصدر نفسه ،ص٩٨.

٧ – المصدر نفسه ،ص٢٩٠.

٨ – المصدر نفسه ، ص٢١٥.

٩ – المصدر نفسه ، ص٢٤٥.

١٠ – المصدر نفسه ، ص٢٥٣.

١١ – حيث سقطت بغداد في هذه السنة بيد المغول.

٤- عيد الأضحى

وإذا حل العاشر من ذي الحجة يكون عيد الأضحى ، ولاتختلف العادات في عيد الأضحى عما هو في عيد الفطر : من الاستعداد لصلاة العيد وللتهاني والمعايدة بهذه المناسبة وتبادل أطباق الحلوى.

وأهم ما يميز هذا العيد هو الأضاحي ، والأضحية عند المسلمين سنة مؤكدة لذلك يحرص المسلمون على تاديتها ، فبعد صلاة العيد يخرج الناس إلى بيوتهم لذبح تلك الاضاحي ، وتوزيع لحومها على الفقراء والأقرباء(١).

ولم يقتصر ذبح الأضاحي على عامة الشعب وأفراد الرعية ، بل شارك فيها الخليفة الناصر نفسه ففي كل عام كان يأمر بنحر الاضاحي ، حيث يسير الموكب إلى تحت المنظرة الشريفة بباب الأزج فتنحر الذبائح(٢) .

ب - الأعياد المحلية والمبتدعة

كان للتطورات السياسية أثرها في بنية الحياة الإجتماعية ، فنجد ان الشيعة كتيار ديني سياسي وبعد ان فشلوا في تحقيق اهدافهم والمتمثلة بالوصول إلى الخلافة ، نجدهم يبتدعون عيد الغدير ليكون رمزاً لاهدافهم ومطامعهم ، وكانوا يحرصون على زيارة مقابر الاولياء ببغداد والكوفة (٣) .

وكردة فعل على ما قام به الشيعة من اتخاذ غديرخم كرمزلهم، إتخذ عامة السنة عيد آخر سموه عيد الغار وكان ذلك سنة(٣٧٩هـ/٩٨٩ م)، احياء ليوم دخول الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق الغار ويكون موعده في السادس والعشرين من ذي الحجة-اي بعد عيد الغدير بثمانية أيام وفيه يظهرون الزينة، وينصبون القباب، ويوقدون النار احياء لهذه المناسبة(٤).

والى جانب هذه الأعياد التي جرى الاحتفال بها في أوقات معينة من السنة فان هناك اعياد احتفل بها ، الا ان مواعيدها كانت لا تتفق مع الشهور القمرية،وإن كانت مواعيدها ثابتة ومعروفة . وهي أعياد عرفية ترجع إلى اصول فارسية قديمة (٥) .

---

١ - فهد ، العامة، ص١٩٧.

٢ - ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩،ص ص ٢٠٢-٣.

٣ - النويري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٨٥ .

٤ - المصدر نفسه والصفحة ؛ فهد ، العامة ، ص١٩٨ .

٥ - فهد ، العامة ، ص١٩٩

ويأتي النيروز ومعناه اليوم الجديد [١] في الطليعة منها ، لأنه أهم أعيادهم ورأس السنة الفارسية أو مطلع الربيع ، وكانت الاحتفالات به تستمر ستة أيام ، واليوم السادس يسمى النيروز الأكبر [٢] .

وقد إحتفل به الناس منذ مطلع العصر العباسي ، وتبادلوا فيه التهنئة والهدايا على العادة الفارسية [٣] وكان يحل عند الانقلاب الصيفي ، وذلك في ابتداء كل ربيع من السنة الجديدة وهو اليوم الحادي والعشرين من شهر آذار [٤].

ورغم أن أكثر الناس أحتفالا به هم العامة ، الا أنه قد شاركهم فيه الفئات العليا في الدولة ومدحهم الشعراء بهذه المناسبة ، فنجد ابن التعاويذي يمدح ويهنئ أستاذ الدار ابن الصاحب بحلول النيروز سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) قائلا[٥] :

تـأم ابوابـك في　　　كـل هنـاء وفرح

لوافد النيروز مـا　　　استشرط منها واقترح

أما المهرجان فكان حلوله ايذانا بالانقلاب الشتوي ، وكان يحتفل به في السادس والعشرين من تشرين الاول من شهور السريان [٦] ، وفي السادس عشر من مدماه من شهور الفرس ، وبينه وبين النيروز مائة وسبعة وسبعين يوما ، وكانت مدته كما النيروز ستة أيام واليوم السادس يعرف بالمهرجان الاكبر [٧] .

وعند حلوله يبدأ الناس بتغيير فرشهم وملابسهم ، إستعدادا للانتقال إلى الشتاء ، وتراهم يفرحون به فرحتهم ببقية الأعياد [٨]، فكانوا يوقدون في ليلته النيران ويشعلون الشموع ، ويتبادلون الهدايا والتهاني [٩] .

---

١ – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري ، المعروف بابن شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ، بطرسبورغ ، ١٨٦٥ ص٣٧٨ . ؛ النويري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٧٨ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص٤٠٨

٢ – لان الاكاسرة كانوا في الايام الخمسة الاولى يقضوا حوائج الناس ، ثم ينتقلوا في اليوم السادس إلى مجالسهم مع الظرفاء وخواصهم القلقشندي، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص ص ٤٤٥ – ٦ .

٣ – شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٣٥ .

٤ – فهد ، العامة ، ص٢٠٠

٥ – ديوانه ، ص ١٠١ .

٦ – ابن شيخ الربوة ، المصدر السابق ، ص٣٧٩ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص٤٤٨ .

٧ – المصدر نفسه والصفحة .

٨ – النويري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٧٨

٩ – فهد ، العامة ، ص٢٠١

والسدّق كان عيد آخر من اعياد الفرس القديمة ، أخذته عامة بغداد واحتفلت بـه ، ويسمى بليلة الوقود ، حيث تشعل في تلك الليلة النيران بانواع مختلفة من الدهان [١] .

ج - أعياد أهل الذمة

أما الأعياد النصرانية ، التي شارك فيها المسلمون فكثيرة وكانت تجرى في بغداد ولم تندثر هذه الأعياد بسبب جذورها الإجتماعية العتيقة ولكنها بدلت ثيابها فقط . غير ان الاسلام كدين لم يتقبلها ، ولكن العامة كانت تتقبلها على أنها عادة جارية مرتبطة بمقدسات يصعب على الناس أو يخافون التخلي عنها . وأكثر ما كانت تقوم هذه الأعياد في الاديرة [٢] المنتشرة في اطراف بغداد.

ولعل ما توفره هذه الاديرة من وسائل للراحة والتسلية وخاصة للعابثين من الشباب من توفير الخمرة ، كان دافعا قويا وراء الاقبال عليها .

ومن الأعياد النصرانية . أعياد الصوم الكبير ، وإذا علمنا أن عدد أيام الصوم عندهم خمسين يوماً فقد قسم هذا العيد على أربعة أديرة [٣] ،ففي الأحد الاول كان بدير العاصية ، ويقع هذا الدير بشرقي بغداد بباب الشماسية ، على بعد ميل من دير سمالو، والاحد الثاني بدير الزريقية والاحد الثالث بدير الزندورد، ويقع هذا الدير بالجانب الشرقي من بغداد في منطقة كلها اعناب وفواكه ، وقيل عن اعنابه بانها أجود الأعناب التي تعصر في بغداد ، كذلك كان حلول العيد به يجذب اليه عشاق الطرب ومحبو التنزه. وقد أستمر هذا الدير حتى فترة متأخرة ، والأحد الرابع بدير درمالس ، ويقع بباب الشماسية وعيده أحسن الأعياد ، ويجتمع فيه نصارى بغداد ، ومن يضاف اليهم من أهل اللهو ومحبي التنزة ، فيقيمون فيه أياماً يقضونها بالتنزة في بساتينة ومزارعه ويتسلون بمنظر النصارى المجتمعين ، وبطريقة تعبدهم [٤] ، وقد ظل عامراً حتى عصر متأخر وشاهده ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ[٥] /١٢٢٨م).

---

١ - النويري ، المصدر السابق ، ج١ ،ص ص١٨١ -٢ ؛ فهد ،العامة ، ص٢٠١ .

٢ - الدير : بيت يتعبد فيه الرهبان ، ولا يكاد يكون في المدن ، وانما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال وقال الجوهري : ودير النصارى أصله الدار ، والجمع أديار والديراني صاحب الدير . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٥٩ ؛ ابن عبد الحق ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٩ .

٣ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٩ .

٤ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٩ ؛ابن عبد الحق ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٥٣ ؛ بدري ، العامة ، ص٢٠٤

٥ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٩ .

ويقام عيد الفصح بدير سمالو بالجانب الشرقي من بغداد بباب الشماسية ولهذا الدير متنزهات من أحسن متنزهات بغداد ، فاذا ما حل عيد هذا الدير حتى توافد عليه الناس من بغداد وغيرها[١] .

أما عيد الصليب فكان يقام بدير قنى ، ويقع هذا الدير على بُعد ستة عشر فرسخاً من بغداد بالجانب الشرقي منها ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وكان يخترقة نهر جار وبهذا أصبحت تحيط به البساتين الحاوية على انواع الثمار [٢] .

وكان يحتفل بصوم العذارى بدير العذارى[٣] ، ويقع هذا الدير بقطيعة النصارى ، أما الاحتفال به فيكون قبل حلول الصوم الكبير ، ويكون الصوم فيه لمدة ثلاثة أيام ، فاذا انتهت اجتمعوا فيه ، وأقاموا شعائرهم الدينية .

ويحتفل بدير أشموني وكان من أجلّ متنزهات بغداد وله يوم في السنة ، أما الاحتفال بهذا الدير فهو من الاشياء البهيجة المعروفة عند أهل بغداد ، فيتوافدون على هذا الدير ، وهم لا بسون أحسن ملابسهم بواسطة القوارب والسفن ، فاذا وصلوا إلى هناك وانتشروا ، فبعضهم يعكف على الشراب داخل حاناته ، وبعضهم الاخر ينتشر في الحقول المحيطة به [٤] .

أما أعياد اليهود [٥] فمنها : عيد رأس السنة ، ويسمونه عيد رأس هيشا - اي عيد الشهر ، والعيد الثاني عيد صور مايا ، ويسمونه عيد الكبور ، وهو عيد الصوم العظيم ، الذي يقولون عنه ان الله فرض عليهم صومه ، ومدة هذا الصوم خمس وعشرون ساعة ، يبدأ قرب غروب الشمس في التاسع من شهر تشرين ، ويختم بمضى ساعة بعد غروبها في اليوم العاشر ، والعيد الثالث عيد المظلة وهو سبعة أيام اولها الخامس عشر من تشرين ، يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النحل واغصان الزيتون .

---

١ - المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥١٦ ؛ فهد ، العامة ، ص٢٠٦ .

٢ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٩ فهد ، العامة ، ص ص٢٠٦ -٧ .

٣ - وقصة هذا الصوم أنه كان يسكنه الرواهب من النساء العذارى وكانت كلما وهبت امرأة نفسها للتعبد سكنت معهن ، ويقال انه رفع إلى بعض ملوك الفرس ان بذلك الدير من العذاري كل باهرة الجمال ، فأمر ان يحملن اليه فبلغهن ذلك . فقمن ليلتهن واحيينها بالصلاة والدعاء ، فطرقه طارق في تلك الليلة . فأصبح ميتاً ، والنصارى يصوموا ذلك اليوم لهذا السبب . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٢ ؛ ابن عبد الحق ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٨ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

٤ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ،ص٤٩٨ ؛ فهد ، العامة ، ص٢٠٦ .

٥ - حول اعياد اليهود انظر . النويري ، المصدر السبق ، ج١ ،ص ص١٩٥ -٨ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢،ص ص٤٦١-٥ .

أما العيد الرابع فهو عيد الفطير ، ويسمونه الفصح وهو سبعة أيام يأكلون فيه الفطير . وينظفون فيه بيوتهم من خير الخمير ، لان هذه الايام عندهم هي الايام التى خلق الله بها بني اسرائيل ، والعيد الخامس عيد الاسابيع ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع .

ومن احتفالات اليهود الدينية هي زيارة مر قد حزقيال على شاطئ الفرات ويكون وقت الزيادة بعد عيد رأس السنة ، فتقام الافراح والمهرجانات يحضرها من بغداد رأس الجالوت ، بحضور الجموع الفقيرة من الناس (١) .

د - الأحتفالات العامة

تعددت الاحتفالات بتعدد الاسباب ، ومن المناسبات التي إحتفل بها أهل بغداد الانتصارات العسكرية ، ورغم انها لم تكن بنفس الزخم في الفترات السابقة الا انها كانت موجودة نتيجة للصراع الساسي والعسكري بين الخلافة ومنافسيها كالسلاجقة والخوارزميين ومن ثم المغول . وكانت هذه الاحتفالات تتم على المستويين الرسمي والشعبي .

فلما استولى ابن القصاب على همذان والري سنة (٥٩١هـ / ١١٩٤) ، أقيمت الاحتفالات ببغداد حيث ضربت الطبول وعلقت الزينة وأظهرت الفرحة (١) . كما انه لما وصل رأس منكلي(٢) إلى بغداد وعلق على رمح ، زينت بغداد ، وأظهر الخليفة الفرح والسرور ، ولكن عكر صفوَ الاحتفال موت ولد الناصر الامير أبو جعفر علي فانقلب الفرح إلى حزن (٣) .

وقدوم رسول أو أحد الأمراء أو السلاطين إلى بغداد مناسبة أخرى لإظهار الاحتفال والفرحة ، فيخرج الموكب للقائه كما يخرج الناس للاحتفال به والتسليم عليه تكريماً لمرسله ، وتشريفاً له (٤) ، فيدخل إلى باب النوبي ، فيصلي ركعتين ، ويقبل العتبة الشريفة ، ثم يدخل إلى

---

١ - التطيلي ، المصدر السابق ، ص١٤٣ .

٢ - منكلي أحد مماليك السلطان أزيك خان الموالي للخليفة الناصر لدين الله وكان قد عصى السلطان والخليفة ، وقطع الطريق ، فارسل الخليفة سنه ٦١٢ هـ الامير وجة السبع لقتاله ، فقتله في همذان . ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢١٢ .

٣ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٧٢ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦ ،ص٢١٣ .

٤ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٦٤ ؛ الذهبي ، مختصر ، ج١ ، ص٣٩ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٣٣٧ .

دار الخلافة ، وبعد ذلك يكرم بالدخول للقاء الخليفة [١] فعندما قدم رسول السلطان جلال الدين منكبرتي شاه إلى بغداد سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)، احتفل به احتفالا كبيراً فاحضرت حراقة [٢] من حراقات دار الخلافة . وحمل بها إلى دار الخلافة ، وبعد ثلاثة أيام تشرف بمقابلة الخليفة الناصر لدين الله ، وفي أثناء المقابلة خلع عليه الخليفة وحُمل الخلع إلى جلال الدين منكبرتي ثم عاد إلى بلاده [٣].

وعندما قدم البرهان أحمد بن عمر الملقب بصدر جهان إلى بغداد سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٦م) قاصداً الحج ، خرج الناس إلى لقائه ماعدا الخليفة والوزير ، فلما وصل أكرم مثواه ومثوى العلماء الذين معه [٤] ، وكذلك لما قدم مظفر الدين أبو سعيد كوكبري صاحب أربل إلى بغداد سنة (٦٢٨هـ/١٢٠٣م) ، خرج إلى لقائه كبار رجال الدولة والأمراء والعلماء .

واحتفلوا بقدوم المولود الجديد ، وخاصة إذا كان ولد ، فيقوم والده بتقديم الهدايا وتوزيع الحلوى بهذه المناسبة ، ويتلقى التهاني بمولوده الجديد ، فقد رفع ابن التعاويذي قصيدة إلى عماد الدين بن رئيس الرؤساء يهنئه بها بقدوم ولده :

فاسعد عماد الدين مغتبطاً	بميمون القدوم مبارك الميلاد
فكأنه قد مدّ عن كثب إلى	العلياء كف مدرب معناد [٥]

ولما ولد للخليفة المستعصم بالله ولد جديد في سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) هو محمد أبو نصر، خلع على كثير من حواشيه وارباب الخدم ، وفرّق الأموال ، وأرسل إلى القابلة ألف دينار [٦].

وكانوا يحيون ختمة الأحداث للقرآن الكريم ، وفي هذه المناسبة يلبس الأطفال أحسن ثيابهم، ويزينون منازلهم ويوقدون فيها القناديل والشموع ويدعون إلى تلك الحفلة بعض العلماء كما يدعون أهل المحلة [٧] .

---

١ - الايوبي ، المصدر السابق ص٨٣ ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٦١ ؛ ابن الكازروني ، مقامة . ص٤٣٢ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٣٤٠ .

٢ - الحراقة نوع من السفن .

٣ - حول المقابلة والإحتفال به ببغداد . انظر النويري ، المصدر السابق ،ج٢٧ ،ص ص٢٨٢-٣.

٤ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٢٩.

٥ - سبط بن التعاويذي ، المصدر السابق ، ص١٣٢.

٦ - الغساني ، المصدر السابق ، ص ص٥٩٤-٥.

٧ - ابن الجوزي ، تلبيس ،ص١١٠ ؛ شاكر مصطفى ، المرجع السابق ،ج٢ ،ص١٢٢.

فلما ختم الأمير أبو أحمد عبد الله ابن الخليفة المستنصر القرآن الكريم ، خلع الخليفة على مؤدبه خلعة عظيمة وأنعم عليه بألفي دينار وفرس عربي ، و أرسل إلى داره من الهدايا ما حمله اثنين وأربعين حمالاً . ثم عملت وليمة عظيمة بلغت تكاليفها عشرة آلاف دينار وبعد الوليمة خلع على جميع من حضر الختمة [١] .

وتكرر مثل هذا عندما ختم القرآن الأمير أبو القاسم عبد العزيز ولد المستنصر سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)[٢] ، واحتفلوا بالختان ، وهو كما يقول ابن الأخوة [٣] واجب ، وبهذا قال عامة أهل العلم ، وكان ختان الصبي من وسائل الفرح التي تسعد بها العائلة ، فيوجه أهل الدعوة للأصدقاء ، والأقارب لحضور حفل الختان [٤] .

وكانت الختانة ببغداد منوطة بالأطباء الذين برعوا فيها وألفوا فيها الرسائل ، فألف الطبيب صاعد بن هبة الله النصراني ثلاثة فصول بها[٥] وأثناء عملية الختان يعزف الموسيقيون لإخفاء صوت الطفل الناجم عن الألم [٦] ، وبعد أيام من ختان الطفل يعمل أهله وليمة يدعى اليها الاهل والأصدقاء والجيران [٧] .

وتكون الفرحة أكبر لدى أهل بغداد إذا كان حفل الختان لاحدأبناء الخليفة ، أو أحد ابناء عائلة الخليفة ، حيث يعمّ الخير والعطايا على الناس ، فلما ختن ولدي الخليفة الناصر : الأمير أبو نصر محمد ، والأمير أبو جعفر علي سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م)، حضر أرباب الدولة والأمراء والخواص لحضور الإحتفال بهذه المناسبة[٨]. ولتزداد الفرحة والبهجة أمر الخليفة باحضار المغنين والمغنيات وأصحاب الملاهي ، وأنشأ خوان عظيم أنفق عليه مالاً جزيلاً " لا يحصره عدد ، ولا وصف لكثرة ما صنع عليه " [٩] . وبقي الناس في الفرح والسرور والطرب بهذه

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص٧١ .
٢ - المصدر نفسه ، ص٨٩ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٧٤.
٣ - معالم القربة ، ص١٦٣.
٤ - مجهول ، مناقب ، ص٢٧ .
٥ - ابن العبري ، المصدر السابق ، ص٢٣٨.
٦ - غستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،١٩٧٩ ،ص٤٥٠ .
٧ - ابن الجوزي ، المنتظم ،ج١٠ ،ص٢٤٣.
٨ - الأيوبي ، المصدر السابق ، ص٧٦ .
٩ - المصدر نفسه والصفحة .

المناسبة سبعة أيام بلياليهن ، وفي اليوم السابع أمر الخليفة بالخلع والتشريفات على الأمراء وأرباب الدولة ،فخلع على ابن الصاحب استاذ الدار، جبة أطلس مسمطة بذهب عراقي وسيف ، حتى ظن الناس أنها خلعة الوزارة[١] وتكررت مثل هذه الخلع عند ختان ولدي المستنصر: الأمير أبو أحمد عبد الله ، وأبو القاسم عبد العزيز سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) ، حيث أنعم الخليفة الخلع على جميع من حضر من الأمراء والمماليك والخدم[٢] ومثل ذلك أيضاً كان سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م) ، عندما أحتفل بختان أولاد الخليفة المستعصم[٣] .

وهذه المناسبة كغيرها من المناسبات كانت مجالاً لإبداع الشعراء للحصول على العطايا والخلع من الخليفة ، فيحضر الشعراء إلى الديوان الخلافي للتهنئة ، فقال سبط بن التعاويذي في مدح الخليفة الناصر وتهنئته بختان ولديه :

ختان جرى باليمن والنجح طائره   مـــوارده محمـــودة ومصادره
قضيت بتباشير السرور صدوره   ونيـــل المنى أعجازه وأواخره
لطالع سعد لا يغيب بخوفـــــــه   وزائـــد حـظ لا تغيب بشائره
فيالك من يوم تكامل حسنـــــــه   مزقت حواشيه وراقة مفاخره [٤]

ولم يكن إحياء يوم عاشوراء مجرد إظهار للحزن ، بل له دوافعه السياسيه كالتي دفعت الشيعة أيضاً لعمل عيد الغدير ، واحياء هذا اليوم يعني رفضهم لاي وضع سياسي يبعد أبناء الحسين بن علي[٥] (رض) عن الحكم ، وقد عبروا عن ذلك بشتم الصحابة محمليهم المسؤولية بعدم البيعة لعلى بعد الرسول . (ص) فكان إذا حل عاشوراء خرج الشيعة إلى الاسواق ، يعلنون بالنواح على أهل البيت في محلة الكرخ وناحية المختارة [٦] .

---

١ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص٧٦.

٢ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٣٠ .

٣ - المصدر نفسه ، ص٥٤٤ .

٤ - ديوانه ، ص١٧١ ؛ الايوبي ، المصدر السابق ، ص٧٧ .

٥ - قتل الحسين بن على (رض) في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ بعد معركة غير متكافئة دارت بين الحسين من جهة وقائد الامويين عبيد الله ابن زياد من جهة ثانية في كربلاء حيث قتل فيها رجال الحسين واهل بيته ، فرماه أحد رجال ابن زياد بسهم فقتله . أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى ، الاخبار الطوال ، طبعة عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ص٢٥١ -٢.

٦ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص١٢٢ .

وكما أسلفنا عند الحديث عن سياسة الخليفة الناصر الداخلية ثم في الفصل الاول عند الشيعة باعتبارهم عنصر فعال من عناصر المجتمع ، وجدنا ان الناصر في الفترة (٥٧٥-٥٨٣هـ /١١٧٩-١١٨٧م) ، قد غلب عليه ابن الصاحب وهو شيعي وذلك لموقفه المؤيد له بالخلافة ، ولذلك نجد أن الشيعة في هذه الفترة بالذات ياخذون مطلق الحرية في التعبير عن آرائهم ، حتى أنهم عبروا عنها " تحت منظرة الخليفة " .

ففي عاشوراء من سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م) ، فرش الشيعة الرماد في اسواق بغداد وعلقت المسوح ، وناح أهل الكرخ ، وتعدوا ذلك إلى شتم الصحابة : أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة(رض) عليهم [١] .

وخرجت النساء حاسرات يلطمن وينحن من باب البدرية إلى باب حجرة الخليفة الناصر ، وكان أهل الكرخ يصيحون : " ما بقي كتمان " وقد وقفت امرأة على دكة تحت منظرة الخليفة في الريحانيين وحولها ألوفاً من الرجال والنساء ، وأخذت تنشد الاشعار ، وتسب عائشة - رضي الله عنها - وتقول : " العنوا راكبة الجمل " [٢] .

أما بالنسبة لموقف الناصر الذى أورده سبط ابن الجوزي من انه امر بأن توزع عليهم الأموال والخلع [٣] نرى انه موقفا سياسي حكيم فرغم ما اكدناه من تحكم ابن الصاحب في الامور الا انه كان بامكان الخليفة ان يستخدم حرس القصر لقمع نشاطهم ، ولكنه آثر أن يكسب الشيعة إلى صفه حتى لا يقفوا ضده ، خاصة أنهم يمثلون نسبة كبيرة من أهل بغداد في ذلك الوقت ، والدليل إلى ما ذهبنا اليه تخلصه من ابن الصاحب بعد عام من هذا الموقف دون اي رأي معارض . ولعنوا الامويين في مثل هذه المناسبات بأعتبارهم المسؤولين عن مقتل الحسين بن علي .

وفي فترات الاضطراب والقلق السياسي ، وخوفا من وقوع الفتن بين السنة والشيعة كان يمنع احياء هذا اليوم الا في مشهد موسى بن جعفركما حدث في سنوات (٦٤١هـ[٤]/١٢٤٣م)، (٦٤٨هـ[٥]/١٢٥٠م)،(٦٥٠هـ[٦]/١٢٥٢م)، حيث أمر الخليفة المستعصم بمنع قراءة المقتل في يوم عاشوراء الا بمشهد موسى بن جعفر .

---

١ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٣٨٦ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٨٤ .
٢ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٣٨٦.
٣ - المصدر نفسه والصفحة .
٤ - مجهول، الحوادث، ص١٨٣.
٥ - المصدر نفسه ، ص٣٤٨؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٥٧٥.
٦ - المصدر نفسه ، ص ٥٨٥.

وفي هذا اليوم كان الشيعة يحرمون على أنفسهم الزينة ، فهذا أحمد بن عيسى الهاشمي (ت٥٩٣هـ/١١٩٦م) ، يعتذر عن الاكتحال في يوم عاشوراء قائلا [١] :

لـم اكتحل في صباح يوم   أريـــق فيـــه دم الحسين
الا لحزنــــــي وذاك أني   سوّدت حتى بياض عيني .

ثانياً – وسائل التسلية

١- المجالس الخاصة

تكون هذه المجالس بين الأصدقاء والندماء يقضون فيها أوقات فراغهم بعد عناء يوم من العمل والجهد ، يتبادلون فيها الأحاديث حول يومهم ، وما واجهتهم به من الحكايات والطرف والاحداث .

ولم تقتصر تلك المجالس على عامة الناس بل شارك فيها الخلفاء والامراء والاعيان والعلماء ، فنجد ان الخلفاء كانوا يحرصون على استقبال ندمائهم في المساء أو الليل لقضاء ساعة من الراحة ، وأحياناً لعقد مجلس علمي أو شعري ، يتنافس فيه العلماء بين يدي الخليفة من أجل الفوز بخلعة أو مال ، فالخليفة الناصر لدين الله كان يحرص على أحضار جماعة من الندماء والجلساء الذين يميل إليهم [٢] . كما حرص على لقاء العلماء وعقد مجالس لهم في القصر ، فكان الشيخ ظهير الدين البادرائي (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م) ، يدخل على الخليفة الناصر ويحاضره ويخلو معه [٣] .

وكان الخليفة المستنصر يعقد مجالس خاصة مع كبار الزوار لبغداد من السلاطين والامراء، فلما قدم الملك الناصر داود بن الملك المعظم إلى بغداد طالباً العون من الخليفة ضد عمه الكامل ، إستدعاه الخليفة للتحدث أليه ، ولندع الملك الناصر يصف ذلك المجلس فيقول[٤]: " إستدعاني الخليفة بعد شطر من الليل ، فدخلت من باب السر إلى أيوان فيه ستر مضروب ، فقبلت الأرض بين يديه ، فأمرني بالجلوس فجلست ، ثم اخذ الخليفة يحدثني من خلف الستر ويؤانسني ، ثم أمر الخدم فرفعوا الستر وقمت فقبلت الارض ثانية ، وتقدمت فقبلت يد الخليفة ، فأمرني بالجلوس فجلست بين يديه ، وجاراني في أنواع من العلوم وأساليب من الشعر إلى آخر الليل ، ثم خرجت من عنده ، وعدت إلى منزلي " .

---

١ – أبو شامة ، الذيل ، ص ١١.
٢ – الايوبي ، المصدر السابق ، ص٨٧.
٣ – الكتبي ، فوات ، ج٣، ص٢١٧.
٤ – ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٥، ص١٦٧.

٢- المجالس العامة

أ- مجالس القصاص

القاص هوالرجل الذي يجلس في الطرقات ، والمقابر ، والجوامع ، والاسواق يذكر للناس اشياء من الأيات والأحاديث وأخبار السلف ، ويقصص عليهم الحكايات من حفظه ، ويختلف عن الواعظ في كونه يهتم بسرد القصص الماضية وتقديم الشروح لها . وهـم الواعظ تخويف الناس من عاقبة الابتعاد عن تعاليم الله، لكي يرق قلبهم ، ويحبب اليهم الأيمان (١) .

وكان أغلب مستمعي هؤلاء القصاص من العامة ، حيث يخرجون من أجل قضاء وقت الفراغ والتلذذ بسماع القصص ، بينما كانت غاية القصاص الحصول على الأموال فتلاعبوا بعواطف المستمعين ، وفي سبيل الحصول على المال إبتكروا أساليب خبيثة ، فإذا صعد المنبر غطى وجهه وارتعد إلى أن يفرغ القراء من القراءة (٢) ، حتى وصفوا " بأنهم الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام (٣).

وكان خطر هؤلاء القصاص عظيماً على الدين والعقيدة ، خاصة إذا علمنا أنهم من الجهلة وقليلي العلم ، فلم يتورعوا من أيراد الاحاديث الموضوعة في مجالسهم ، فيرويها ولا يعلم انها كذب فيوذي بها الناس(٤) . ولا بد ونحن في صدد الموضوع من إيراد مثال على ذلك فقدوعظ أحدهم في بغداد ، فأورد حديثاً ، فذكر أن الحسن والحسين دخلاعلى عمر بن الخطاب وهو مشغول ثم انتبه فقام فقبلهما ووهب لكل واحد منهما الفا،فرجعا فأخبرا أباهما فقال : سمعت رسول الله يقول :" عمر نور الإسلام في الدنيا وسراج أهل الجنة في الجنة ، فرجعا إلى عمر ، فحدثاه ، فاستدعى دواة وقرطاساً ،وكتب حدثني سيدا شباب الجنة عن ابيها عن رسول الله(ص) أنه قال : كذا كذا ، فأوصى أن يجعل في كفنه ففعل ذلك فأصبحوا واذا القرطاس على القبر وفيه صدق الحسن والحسين وصدق رسول الله (ص)(٥) ، ويعلق ابن الجوزي على ذلك بقوله(٦) : "وإذا كان القصاص من هذا الجنس فكيف لا يذمون " .

---

١ - فهد ، العامة ، ص ص٢٢٧-٨.

٢ - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، تحقيق محمد لطفي الصباغ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ،١٩٨٣،ص٢٩٦.

٣ - شهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ٢ج ، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت،١٩٨٨،ج١،ص٨٥٦.

٤ - ابن الجوزي ، القصاص ، ص٣٠١.

٥ - المصدر نفسه ، ص ص ٣١٧-٨.

٦ - المصدر نفسه ، ص٣١٨.

وتعود أسباب الكذب في ذلك المجال إلى أن القصاص مارسه جهال بالعلم يقولون ماوجدوه مكتوباً ولا يعلمون الصدق من الكذب ووافق ذلك انهم يخاطبون الجهال من العوام ، فلا يعرفون ما يقولون [١].

ومن المفاسد في مثل هذه المجالس إختلاط النساء بالرجال وهذه من المجالات التي تشجع على الفسق ، والخروج على مباديء الدين، لذلك نجد أن القاص يقضي أكثر مجلسه في العشق والمحبة وانشاء القول الذي يحتوي على وصف المعشوقة وجمالها ، وشكوى ألم الفراق . يقول ابن الجوزي حتى أني سمعت بعض القصاص ينشد :

الا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر

ولا تسقني سراً فقد أمكن الجهر [٢] .

ولمخاطر القصاص على المجتمع والدين ، أن دفع ذلك بعض العلماء أمثال ابن الجوزي إلى الوقوف في وجوههم وذمهم ووضع الكتب في توضيح حقيقتهم للناس.

ب- مجالس الوعظ

لم تكن مجالس الوعظ وسيلة من وسائل ملء الفراغ والتسلية ، بقدر ما كانت ذات فائدة علمية ودينية ، تذكر الحاضرين بالثواب والعقاب ، وتنبه الغافلين إلى العودة إلى طريق الله .

وكانت هذه المجالس أشبه ما تكون بمدارس شعبية ، يستفيد منها الحاضرون ، فاذا أنتهى الواعظ من خطبته ، يأتي دور الحضور في السوال فتكتب تلك الأسئلة على رقاع ، ثم يأخذها الشيخ فيجيب عليها واحداً واحداً دون استثناء [٣] .

ولم تقتصر هذه المجالس على العامة ، بل نجد ان الخليفة وكبار الأمراء حرصوا على حضور مثل هذه المجالس .فقد كان الخليفة الناصر يدعو شيخ الحنابلة أبو الفرج بن الجوزي للجلوس بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ، وهو يستمع اليه من شرفة قصره وكان للعامة باب يدخلون منه إلى ذلك الموضع استعداداً لحضور المجلس ، ويصف لنا ابن جبير أحد مجالس ابن

---

١ - المصدر نفسه ، ص٣٢٨.

٢ - المصدر نفسه،ص٣٢٧.

٣ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٧٧.

الجوزي بباب بدر قائلاً (١) :" فصعد المنبر ، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان وقد تسطر القراء أمامه على كراسي موضوعة ، فابتدروا القراءة على الترتيب ، وشوقوا ماشاءوا ... صدع بخطبته الزهراء الغراء ، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات."

ويذكر ابن الدبيثي (٢) في حديثه عن أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني الشاطيء " وعقد مجلس الوعظ ، وصارت وجوه الدولة إلى حلقته ، وكثر التعصب له من الأمراء والخواص وأمّية العوام".

ولم تكن مواعيد مجالس الوعظ محددة بزمان أومكان ، فيمكن أن تعقد في الصباح(٣)، أو في المساء(٤)، وفي أماكن عامة أو في المدارس كالنظامية(٥)وفي المساجد كجامع المنصور أو جامع القصر ، أو في الترب كتربة أم الناصر (٦) " أو مجالس العزاء (٧) ، فقد جلس ابن الجوزي عند تربة أم الخليفة المجاورة لقبر معروف الكوخي، فتاب مائه وثلاثين ومات ثلاث في المجلس بوجدهم (٨) .

ومجالس الوعظ لم تقتصر على الأمور الدينية وتفسير القرآن الكريم والحديث النبوي ، بل تطرقت إلى معالجة المفاسد الإجتماعية والقيم الفاسدة مثل : شرب الخمر ، والغناء وسماع الملاهي المحرمة. وغالباً ما تعرض أمثال هؤلاء الوعاظ للاذى من اصحاب تلك المفاسد أومن أعوانهم في الدولة ، فقد كان محمد بن عبد الله بن عمر الطريد الواعظ (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م) ، يعقد مجالس وعظه بالمدرسة النظامية ، وكان يُرمي باشياء منها شرب الخمر ، وشري الجواري والمغنيات ، وسماع الملاهي ، فأخرج من بغداد مراراً لاجل ذلك (٩) .

---

١ - المصدر نفسه والصفحة.

٢ - محمد بن أحمدبن عثمان الذهبي ، المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله بن سعيد بمحمد الدبيثي ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥١ ،ج١ ،ص١٧٥.

٣ - ابن جبير ، المصدر السابق ،ص١٧٩.

٤ - المصدر نفسه، ص١٧٥ .

٥ - الذهبي ، مختصر ،ج١ ، ص١١٦ ، ابن خلكان ، المصدر السابق ،ج٣ ،ص٢١٠ ، ابن الدمياطي ، المصدر السابق ، ص٨٦.

٦ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٧٩.

٧ - الذهبي ،مختصر ، ج٣ ، ص٢٥٥.

٨ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ،ج٨ ، ق١ ، ص٤١٥ .

٩ - ابن الدمياطي ، المصدر السابق ، ص٩٧.

وكان لهذه المجالس تأثيرٌ كبيرٌ على الناس بالتوبة والعودة إلى طريق الصواب ، ويعود مثل هذا إلى قدرة الواعظ على التأثير في سامعيه ، فهذا ابن جبير يصف تأثير وعظ بن الجوزي على الحاضرين فيقول(١) : " صعّد بوعظه أنفاس الحاضرين سحباً ، وأسال من أدمعهم وابلاً ، ثم جعل يردد في آخر مجلسه ابياتا من النسيب شوقاً وطرباً إلى أن غلبته الرقة فوثب من أعلى منبره والهاً مكتئباً ".

وكان ابن الجوزي يقول في آخر أيامه على المنبر:" وأني مازلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة ، فقد تاب على يديّ إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل ، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة ، وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف"(٢).

ولجأ الوعاظ إلى الشعر لما له من تأثير على سامعيه ،وخاصة ذلك الذي قيل في الحكمة أو الموعظة . ومن ذلك :

أيـــن فؤادي أذابه الوجد	وأين قلبي فما صحا بعد
ياسعد زدني جوىً بذكرهم	بالله قل لي فديت ياسعد (٣) .

وكان يحيى بن طاهر بن محمد أبو زكريا الوعظ والمعروف بأبن النجار (ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م) ، ينشد في مجلسه (٤) :

عاشر من الناس ما تبقى مودتهم	فأكثر الناس جميع غير مؤتلف
منهـم صديق بلا قاف ومعرفة	بغير فـــاء واخوان بلا الف .

وكان الدعاء للخليفة وأهله وقول الشعر في مدحه في تلك المجالس أمراً مألوفاً . يقول ابن الجوزي في أحد مجالسه يمدح الخليفة الناصر:

في شغل من الغرام شاغل	من هاجه البرق بسفح عاقل

---

١ - الرحلة، ص١٧٩.

٢ - ابن الجوزي ، القصاص ، ص٣٧١ ، أبو شامة ، الذيل ، ص٢١ ، السيوطي ، تذكرة الحفاظ ، ص٤٧١ .

٣ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٧٨ .

٤ - ابن تغري بردي، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٨٣

يا كلمات الله كوني عوذةً   من العيون للامام الكامل [١] .

ولقد شارك الصوفية في عقد مجالس الوعظ ، فكان للشيخ أبو حفص عمر السهروروي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، مجلس عليه القبول[٢] .

ولقد انعكس النعصب للمذاهب والعقائد على تلك المجالس ، باعتبارها جزء لا يتجزأ من الحياة الإجتماعية ، فتعصب الحنابلة إلى ابن الجوزي ، وتوافدوا على مجلسه ، حتى قيل : انه حضر في أحد مجالسه مائة الف شخص[٣] .

وجدنا أن الشيعة حاولت استغلال هذه المجالس لتأكيد مبادئها واجبار هؤلاء العلماء الوعاظ على موافقتهم في رأيهم والا هاجموه وحاولوا قتله ، ونجد هذا التأثير في أحد مجالس رضي الدين القرويني ، حيث طلب منه جماعة ان يلعن معاوية وولده يزيد فرفض ذلك ، فهاجموه بالحجارة والآجر ولم ينقذه منهم الا تدخل السلطة[٤] .

ومن اشهر الوعاظ في هذه الفترة العلامة رضي الدين القزويني الشافعي ، ولد سنة (٥١٠هـ / ١١١٦م) ، تفقه وقرأ الروايات حتى فاق الاقران ، قدم بغداد قبل الستين ، ودرس بها ووعظ و بقي فيها على ذلك إلى ان توفي في المحرم سنة(٥٩٠ /١١٩٣ م) وقد صنف " كتاب البيان في مسائل القرآن " رداً على الحلولية والجهمية ، وكان يعظ يوماً وابن الجوزي يوماً، ويحضر الخليفة مجلسه من وراء الستار[٥] .

وكان أشهر الوعاظ الذي فاق الجميع بغزارة علمه ورقة أسلوبه العلامة الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التميمي البكري الفقيه الحنبلي [٦] الشهير بابن الجوزي [٧،٨].

---

١ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٧٨.

٢ - ابن خلكان ، المصدر السابق ،ج٣ ، ص٤٤٦ ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٤٥.

٣ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٤٣ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص٤٧٨.

٤ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص ص١٧٤ -١٧٥؛ ابن العماد ، المصدر السابق ج٤ ، ص ص٣٠٠-٣٠١.

٥ - ابن العماد ، المصدر السابق، ج٤، ص ص ٣٠٠-٣٠١.

٦ - الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص١١٩ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٧١ .

٧ - والجوزي نسبة إلى محلة الجوز إحدى محلات مدينة البصرة . ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٣٠ .

ولندع ابن جبير شاهد العيان يروي لنا احساسه ورأيه بابن الجوزي ومجلسه قائلاً [١]
"ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت مجلس الأمام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي ، بأزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة ، وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل يوم سبت ، فشاهدنا مجلس رجل ليس غمرو ولا زيد ، وفي جوف الفراء كل صيد ، آية الزمان وقرة عين الايمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية امام الجماعة ... إلى أن يقول : ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته ، أنه يصعد المنبر ويبتدىء القراء بالقرآن وعددهم نيف على العشرين قارئا ، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق ، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية ... فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في ايراد خطبته، عجلا مبتدرا ، وأفرغ في أصداف الاسماع من ألفاظه دررا ، وانتظم أوائل الايات المقروءات في أثناء خطبته فقرا ، وأتى بها على نسق القراءة لها ، لا مقدما ولا مؤخرا. ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها ".

وقيل أنه جمعت الكراريس التي كتبها ، مدة عمره فقسمت الكراريس على المدة فكان ما كتب كل يوم تسعة كراريس ، وهذا شيء لا يكاد يقبله العقل ، وجمعت براية أقلامه التي كتب وبها الحديث فكانت الشيء الكثير [٢] . يقول ابن العماد [٣] " سئل عن مؤلفاته . فقال : زيادة على

---

٨ - ولد ابن الجوزي في بغداد سنة (٥١٠هـ / ١١١٦م) في محلة درب حبيب ، توفي والده وله من العمر نحو ثلاث سنين ، فكفله عمه ورعته أمه ، ابتدأ بطلب العلم وهو صغير ، فحفظ القرآن ، وقرأ القراءات وحضر حلقات الدرس عند العلماء والمشاييخ في المساجد والمدارس . وعظ وهو صغير ، وروى ان أول مجلس تكلم به كان سنة (٥٢٠هـ / ١١٢٦م) ، ثم تقدم به الامر يطلب العلم ، والنظر في فنونه ، فألف في جميع العلوم كالفقه والادب ، والتاريخ والزهد ، والتصوف والطب .. الخ .وكانت وفاته بداره ، بمحلة قطفتا في ليلة الجمعة الثاني عشر من رمضان سنة ٥٩٧هـ ، وصلى عليه ابنه ، ودفن بمقبرة باب حرب . للمزيد حول حياته وعلمه ومؤلفاته انظر : المنتظم ، ج٩ ، ص٢٥٩ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص١١٩ ؛ ابن رجب ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢١٠ ؛ ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص٣٢٩-٣١ ؛ بالاضافة إلى دراستين حديثين حول حياة ابن الجوزي ومؤلفاته : عبد الحميد العلوجي ، مؤلفات ابن الجوزي . دار الجمهورية للنشر والتوزيع ، بغداد . ١٩٦٥ ؛ ناجية عبد الله ابراهيم ، قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي (وهو استدراك على مافات العلوجي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ١٩٨٧ ، .

١ - الرحلة ، ص١٧٦ .

٢ - ابن الوردي، المصدر السابق ، ج٢، ص١٧٠؛ ابراهيم ، قراءة جديدة، ص١٣.

٣ - شذات الذهب، ج٤، ص٣٣١.

ثلاثمائة واربعين منها ما هو عشرون مجلدا أو اقل ". وقال السبط [١] : " ما علمت احدا من العلماء صنف ما صنف " .

وقد حظي بالقبول والاحترام من الخاص والعام على حد سوى ، وحضر مجالسه الخليفة المستضيء ، وابنه الناصر من بعده والوزراء، والأعيان وأرباب الدولة [٢]، وسمع الناس منه وتلقوا عنه أكثر من اربعين سنة[٣] .

وأشتهر من هذه العائلة بالوعظ أيضا جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن يوسف الجوزي وكان يعظ بباب بدر مكان جده[٤] .

ج - مجالس الغناء

أحب العرب منذ فجر تاريخهم سماع الأنغام الشعبية التي تهز النفوس وتحرك المشاعر ؛ وقد شارك في ذلك مختلف فئات الشعب ، وتكون الغاية من تلك المجالس اللهو وسماع الغناءوالموسيقى .

وكان للغناء أصول استقرت منذ العصر العباسي الاول، وأصبح للموسيقى قواعد معروفة، ومدارس متبعة ، والف كثير من الناس في الغناء والموسيقى [٥].

ويرجع فارمر [٦] عدم ظهور مغنين أو موسيقين مشهورين في العصور المتأخرة إلى عدم ظهور مؤرخين موسيقين بقوة الاصفهاني مؤلف كتاب الاغاني ليسجل لنا أخبار المغنين والمغنيات ، وشرح لنا مجالس الطرب .

ومن الملاحظ خلال هذه الفترة أنهم كانوا يختارون لهذه المجالس أجمل الاماكن ، فقصدوا ضفاف الانهار والرياض والبساتين ، ومعهم المغنيات والقيان، لتغني لهم ، وهم في نشوة الخمرة [٧] .

---

١ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨، ق٢، ص٤٨١.

٢ - الذهبي ، العبر ، ج٣، ص١١٩؛ ابن العماد، المصدر السابق، ج٤، ص٣٣١.

٣ - المصادر نفسها والصفحات ؛ ابراهيم ، قراءة جديده ، ص١١.

٤ - مجهول ، الحوادث ، ص١٧٧.

٥ - بدري محمد فهد، "الحياة اليومية في المدينة العراقية" ، بحث ضمن موسوعة المدينة والحياة المدنية ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٤، ج٢، ص ٢٣٠.

٦ - هـ. ج. فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة حسين نصار ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص٢٤٩؛ فهد ، العامة ص ٢١٩.

٧ - ابن الكازروني ، مقامة ، ص ٤٣٩؛ العبود ، الشعر العربي ،ص ٢١٩.

ولكن الخليفة الناصر، رغم اتهام بعض المؤرخين له بمراسلة المغول ، الا أنهم لم يوردوا في مدة حكمه الطويلة. التي قاربت سبع واربعين عاما أي أشارة إلى اهتمامه بمجالس الغناء واللهو وعشقها، أو الاقبال عليها ، الا انه عندما امر بختان ولديه: الامير أبو نصر محمد ، والأمير أبو جعفرأمر بأحضار المغنين والمغنيات وأصحاب الملاهي ، وعمل خواناً عظيماً ، وبقي الناس على ما هم عليه من الفرح والسرور والطرب سبعة أيام بلياليهن [١]، وكما بينا فان هذا الاحتفال كان عاماً لاظهار الفرحة بختان ولدي الخليفة ولم يكن اشارة إلى انه عمل من اجل امتاع الناصر، وعلى العكس من الناصر كان الخليفة المستعصم ، فرغم ما كان عليه من التقوى والتدين ، الا انه كان مغرما بالغناء [٢].

ومن أشهر المغنيات في بغداد خلال هذه الفترة نويس المغنية زوجة ابن رئيس الرؤساء ، وعائشة السوداء زوجة ابن الكرخي[٣]، وقد اجمع أهل بغداد"بأن ما في بغداد مغنية أصنع من عائشة ، ولا غناء اطرب من غنائها ، ولا صوت أرق من صوتها" [٤].

وأشتهر من الرجال بالغناء أبو منصور بن نقطة (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)[٥] ، المسحراتي ، فقد كان مجيدا في صنعه الغناء ، وعمل "الكان وكان " وأيضا البدر محمد بن الفراش المغني ، كان شابا جميل الصورة ، مشهوراً بحسن الغناء ، فلما توفي سنة (٥٩٨هـ /١٢٠١م)، شيعه خلق كثير ، وفجع به الناس وحزنوا عليه [٦] .

ولقد غلب على تلك المجالس شرب الخمرة والتغني بها[٧]. وقد جسد لنا الشاعر سبط بن التعاويذي تجسيدا حيا لمجلس من تلك المجالس ، حيث اجتمع الندمان من ذوي الشمائل الرفيعة والكأس يديرها ساق أهيف جميل ومغنية إذا شدت زلزلت الارض طربا فيقول [٨] :

لدينا يا أبا أسماعيل قدر تفور وقهوة صرف تدور

---

١ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص ٧٦.

٢ - الأربلي ، المصدر السابق ، ص ٢٩١.

٣ - الايوبي ، المصدر السابق، ص٨٩.

٤ - المصدر نفسه ، ص٨٩.

٥ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩، ص٦٨،

٦ - المصدر نفسه ، ج٩، ص٨٨.

٧ - النويري ، المصدر السابق، ج٤، ص١٠٣

٨ - ديوانه ، ص٢٣٠.

وندمــــان كبستــان نـضيــر	بعيـد ان يكـون لــه نضيـر
وســاق كالقضيـب الرطـب	حشـــاه وردفـــــه عال أثيـــر
ومحسنة الغنــاء إذا تـغنــت	حسبت الارض من طرب تسير

وولع الشباب بالمغنيات ليس وليد هذه الفترة ، بل هو موجود منذ أمد بعيد، وقد وضع هذا الحب بأن يقتل احدهم صاحبه من اجل مغنية ، ففي أحد الليالي من سنة (٦٠٣هـ / ١٢٠٦م) ، التقى شابان : احداهما يدعى بأحمد بن المقرىء الحاجب بالديوان ، والآخر يعرف بابن الامير . وقد جرى بينهم كلام حول إحدى المغنيات ، وكان لأحدهما ميل اليها ويبدوا انهما قد تشادا بالكلام فقام ابن المقرىء بطعن زميله وهرب وبقي المطعون مدة يومين ثم توفى[١].

وفي مجالس الغناء كان لا بد من وجود عازفين يصاحبون المغني أو المغنية اثناء الغناء ، ويستثيرون الراقصين والراقصات[٢].

اشتهرت مجموعة من الآلات الموسيقية التي استخدمها العازفون ومنها : العود[٣] ، والربابة [٤] ، والشبابة [٥] ، والجنك [٦] ، والطنبور [٧] ، والمزمار [٨] ، والدف [٩] ، والكوبة[١٠]، والجغانة [١١] ، والطبل [١٢] .

---

١ – ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٩٩ .

٢ – فهد ، العامة ، ص ٢٢١ .

٣ – ابن فضل الله محمد بن يحي العمري ،التعريف بالمصطلح الشريف ، دراسة وتحقيق سمير الدروبي ، منشورات جامعة مؤتة ،الكرك، ١٩٩٢ ، ص٣٢٣ ؛ ابن الاخوة ، المصدر السابق ، ص٢١٢ ، ويعرف العود باليربط – أي صدر البط – لأن صورته تشبه صدر البط وعنقه . الخوارزمي ، المصدر السابق ، ص١٣٧.

٤ – ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص٣٢٣ ؛ القلقشندي ، صبح الاعسى ، ج٢ ، ص١٦٠.

٥ – ابن الاخوة ، المصدر السابق ، ص٢١٢ ؛ ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق٤ ، ص٧٢٢.

٦ – النويري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٣٣.

٧ – ابن الاخوة ، المصدر السابق ، ص٢١٢.

٨ – المصدر نفسه والصفحة.

٩ – النويري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٣.

١٠ – وهي طبل طويل ، ضيق الوسط ، واسع الطرفين ، يعرف بطبل السودان. ابن الاخوة ، المصدر السابق ، ص٢١٢.

١١ – لم تكن مشهورة كثيرا وهي من آلات الترك . ابن القوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ، ص٣٢٩.

١٢ – ابن الاخوة ، المصدر السابق ، ص٢١٢.

٣- لعبة الشطرنج والرياضات البدنية

لعبة الشطرنج في الاصل كانت لعبة هندية منتشرة في المدن التي فتحها المسلمون الاوائل في العراق وايران ، ثم انتشرت في العالم الاسلامي .ولم تكن لعبة الشطرنج لعبة العامة ، ولكنها لعبة الخاصة من الملوك والامراء والاعيان ، وغالباً ما كانت تلعب في البيوت بين الاصدقاء في وقت فراغهم [١] . ولكن لم ترد في مصادر بحثنا أية اشاراة عن إهتمام خلفاء هذه الفترة بهذه اللعبة.

رغم أنها وسيلة مسلية الا أن بعض العلماء قد أنكروها مما دفع بعض الشعراء للدفاع عنها من ذلك قول أبي جعفر محمد بن ثابت الهمذاني ، دفاعاً عن لعبة الشطرنج ورداً على منتقديه:

يا عائب الشطرنج جهلاً به — وليس في الشطرنج من باس
في لعبة فهم في لهوه — شغل به عن غيبة الناس
يشغل الفاسق عن فسقه — وصاحب الكأس عن الكاس [٢] .

ومن الرياضات التي مارسها أهل بغداد السعي والركض لمسافات طويلة ، فقد كان بركة بن محمود الساعي مشهوراً بذلك وهو من أهل الحربية متمكناً من الركض من واسط إلى بغداد في يوم وليلة ، ومن تكريت إلى بغداد في يوم واحد ، فأنعم عليه الخليفة الناصر ، ورفع مكانه ، وجعله مقدماً لرجال باب القرية [٣] . ومن السعاة معتوق المعروف بالكوثر ركض سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) من واسط إلى بغداد في يوم وليلة ، ولقد حصل القبول من رجال الدولة والتجار ، ومن جملة ما حصل من الاموال ما يزيد على عشرين فرساً ، ومن الذهب خمسة الآف وأربعمائة دينار [٤] .

وفي سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) جرى معتوق الموصلي من دقوقا إلى بغداد ، وكان الخليفة المستعصم بالله وأولاد الخليفة من الامراء وحاشيته ، والامير اقبال الشرابي في استقباله ، فأمر الخليفة له بخمسمائة دينار وأعطاه الشرابي ثلاثمائة دينار ، وحصل من أرباب الدولة الشيء الكثير [٥] .

---

١ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٣٠٥.
٢ - ابن الفوطي ، المصدر السابق، ج٤ ، ق٢ ،ص٩٤١.
٣ - مجهول ، الحوادث ، ص٥٢ ص٦.
٤ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٣٥.
٥ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٩١ .

وأحيانا كان السعي رياضة تنافسية بين المتسابقين للحصول على الجائزة ويتم هذا تحت رعاية الخليفة أو أحد الامراء . ففي سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، كان هناك سباق بين معتوق الموصلي المعروف بالكوثر وعلي بن الاربلي ، وكانت مسافة السباق من دقوقا إلى بغداد استطاع بها الاربلي من الفوز ، وقد خرج الخليفة المعتصم وأولاده للتفرج على السباق وجلسوا في الكشك إلى حين وصوله ، فأمر له الخليفة بفرس من مراكبه ، وخلعة ، وذهب[١] . ومارسوا اللعب بالكرة والمصارعة وحمل الاثقال[٢] ، التي مارسها شديدو القوة [٣] .

٤- النزهة والرحلات

وكانت النزهة وسيلة أخرى من وسائل التسلية التي حرص أهل بغداد على المشاركة بها، فيخرجون إلى البساتين والرياض لقضاء الأوقات [٤] .

وفصل الربيع كان من المواسم التي تكثر بها النزهات ، فيختارون لهذه النزهات أجمل الاماكن وأكثرها هدوءاً [٥] .

وتعتبر المحول[٦] . من أشهر متنزهات بغداد ، حيث يجتمع الناس في الصباح الباكر ويذهبون إلى المحول يخترقون الاشجار والرياض ويفترشونها حتى المساء[٧] .

وقد حرص بعضهم على اصطحاب الجواري والمغنيات لتكمل فرحتهم[٨] كما خرجوا إلى شاطىء دجلة للنظر والفرجة على الناس وأرباب الحكايات حيث توجد جماعات من العامة عملهم اضحاك الناس بنوادرهم وتمسخرهم[٩] .

---

١ - المصدر نفسه ، ص٢٣٤ .

٢ - الحسن بن عبد الله بن أحمد بن محاسن ، آثار الاول في ترتيب الدول ، مطبعة بولاق ، مصر ، ١٢٩٥هـ ، ص١٢٩ .

٣ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢١٩ .

٤ - ابن الكازروني ، مقامة ، ص٤٣٨

٥ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٦٣ ؛ ابن الكازروني ،مقامة ، ص٤٣٩.

٦ - المحول . بلدة شهوره حسنة طيبة ، كثيرة البساتين والفواكه والاسواق والمياه ، بينها وبين بغداد فرسخ. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٦٦.

٧ - ابن الكازروني ، مقامة ، ص٤٣٩.

٨ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٨٠

٩ - عماد الدين الاصفهاني الكاتب ، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) ، تحقيق محمد بهجة الاثري ، منشورات وزارة الثقافة والفنون بغداد ، ١٩٧٨ ، مج٢ ، ج٣ ،ص٩٣.

وأحيانا كان الامراء والاعيان يدعـون أصحـابهم لقضـاء سـاعات مـن الراحـة والتمتـع فـي بستانيهم بعد تناول وجبة طعام[١] .

وشاركت النساء بالنزهة شأن الرجال[٢] ، وبعض النـاس لـم يكـن يذهـب للنزهـة مـن أجـل النزهة فحسب ، بل تجد من يذهب من أجل ممارسة الفسق مع المغنيات والجواري ، فبينمـا كـان الناصر في بستان محمد بن علـي يتنزه . فـاذا بخطليشـة المغنيـة تدخـل إلـى بسـتان حـاجب دار الخلافة ابن هبيرة[٣] وكان يأمر الامر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ومنع شرب الخمـر، فـأمر الخليفة الناصر بالقبض عليها ، فدخلوا علىابن هبيرة وهو متكيءعلى مخدته والى جواره المغنية (بقميص تحتاني) بدون سراويل فقيدوهما بالسلاسل والناصر ينظر اليهما [٤] .

وكان شاربو الخمرة الذين يتحرجون شربها في بغداد يخرجون إلى البساتين والارياف لشربها[٥] ويذهبون إلى الاديرة الخاصة بالنصارى يقضون أوقاتهم في شرب الخمرة ، ومشاهدة المردان والنساء الجميلات من الشماسية والرهبان [٦] .

فقد زار الشاعر سبط بن التعاويذي دير الثعـالب [٧] يـوم عيده سـنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، فرأى شماسيا صبح الوجه ، فقال فيه متغزلا :

وغـزال علـقـتــه ... يـوم دـير الثعالب
من ظباء الصريـــم ... يخطر فـي زيّ راهب
كالقضيـب الرطيب ... يـوهيـه حمل الذوائـب
شدّ زنـــاره فحـلـل ... عقــود المـذاهـــب
مارمى طرفـه بسهم ... هـوى غيـر صائب [٨]

---

١ - سبط بن التعاويذي ، المصدر السابق ، ص٥٦٣

٢ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص١٨٧.

٣ - هو أبو الفتح أحمد بن هبيرة تولى حجابة الباب للخليفة الناصر ، ثم عزل. الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٤.

٤- الايوبي ، المصدر السابق ، ص٢٣١ص٢

٥ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٣ ؛

٦ - سبط بن التعاويذي ، المصدر السابق ن، ص٢٤٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٢ ،ص٥١١ ؛ العبود ، الشعر ،ص٢٢٤

٧ - دير الثعالب : يقع هذا الدير ؛ بجانب الغربي من بغداد ، يقصده أهل بغدادمـن أجـل التنزه والراحـة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٢ .

٨ - ديوانه ، ص٥٢ص٣ ؛ العبود ، الشعر ، ص٢٢٤ .

ومن الاديرة التي حرصوا على زيارتها من أجل التنزه دير مار جرجيس ودير سابر[١] ودير الجاثليق[٢] ، ودير العلث[٣] ودير قوطا[٤] ودير مليان[٥] .

وكانت هذه الاديرة مكاناً لصنع الخمرة ، حيث تموّن بغداد منها ، ويعود ذلك إلى أن هذه الأديرة كانت تُحاط بالاعناب والفواكه التى تعصر حتى تصير خمرة فكان دير الزرقوف مصدر للخمر الذي يعصر به ويباع لاهل بغداد [٦] .

ولاحظنا من خلال البحث مقاومة الخلفاء - وخاصة الناصر - للفسق والمجون في بغداد، بالحبس والنفي تارة، وبالقتل تارة أخرى . ففي حديثه عن حوادث سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م)[٧] ، يقول ابن الاثير :" كثرة المنكرات في بغداد ، فأقام حاجب الباب جماعة لاراقة الخمور ، وأخذ المفسدات" . كما أمر الخليفة الناصر بنفي أمرأه تعرف " بالخليفة " إلى البصرة لما عرف عنها من الفسق وبيع الهوى[٨] . وقتل الخليفة الناصر بيده ال تتبه الشطرنجي الذي كان مفرطا في الشراب ففي إحدى الليالي سمع الخليفة الناصر بذلك . فسار مع جماعة من أركان دولته إلى داره فدخلوا عليه وهو يشرب فقام من مجلسه ، فأخذ الخليفة سيفه وضربه فقتله[٩] .

ولم تقتصر النزهات على أفراد الرعية ، بل شاركهم فيها الخلفاء وحاشيتهم ، ومن شدّة حب الناصر للتنزّه وقضاء ساعات من الراحة ، أشترى بستان من تاج الدين بن رئيس الرؤساء الملاصق للبيمارستان العضدي بثلاثمائة دينار ، وامر ببناء دار فيه ، ولموقعه الجميل على نهر دجلة . فقد حرص الخليفة على الخروج اليه للتفرج والتنزهة[١٠].

---

١ - دير سابر : يقع قرب بغداد بين قرية يقال لها المزرفة وأخرى يقال لها الصالحية . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١٣

٢ - دير قديم البناء رحب الغناء في الجانب الغربي من بغداد بين أرض السواد وأرض تكريت . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ،ص٥٠٣؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص٢٥١.

٣ - دير العلث : يقع في الجانب الشرقي بالقرب من قرية الحظيرة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٣.

٤ - دير قوطا : على شاطىء دجلة بين البردان وبغداد . ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٩.

٥ - مذيان : دير على نهر كرخايا قرب بغداد . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣٣.

٦ - دير الزرقوف يقع على دجلة في جانبها الغربي. ابن عبدالحق ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٦١

٧ - الكامل ، ج١٠ ، ص٤٧٨.

٨ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص٩٢ص٣ ، الغساني ، المصدر السابق ، ص١٨٥.

٩ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص١٧١.

١٠ - المصدر نفسه، ص١٧٣.

أما المستعصم فقد انشأ داراً بالمحول انزه مواقع بغداد [١] ، كما حرص على القيام برحلات نزهة إلى واسط[٢] . وكان الخليفة وامرائه ومماليكه يخرجون إلى قرية من أعمال طريق خراسان للتنزه ولرمي البندق[٣].

وحرص الناصر على توفير مناطق للتنزه في داخل بغداد لمن اراد ، ولمن لم يستطع الخروج إلى مناطق بعيدة ، لعدم توفر القوارب ، أو لكلفتها، فأمر بأن تزرع الجزيرة المجاورة لبستان محمد بن يحيى، فصارت موضع من أنزه المواضع ، وكان أهل بغداد يخرجون للفرجة ، حيث يوجد جماعة من المتمسخرين فيها والخليفة ينظر اليهم من شباك داره في ذلك البستان[٤] .

واستخدموا في نزهاتهم النهريه السفن و القوارب مثل: السمريات ، والشباره[٥] ، والمصفرات[٦] التي كانت من مراكب الاعيان من كبار التجار وأصحاب المقاطعات حيث يركن الرجل وغلمانه والملاحون وعليهم الثياب الجميله[٧]، وقد كان في بغداد خمسمائة مصفره.

وكان للخليفه الناصر سفينه تدعى الزبزب [٨] قد كلف بناؤها أموالاً كثيره،ولكنه لما نقل جثمان والده المستضيء بواسطتها أمر بنقضها قائلا "لا حاجه أن تكون هذه السفينة بالدجلة،بازاء التاج،لترقب من يموت يحمل بها" [٩] .

٥- الصيد

وكان الصيد مجالاً من مجالات التسلية طيلة العصر الاسلامي ، فمنذ العصر الاموي نجد صور الطراد على القصور الاموية ، وقصائد الشعراء في الطراد ، وخاصه طراد الغزلان ، وحمر الوحش ، والطير ، تملأ جانباً من التسلية للقائمين به[١٠].

---

١ - الغساني ، المصدر السابق، ص٥٩٤.

٢ - مجهول، الحوادث ، ص٢٢٥.

٣ - الايوبي ، المصدر السابق، ص١٧٣.

٤ - المصدر نفسه، ص١٧٨.

٥ - ناجي معروف ، "زوارق بغداد وجسورها" مجله الاقلام ، بغداد ، مج ، السنه الثالثه ، ١٩٦٦، ص٢٥، السمريه ضرب من السفن ، جيب الزيات ، "معجم المراكب و السفن في الاسلام" ، مجله المشرق ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص٣٤٢ .

٦ - المصفرات نوع من السفن الصغيرة.الزيات،المرجع السابق،ص٣٤٤.

٧ - مجهول،مناقب،ص٢٧.

٨ - المصدر نفسه والصفحه.

٩ - الايوبي،المصدر السابق،ص٥٨.

وكان الخلفاء و خاصة الناصر و المستعصم مغرمين بالصيد[١] ، فأذا خرج أحدهم للصيد صحب معه جماعه من الامراء والمقربين ، وعند وصولهم إلى المكان المحدد لذلك ، نصبوا الخيم للاقامه والراحه[٢] ، وكانوا يقضون على هذه الحال عدة أيام ثم يعود الخليفة إلى بغداد ، حيث توزع الطيور المصادة على أرباب الدوله وحاشيته[٣] .

وشجع الخلفاء الناس و خاصة الشباب على صيد السباع[٤] فكان شباب كل محله يخرجون للصيد على شكل مجموعات ، ويكون خروجهم مناسبة سعيدة يحتفلون بها بفرح وسرور ، فتعزف الفرق بين ايديهم بالدفوف والمزامير والمغاني وسائر الملاهي[٥] .

واستخدموا لصيد الطيور قوس البندق و يسمى الجلاحق، ويتخذ من القنا ويلف عليه الحرير، ويغرى و في وسط وتره قطعه دائريه تسمى الجوزه توضع فيها البندقيه عند الرمي[٦].

وحرص الرماه على تزيين أقواسهم بكتابة ابيات من الشعر [٧] منها:

ولا تخشى املاقا إذا اعتقلت — كفاك بي فالنجح في دركي

فالنسر لو قصدته ببندقـــة — منـــي لردتـــه عن الفلك[٨]

---

١٠ - وقد جمع الدكتور محمد عيسى صالحيه اسماء الكثير من المخطوطات و المصادر التي تبحث في الفروسية والصيد و تعليم الرماية وحصرها بما يزيد عن ثلاثين ،وذلك في تقديمه لمخطوطه " الاقاده و التبصير لكل رام مبتديء وما هو نحرير بالسهم الطويل و القصير" لعبد الله بن ميمون. انظر المجله العربيه للعلوم الانسانية،الكويت،مج٢،عدد٦،١٩٨٢، ص ص١٨٦-٧.

١ - ابن جبير المصدر السابق،ص١٨٢.

٢ - الايوبي،المصدر السابق،ص٤٠؛الغساني،المصدر السابق،ص٥٣٦ و ص٥٥٢.

٣ - المصدر نفسه و الصفحه.

٤ - ان الاهتمام بصيد السباع هو نوع من التربيه البدنيه التي حرص الخليفه على تربيه الفتيان عليها.انظر حول ذلك الفصل الثاني "الفتوه"

٥ - مجهول ، الحوادث ، ص١٧٥.

٦ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص١٥٤ .

٧ - عبد الله بن ميمون ، الاقاده والتبصير لكل رام مبتديء وما هو مهير بالسهم الطويل والقصير ، صوره عن المخطوطه رقم ١٢١٣،في مكتبه كوبريلي في استنبول ،نشرتها جامعه فرانكفورت ، المانيا ، فؤاد سزكين ، ١٩٥٦ ، ورقه ٣٥٧ .

٨ - سبط بن التعاويذي،المصدر السابق،ص٣٨١.

أما إذا خرجوا لصيد الحيوانات الضواري استخدموا مجموعه من الحيوانات المدربه كالفهود و الكلاب وهي نوعين : السلوقية[١] والزغارية[٢].

أما إذا خرجوا لصيد الاسود و السباع فان اسلحتهم في ذلك لابد وان تكون النبال بدلاً من قصي البندق[٣].

وكان يخرج شباب كل محله لوحدهم ، فاذا اصطادوا سبعاً طوفوا به في المحلات،مفتخرين في انفسهم ، ومظهرين شجاعتهم [٤] . وغالبا ما كان ينتج عن ذلك إقتتال بين أهل المحال[٥] .

٥- تربية الحمام

اللعب بالحمام و تربيته كان وسيله أخرى من وسائل التسلية. و المقصود بالحمام هو "الذي يألف السكن في المنازل" [٦]، وأصبح الاعتناء به و تربيته في البيوت هواية محببة لكثير من الناس، تملأ عليهم فراغهم وتشعرهم بلذة خاصة[٧].

ولم يكن اللعب بالطيور والأهتمام بها مقصودا على فئة معينة من فئات مجتمع مدينه بغداد،بل شارك فيها الخلفاء [٨] والامراء والاعيان والعلماء[٩] . وقد كان محبو هذه الهواية يبذلون في سبيلها الأموال الطائلة ، حتى بيعت الحمامة في بعض الاوقات بسبعمائة دينار، وان ذلك كان مألوفا بالنسبه لسوق الطيور ببغداد و البصرة [١٠].

وكان للطيور سوق خاص ببغداد يتم فيه الشراء و البيع بالجانب الشرقي[١١] ، يتردد عليه اصحاب هذه الهوايه لشراء الطيور وبيعها ، ويبدوا انهم كانوا من الكثره بحيث أنهم وصفوا ذات

١ - منسوبه إلى سلوق من بلاد اليمن .الرماني،المصدر السابق،ص١٣٦.
٢ - وهي الطف من السلوقية، ولا يعرف إلى ماذا تنسب.القلقشندي، صبح الأعشى،ج٢،ص٤٧ .
٣ - فهد ،، العامة، ص٢٤٥.
٤ - ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج٩،ص١٤٦-٧.
٥ - المصدرنفسه، ج٩،ص١٤٧-ص٨.حول هذه الفتن انظر تنظيم الفتوه في الفصل الثاني.
٦ - ابن المستوفي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٧٨ ، ابن الاخوة ، المصدر السابق ، ص٢١٤ .
٧ - بدري ، العامه ، ص٢٣٧ .
٨ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٤٣٧ .
٩ - ابن المستوفي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٧٨ .
١٠ - فهد ، العامه ، ص٢٣ .
١١ - مجهول ، مناقب ، ص٢٦

والمحمديات ، والفاطميات ، والهاشميات ، والباقريات..... الخ[١] وفوض امر رعايتها وتربيتها إلى قاضي القضاة بن البخاري[٢].

ولما كبرت هذه الطيور قام الناصر بتجربتها في أحتفال كبير أقامة لهذه الغاية ، فأرسل هذه الطيور إلى المشاهد المختلفه ، فأطلقت من هناك فعادت إلى بغداد [٣].

وتابع الخليفة المستعصم هذه السياسة فاضاف اليها أربعة أخرى سماها : اليمانيات والعسكريات والغنويات (نسبه إلى مشهد غني بالكوفه)، والقادسيات ، ووزعها على المشهد سنه (٦٤٣هـ[٤]/١٢٤٥م) . وبهذه المناسبة نظم الشعراء القصائد لتخليد هذه الذكرى[٥] .

والى جانب الولع بالطيور ،كان الناس مولعين بتربيه انواع أخرى من الحيوانات ،من أجل مهارشتها،و التفرج عليها:كالديوكو الكباش،فكانوا إذا ارادوا مهارشتها جاءوا باثنين من كل نوع و جعلوا الواحد مقابل الاخر ،فتبدأ هذه الحيوانات بالمهارشه،فيجد الناس عند ذلك المتعه،وتقضية الوقت[٦].

ولعبوا بالقردة و الدببة ،وكانت هنالك مناطق خاصه يجتمعون بها لغرض عرض بضاعتهم على الجمهور[٧] .

ثالثا:- الحياة اليومية

أ- الأطعمة

إهتم العباسين بالطعام وتفننوا في طهيه ، وتصنيفه ، وترتيب تقديمه على موائدهم ، وقد اعتنى العباسيون بوضع المؤلفات التي تصف الطعام وطريقة تقديمه . وممن الف في هذا الباب محمد بن عبد الكريم الكاتب البغدادي الذي الف كتابه الطبيخ في سنه (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) ويصف

---

١ - سبط بن الجوزي،المصدر السابق،ج٨،ق٢،ص٤٣٧ .

٢ - هو أبو طالب علي بن علي بن عبد الله بن هبه الله البخاري،ولي قضاء القضاة ببغداد مرتين :الاول سنه ٥٨٣هـ و بعدها ناب بالوزاره و بعدها عزل ،ثم ولي القضاء سنه ٥٨٩هـ وتوفي سنه ٥٨٣هـ.

٣ - الذهبي،مختصر،ج١،ص٤٣٧ .

٤ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٠٣ .

٥ - المصدر نفسه و الصفحه .

٦ - فهد ، العامه ، ص٢٤٢ .

٧ - المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٦٤٢ .

يوم بانهم "قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضا[١] "، وكان أكثر الناس شغفا بهذه الهواية الخصيان[٢].

ولم يقتصر الاهتمام بالطيور على أفراد الرعية كما أسلفنا ،بل شاركهم فيها الخليفه ، فالناصر لدين الله شغف بها شأنه شأن العامة[٣].

وكان هناك دفاتر بأنساب الحمام كانساب العرب[٤]، ففي عام (٥٩٢هـ/١١٩٥م) ، امر الخليفه بان تكتب انساب الطيور "انه من ولد الطير الفلاني"[٥] و قيل ان الناصر باع طيرا بالف دينار[٦].

ومن شدة حبه (الناصر) للطيور و عنايته بها أنه أحضر جماعه من قباض الحمام أمثال ابن الدوامي و ابن الجابر و غيرهم من المعروفين بلعب الحمام[٧]،وصار من يريد التقرب من الخليفه بأن يقبض من الحمام[٨].

و لم يكن دافع التسلية و اللهو هو الدافع الوحيد لتربية الحمام لدى الخلفاء بل اهتموا بها من اجل استخدامها للبريد و المراسلات،و من اشهر انواعها :الهدى و الهداء و الزاجل والزأجو، وقد أفاض الجاحظ في دراسة الفروق بين هذه الانواع ،و شرح طريقة تربيتها[٩].

وسعى الخلفاء في هذه الفترة إلى تحسين سلالات الطيور المسماة "بالحمام الرسولي" ومن هذه العناية ماقام به الخليفة الناصر سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م) ، بذبح الطيور القديمة واستفرخ طيورا جديدة وصنفها اثنى عشر صنفا نسبه إلى اسماء الائمة : العلويات ، والحسينيات ،

---

١ - فهد العامه،ص١٣٧.

٢ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر ،١٩٥٨،ج١،ص١٨١.

٣ - السيوطي ،تاريخ ،ص٣٦٠.

٤ - العمري،المصدر السابق،ص١٩٦؛القلقشندي،صبح الاعشى،ج١٤،ص٣٩٠.

٥ - ابن تغري بردي،المصدر السابق،ج٦،ص١٣٨.

٦ - المصدر نفسه و الصفحه.

٧ - الايوبي،المصدر السابق،ص١٨٠.

٨ - المصدر نفسه و الصفحه.

٩ - الجاحظ المصدر السابق،ج٣،ص٢٢٦.

لنا هذا الكتاب الطعام في عصر المؤلف وفيما سبقه من العصور العباسيه .وقد قسم هذا المؤلف الطعام حسب فئات المجتمع في عصره فذكر طعام الأغنياء،وطعام الفقراء،والطعام الشعبي(١).

واختلفت الاطعمة باختلاف الفئات الاجتماعية ، فطعام فئة الخاصة عادة ما يتكون من أكثر من صنف وعليه لمسة الترف ، وعلى العكس من ذلك طعام الفقراء الذي يظهر عليه الخشونة ، وقلة القيمة الغذائية .

من أشهر الاطعمة الدجاج واختلفت طريقة طهيه حسب رغبة الآكلين ، ويعتبر الدجاج أساس المائدة لذلك كان سعره مرتفعا(٢) .

ومن الوان الطعام المضيرة(٣) ، حيث يقطع اللحم السمين مع الإلية وتوضع في قدر ، ثم يضاف اليها ماء وملح حتى يغلي ، فاذا قاربت النضج أضيف البصل والكمون ، فاذا نضج وجف ماءها ولم يبق سوى الدهن ، غرف في أناء وأضيف اليها الليمون والنعناع ، ثم تترك على نار حتى يغلي قليلا ، واضيف اليها التوابل ثم تترك حتى يهدأ(٤) .

ومنها السكباج ، حيث يقطع اللحم السمين ، ويوضع في قدر ثم يضاف اليه الملح وعود الدارصيني ، ويبقى على النار حتى يغلي ، وبعدها تضاف اليه الكزبره اليابسه والبصل والجزر أو الباذنجان(٥).

وهناك الاسفاناخيه ، يقطع اللحم ويلقى في الدهن ، ويحرك حتى يحمر ، ويضاف اليه الماء الساخن مع الملح ، فاذا قرب من النضج اضيف اليه الكسفره اليابسه والكمون والفلفل ، وعندما يغلي يضاف اليه الارز حسب الحاجه ، ثم يترك على نار هادئه ، ويكون قد أعد له لحم

---

١ - حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي ، دار الاندلس ، بيروت، ١٩٦٧ ، ج٤ ، ص٦٣٦.

٢ - الخوارزمي ، المصدر السابق ، ص١٠٠ ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، بأعتناء عبد القادر المغربي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٥ه . ص٣٣ ؛ اكتمال اسماعيل ، المرجع السابق ، ص١٠٧ .

٣ - محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ، الطبيخ ، أعاد نشره فخري البارودي ، دار الكتب الجديدة، لبنان ، ١٩٦٤ ، ص٢٤

٤ - المصدر نفسه،ص١٠٧.

٥ - المصدر نفسه ، ص١٣ ؛ حسن ابراهيم ، المراجع السابق ، ج٤ ، ص٦٣٧ .

أحمر مدقوق ناعم يعمل منه كبب صغار ، تلقى في الدهن ، ثم يخرج للأكل [١] . ومن أكلات المترفين الأغنياء الرخامية[٢] والاطرية[٣] والطباهجة[٤] ، والحضرمية[٥] .

وأما الاطعمة الشعبية فتتألف من اللحم والخبز والدبس والخل والسمك[٦] المشوي والمقلي والمطبوخ[٧] ، وكان المحتسب يشرف على باعه السمك بصقه خاصه لئلا يخلطون السمك الطازج بالفاسد[٨] .

وتعتبر الباقلاء من الأكلات الشعبية الواسعة الانتشار[٩] . ومنها الثريد[١٠] وهو عبارة عن خبز أضيف اليه مرق اللحم،و ربما كان الفقراء يضعون الباقلاء بدل اللحم[١١].

والعصيدة كانت تصنع من التمر و الماء ، فبعد أن تغلى بالماء تمرس باليد ، ويضاف اليها السكر والعسل والزعفران ، ثم يحرك حتى تنضج ، فيوضع بين رقاقتين ، وقد يعمل بدون سكر ولا عسل [١٢].

وكانت الرؤوس والاكارع من أكثر الأكلات شعبية انتشارا في العراق ، فبعد كشط شعر الرأس عن الجلد ، يوضع بالماء على النار حتى ينضج[١٣].

والكباب ، حيث يشرح اللحم ويوضع عليه الملح ، وبعدها يشوى على النار ، ويقلب حتى ينضج[١٤] .

---

١ - البغدادي ، المصدر السابق ، ص٢٧.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢٨.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢٩.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٦.

٥ - المصدر نفسه والصفحه . والمزيد من التفاصيل حول هذه الاكلات أنظر المصدر نفسه ص١٦-ص٢٨.

٦ - القزويني،المصدر السابق،ص٤٤٦.

٧ - النويري،المصدر السابق،ج١٠،ص٣٠٧.

٨ - الشيرزي،المصدر السابق،ص٣٣.

٩ - فهد، العامة ،ص١١٢.

١٠ - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي،الاذكياء،تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، ج٥، ط٥، منشورات دار الافاق الجديده، بيروت،١٩٨٣،ص١٨٠.

١١ - اكتمال اسماعيل،المرجع السابق،ص١٠٦.

١٢ - البغدادي،المصدر السابق،ص٧٢؛ بدري،العامه،ص١١٧.

١٣ - ابن سيده،المصدر السابق،ج٤ ،ص١٤٣.

١٤ - حسن ابراهيم ،المرجع السابق،ج٤ ،ص٦٣٧.

وكان الخبز اهم مادة طعامية ، والخبز انواع ، وكان أحسنها الحواري الابيض ، الذي يتناوله ابناء الفئة الغنية[١] ، وهناك الخبز الرديء مثل خبز الخشكار الذي يخبز من الطحين الخشن من دون نخاله[٢] ، والخبز المصنوع من الشعير[٣] ، وأحيانا كان يشطر ويوضع فيه كامخ التوت[٤] .

واشتهرت العراق بكثير من الفواكه ، منها البطيخ [٥] والتين والرمان[٦] الذي يجلب من خلوان[٧] ، والتفاح الذي يجلب أحياناً من اصفهان والسفرجل[٨] ، ومن واسط[٩] يجلب العنب والنارنج والليمون والاملاح الواسطية[١٠].

وأما الحلوى[١١] التي كانت تصنع في العراق ، فهي انواع منها : الخبيص ، ويصنع من دقيق الحنطة ، وله انواع منها خبيص القرع ، وخبيص اللوز ، وخبيص الجزر[١٢] .

وهناك اللوزينج ، والفالوذج[١٣] ، والخشكنالنج المصنوع من دقيق السميد ، حيث يعجن عجنا قويا ، ويترك حتى يخمر ثم يقرص مستطيلات ، ويجعل في وسط كل واحده بمقدارها من اللوز والسكر المجبول بماء الورد[١٤] .

ومن الحلوى القطائف والفطائر ، ولقم القاضي[١٥] ، والصابونيه [١٦] وغيرها .

---

١ - ابن الجوزي،المنتظم،ج٩،ص١١.

٢ - ابن خلكان،المصدر السابق،ج٤ ،ص٩٤.

٣ - الايوبي،المصدر السابق،ص١٢٢.

٤ - ابن الطقطقى،المصدر السابق،ص٣١٣؛اكتمال اسماعيل،المرجع السابق،ص١٠٥.

٥ - ابن الجوزي ، الاذكياء ، ص٢١٥.

٦ - القزويني ، المصدر السابق ، ص٣٥٧ .

٧ - حلوان مدينه بين همذان وبغداد . القزويني ، المصدر السابق ، ص٣٥٧.

٨ - المصدر نفسه ، ص٢٩٦.

٩ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٣٩ .

١٠ - أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي منشورات المكتب التجاري للطباعه ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص١٧٠ .

١١ - البغدادي ، المصدر السابق ، ص٧٣.

١٢ - المصدر نفسه . ص٧٤ ؛ اكتمال اسماعيل ، ص١٠٨.

١٣ - البغدادي ، المصدر السابق ، ص٧٠٦.

١٤ - المصدر نفسه ، ص٧٩.

١٥ - المصدر نفسه ، ص٨٠.

ب- الملابس

شهدت صناعة النسيج في العراق خلال العصر العباسي أزدهاراً كبيراً في عمل اللباس، فتفننوا في حياكتها وتطريزها وتزيينها وقد امتدح كثير من المؤرخين الملابس العراقيه ، حتى قال النويري[١] : " من كان يريد الثياب الرقاق فليلحق بالعراق " .

واشتهرت بغداد بأنتاج أنواع من الثياب ، منها العتابي[٢] الذي أنتشر داخل العراق وخارجه، يقول ابن واصل في وصف عودة الملك الاشرف من دمشق ، ونزوله عند صاحب حلب الملك الظاهر : " أنه خلع عليه عند زواجه مائه بقجه مع مائه مملوك منها : عشرا في كل منها خمسه اثواب عتابي و موصلي " [٣].

ومن الملابس أيضاً الأبرسيمية[٤]، والقطنية التي كانت تعمل في قريه باقدري[٥] . والسقلطون[٦] من ملابس أهل العراق ، وملابس الكرباس والصفيق وكانت تجلب من الحظيرة[٧] بواسطة التجار .

وكان للتمايز بين فئات المجتمع أثر كبير في تعدد الازياء وتنوعها ، فكانت كل فئة تختص بلباس يميزها عن سواها ، وربما أتسع تنوع اللباس خارج حدود الفئات الاجتماعيه إلى سائر أنحاء العراق.

وكانت الملابس على ثلاثة أنواع من حيث الغاية : فبعضها للرأس ، وبعضها للبدن ، والبعض الآخر للأرجل .

أما ملابس الرأس فمنها العمامة . وكانت لباسا عاما لمعظم فئات المجتمع وكانت تصنع من مواد نسيجيه مختلفه كالخز والقصب ، ولم يكتف أهل بغداد بذلك بل راحوا يزينون عمائهم ببعض الخيوط الذهبيه[٨] .

---

١٦ - المصدر نفسه ، ص٧٥.

١ - نهايه الارب ، ج١ ، ص٣٥٨ .

٢ - العتابيه:محله ببغداد في الجانب الغربي،تبلغ المسافة بينها و بين بغداد نحو فرسخ. ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج ،ص.

٣ - مفرج الكروب،ج٣،ص٤٠٤.

٤ - القزويني،المصدر السابق،ص٤٠٤.

٥ - باقدري: من قرى بغداد بينها اربعون ميلا.ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٣٢٧.

٦ - النويري،المصدر السابق،ج١،ص٣٦٩.

٧ - الحظيره:من أعمال بغداد جهه تكريت.ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٢،ص٢٧٤.

ومن المناطق التي أشتهرت بصناعه العمائم تستر[١] ، وتكوير العمامة سنة وفضيلة ، وروي عن النبي (ص) " ركعتأن بعمامة خير من سبعين ركعه بغير عمامة "[٢] . وتلبس العمامه وخدها بلا قلنسوه أو يلفونها على القلانس[٣].

وأما ملابس الرأس بالنسبه للمرأه ، فاشهرها البرقع ، وهو عباره عن قطعة قماش يثقب في موضع العينين تبصر منه المرأة[٤] ، كما لبست الخمار[٥] ، ولبست العصائب ، وكانت الجواري يزين عصائبهن بالاشعار التي تدور حول الحب والحبيب ، أما النساء الحرائر وخاصه المقتدرات فقد رصعن عصائبهن بالجواهر والاحجار الكريمه[٦] .

والجبة من ملابس البدن ، وتختلف بأختلاف فئات المجتمع ، فالاغنياء أستكثروا منها فجعلوا لكل مناسبه واحدة[٧] ، ولما كانت الجبة لباسا عاما ، لبسه أعظم الناس وأصغرهم فهي أذن لا بد أن تكون قد أختلفت في شكلها ونوعها ولونها من فئه لأخرى ، لأنها اتخذت من قبل فئات المجتمع التي تتفاوت في المركز الاجتماعي ، فمثلا جبة الأغنياء كانت تمتاز بعرضها وطول ذيلها ، وتتخذ من القماش الغالي الثمن[٨] ، وحفلت جباب المتصوفه بالرقاع العديده ، وكذلك الحال بالنسبة للفقراء[٩] ، أما جبة العوام فغالبا ما تكون من الصوف[١٠] .

---

٨ - صلاح حسين العبيدي ، الملابس العربيه الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخيه و الاثريه،دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص١٠٨.

١ - تستر أعظم مدينه بخوزستات.ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٢،ص٢٩.

٢ - محمد بن يحيى البخاري،رساله في فضيلة العمامه،مخطوطه من مجموعه رسائل في مكتبة الاوقاف في بغداد تحت رقم ٣٧٩٩،ورقه ١٢أ.

٣ - العبيدي،المرجع السابق،ص١١٧.

٤ - أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده،المخصص،المطبعة الاميرية ، مصر ،١٣١٦ه،ج٤،ص٣٨.

٥ - العبيدي،المرجع السابق،ص٥٨.

٦ - المرجع نفسه،ص١٦٩.

٧ - ابن الجوزي،تلبيس،ص٢٥٤؛الذهبي،مختصر ،ج١،ص٥٨.

٨ - العبيدي،المرجع السابق،ص٢٠١.

٩ - رينهارت دوزي،المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية،ترجمة أكرم فاضل،مطبوعات وزارة الاعلام العراقيه،بغداد، ١٩٧١، ص٩٣.

١٠ - ابن الجوزي ،تلبيس،ص٢٠١.

وكان الناصر لدين الله قد لبس الجبه ذات اللون الابيض ، وكانت الخلع الخلافيه على الامراء والأعيان تشمل على الجبة بالاضافة إلى أشياء أخرى[١] .

ويعتبر الازار من ملابس البدن الخارجية ، وهو قطعة قماش كانت تلف أو تعقد على وسط الشخص [٢] ورغم أنه كان في البداية من ملابس البدن الداخلية ، الا أن شيوع استخدامه ، وخاصة في الحمامات العامة جعله من ملابس البدن الخارجية[٣] ويمكن ان يكون الازار من الصوف، ولبسه في الحمامات لستر العورة كان مطلوبا ، فقد كان المحتسب يطلب من اصحاب الحمامات ان يوفروا في حماماتهم عدد كافي منها ، فيذكر الشيزري ان من واجبات المحتسب : ان يأمر بلبس المازر، وعلى الحمامي ان يحتفظ بمجموعة من المازر ويؤجرها للناس عند الحاجة[٤] ومن ملابس البدن الخارجي للرجال القباء ، وهو فارسي الاصل[٥] ولما استخلف المستضيء بأمر الله خلع على أرباب الدولة الفا وثلاثمائة قباء[٦] .

وكان الطيلسان من ملابس البدن الخارجي ، أصله فارسي معرب يلبس على الكتف[٧] ، وشكله مربع يجعل فوق العمامة ويغطي أكثر الوجه[٨] ، ولقد كان أكثر الناس لبساً له القضاة والعلماء[٩] ، ورفع الطيلسان علامة عزل القاضي ، فلما عزل القاضي محمد بن جعفر بن احمد أبو الحسن عن القضاء سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) . بتهمة الفساد أمر استاذ الدار برفع طيلسانه[١٠] ، وشارك الخلفاء في لبس الطيلسان ، فكان الخليفة الناصر قد لبس طيلساناً وكان لونه أبيض[١١]

---

١ - الايوبي،المصدر السابق،ص٤٠.

٢ - مصطفى جواد ، " ازياء العرب " مجلة التراث الشعبي ، بغداد ، العدد الثامن ، ١٩٦٤ ، ص٥

٣ - محمد بن احمد المطهر الازدي ، حكاية ابي القاسم البغدادي ، مطبعة ونترهيد ليرج ، ص ٨٥

٤ - نهاية الرتبة ، ص ٧٨ ؛ العبيدي ، الملابس العربية ، ص١٨٧.

٥ - أبو منصور بن أحمد الجواليقي ، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، ، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦١ ، ص٣١٠.

٦ - السيوطي ، تاريخ ، ص٣٥٥.

٧ - الجواليقي ، المصدر السابق ، ص٢٧٥.

٨ - العبيدي ، الملابس العربية ، ص٢٦٩.

٩ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩٧.

١٠ - المصدر نفسه ، والصفحة .

١١ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص٣٩ .

ولكن الغالب على لونه الاسود[١] ، وكان العرف أن يخلع القاضي طيلسانه اذ نقل إلى وظيفة أخرى غير القضاء[٢] .

وأما ملابس البدن للنساء ، فأشهرها الجلباب ، وتلتحف به النساء من الرأس إلى القدمين حين يردن الخروج من منازلهن[٣] ، وما ينطبق على ملابس الرجال ينطبق على ملابس النساء من حيث النوع والقيمة ، فتجد أن نساء الخلفاء والامراء كنّ أكثر اهتمام بملابسهن ، فلما توفيت العباسية إحدى زوجات الخليفة المستضيء بأمر الله سنة (٥٧٩هـ / ١١٨٣م) ، أخرج لها ثوبا كبير الاكمام بلؤلؤ كبار ، وقبقاب عليه لؤلؤ ، ومداس لؤلؤ[٤] .

وكانت الجواري تلبس المناطق[٥] والاقبية حتى أصبحت سمة خاصة بهن[٦] وليس الظراف الزنانير ، الا أن زنانير الرجال كانت أعرض من زنانير النساء ، كما لبسوا السراويل، وكان لا ينبغي للظريف ان يمشي بلا سراويل[٧] .

وفي فصل الشتاء يلبس الناس الفروة للوقاية من البرد ، وتكون مصنوعة من فراء الكبش[٨] .

وأما ملابس القدمين ، فلم يكن لها اهتمام كبير من قبل المؤرخين شأن غيرها من الملابس، ولكن نجد اشارات لها عرضا من خلال أيراد القصص والروايات ، اضافة إلى أنها لباس غير ظاهر[٩] .

---

١ - رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة محمد سليم النعيمي وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، بغداد ، ١٩٩٢ ،ج٧،ص٦٥.

٢ - عبد الرزاق الانباري، "النظام القضائي" بحث منشور ضمن موسوعة حضارة العراق،دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤، ج٦، ص٢١٠.

٣ - دوزي ، معجم الملابس ، ص١٠٣ .

٤ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص١٢٣ .

٥ - المنطقة : كل ما يشهد به الوسط ، ويكون في العادة من الجلد أو القماش ، دوزي ، معجم الملابس ، ص٤٥١ .

٦ - صلاح حسين العبيدي ، "ملابس الندامى في العصر العباسي" مجلة سومر ، مجلد ٢٩ ، الجزء الاول، ١٩٧٣ ، ص٢٢٣ .

٧ - المرجع نفسه ، ص١٢٥ .

٨ - النويري ، المصدر السابق ، ج٢٩ ، ص١١٢

٩ - العبيدي ، الملابس العربية ، ص٣١٣ .

وكانت الجوارب لباساً مشتركاً بين الرجل والمرأة على حد سواء ، ولكن اختلف في نوعية القماش التي صنعت منه ، فبعضهم لبسها من الخز ، والبعض من القز[١] ، وأما الفقراء فالارجح أنهم لبسوها من القماش الرخيص كالصوف أو الكتان[٢] وإذا كانت الجوارب قليلة الاستعمال ، فان الحذاء كان أكثر شيوعا ، لأنه اللباس الذي يقي القدمين من ملامسة الارض[٣]، ومن تلك الاحذية النعال[٤] ، وما يلحق بها يسمى الشراك وهو سير النعل[٥] ، ولبست النساء القبقاب[٦] ، وضرب آخر من ملابس القدم يدعى الخف[٧] ، وقد اتخذ من قبل أكثر فئات المجتمع ابتداء من الخليفة وحتى عامة الشعب[٨] .

وكان الناس يميلون إلى الاعتناء بمظهرهم[٩] ، وخاصة إذا أراد أحدهم الخروج من البيت، لذلك كان يعمد إلى دهن شعره وتسريحه ، ثم النظر في المرآة ليسوي عمامته ، ويلبس ثيابه بعناية ، بحيث يجعل منظرها الخارجي حسنا مقبولا في اعين الناس[١٠] ، وزاد بعضهم على هذه العناية استخدام العطر وكانت لها دكاكين خاصة لبيعها[١١] .

ج- مستوى المعيشة والاسعار

يلاحظ الباحث في مستوى الاسعار خلال هذه الفترة التباين في مستواها زيادة ونقصاناً بين مدة واخرى ، ويعود ذلك إلى عوامل عديدة فالفيضانات الكثيرة والغرق الشديد نتيجة لطغيان مياه الانهار على الاراضي الزراعية المجاورة يلحق الاذى والضرر بالمزروعات ، ويؤدى الى خراب مشاريع الري فيقل الانتاج ، فترتفع الأسعار فجأة ، أضافة إلى الآفات الزراعية التي تلحق الاذى بالمزارع والحقول

---

١ - ابن سيدة ، المصدر السابق ، ج٤ ص٦٨؛ فهد، العامة ، ص١٥٨ .
٢ - المرجع نفسه والصفحة .
٣ - العبيدي ، الملابس العربية ، ص٣١٦ .
٤ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص١٢٤ ؛ النويري ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٦٣ .
٥ - المصدر نفسه والصفحة .
٦ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص١٢٣ .
٧ - ابن سيدة ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١١٤ .
٨ - العبيدي ، الملابس العربية ، ص٣١٩ .
٩ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق٤ ، ص٨٧٥ .
١٠ - فهد ،العامة ، ص١٦٠ .
١١ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٦٤ ؛ الذهبي ، سير ، ج٢٢ ، ص٨٤ .

واما العوامل السياسية فلا شك في انها تؤثر على حركة السوق ووضع الاسعار فيه ، وكان للخطر المغولي الذى اخذ يهدد الخلافة أثره في ارتفاع الاسعار ، كما حدث سنة (٦٣٣هـ[١]/١٢٣٥م) .

وهناك الامراض وانتشار الوباء الذى يؤدى إلى ارتفاعها ايضا كما حدث في سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) ، مما دفع المستنصر بالله إلى معالجة الامر ، فتصدق على المرضى بالسكر بعد ارتفاع اسعاره [٢] .

هذا اضافة إلى الممارسات غير الشرعية للتجار من احتكار للسلع والمواد الغذائية وخزنها، فكان يؤدى إلى خلق ازمات اقتصادية كما حصل في سنة (٥٧٥هـ /١١٧٩ م) ، حينما تحكم استاذ الدار وصاحب المخزن ابن العطار بدولة الخلافة واحتكر الغلات الزراعية والحبوب ومنع بيعها رغم كثرتها في البلاد ، مما ادى إلى زيادة سعرها[٣] وكانت الظروف المناخية غير الطبيعية العامل الاكثر خطرا في زيادة الاسعار نتيجة لما لها من أثر في افناء جزء كبير من الغلات الزراعية، وتكرر هذا في سنوات (٥٩٢هـ [٤]/١١٩٥م) ، وسنة (٦٥٣هـ[٥]/ ١٢٥٥م) ، وسنة (٦٤٦هـ[٦]/١٢٤٨م) . ولكن يجب الاشارة إلى ان الفترة (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م)، فترة حكم الناصر لدين الله امتازت بالرخاء والرخص في الاسعار ، ولو تناولنا معدل سعر مادتين اساسيين هما الحنطة والشعير لوجدنا ان معدل سعر كر[٧] الحنطة كان (١١ديناراً) ، وكر الشعير (٣،٥ ديناراً) ، أما معدل سعر كر الحنطة ما بعد فترة حكم الناصر فقد بلغ نحو (٩٠ديناراً) ، والشعير (٣٧ديناراً) .

ولاعطاء صورة أوضح انظر جدول جمعنا فيه اسعار بعض المواد خلال فترة البحث :

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٠٢٠ .

٢ - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج١٣ ، ص١٦١ ؛ مجهول، الحوادث ، ، ص١٥٤ .

٣ - الايوبي ، المصدر السابق ، ص٣ ؛ ناجية عبدالله ابراهيم ، ريف بغداد ودراسة تاريخه لتنظيماته الادارية واحواله الاقتصادية (٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٧٩-١٢٥٨م) ، مطبعة افاق مرية ، بغداد ، ١٩٨٨، ص٣٦٢ .

٤ - الذهبي ، العبر ، ج٤، ص٢٧٨.

٥ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٠٣ .

٦ - المصدر نفسه ، ص٢٢٦ .

٧ - الكر مكيال معروف لأهل العراق ، أصلة بابلي ، وهو ستين قفيزا وكل قفيز يساوي ثمانية مكاكيك ، والمكوك يساوي صاع ونصف[ويعادل ٢٢٠٠كغم] الخوارزمي ، المصدر السابق، ص١٢؛ فالترهنتس، المكاييل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري،ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية ، ١٩٧٠ ، ص٥٠ .

السنة	المادة	السعر	ملاحظات
٥٧٤هـ[١]/١١٧٨م	كر الحنطة	١٠٠دينار	غلاء
٥٧٤هـ/١١٧٨م	كر الشعير	٥٠دينار	غلاء
٥٩٦هـ[٢]/ ١١٩٩م	كر الحنطة	١٥دينار	رخص
٥٩٦هـ / ١١٩٩م	الشعير	٧ دنانير	رخص
٦٠٥هـ[٣] / ١٢٠٨م	الحنطة	٧دنانير	رخص
٦٠٥هـ / ١٢٠٨م	الشعير	٣دنانير	رخص
٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م	كر الارز	ثمانية قراريط	رخص
٦٠٥هـ / ١٢٠٨م	٢٥رطلا من الخبز	بقيراط	رخص
٦٤٣هـ[٤]/١٢٤٥م	الحنطة	٩٠دينار	غلاء
٦٤٣هـ/١٢٤٥م	الشعير	٤٠ دينار	غلاء
٦٤٥هـ[٥]/ ١٢٤٧م	الحنطة	٨٠دينار	غلاء
٦٤٥/ ١٢٤٧م	الشعير	٣٠دينار	غلاء
٦٤٦هـ[٦] / ١٢٤٨م	الحنطة	١٠٠ دينار	غلاء

١ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٨٥ .

٢ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٨ .

٣ - المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٦٩ .

٤ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٠٢ .

٥ - المصدر نفسه ، ص٢١٨ .

٦ - المصدر نفسه ، ص٢٢٦ .

الفصل الرابع

المرافق والخدمات العامة

ليست المدينة بيوتا متراصة ، وسكانا يتكاتفون ، وسلطة تنظم العلاقات ، ولكنها تستمد استمراريتها الحياتية أيضاً من مجموعة المرافق والخدمات العامة التي فيها، والتى قد تكون من جهة النظر السكانية ، أهم ما فيها وتتوزع هذه المرافق بتنوع الحاجات البشرية . فمنها ما حقق اغراض الحياة الدينية ، ومنها ما تحقق أغراضاً مدنية ؛ وتولت السلطة في المدينة إنشاؤها والاشراف عليها ، وشارك أهل البر والمعروف الذين اسهموا في انشائها ، وجعلها اوقافا لينتفع العامة بها ، وليتحقق الغرض من إنشائها .

أ - توفير المياه لمدينة بغداد

تحكم الماء إلى حد كبير في اختيار موضع المدينة ، وطالما أشاد الجغرافيون المسلمون بالحواضر التي يتوفر فيها الماء العذب ، وعدت عذوبة الماء من المميزات الرئيسة التى تميز مدينة عن أخرى ، فمثلا يصف القزويني بغداد فيقول[١]: إنها أم الدنيا ، وسيدة البلاد ، وجنة الارض ، ومدينة السلام ، وقبة الاسلام ، ومجمع الرافدين، ومعدن الظرائف ، ومنشأ ارباب الغايات . هواؤها ألطف من كل هواء ، وماؤها اعذب من كل ماء ، وتربتها اطيب من كل تربة، ونسيمها ارق من كل نسيم " ، ويؤكد هذا الوصف على اهمية عذوبة الماء حتى يكون صالحا للشرب[٢] .

وقد تنوعت أساليب تغذية المدينة بالماء بتنوع مصادرها : كالانهار، والابار، والامطار، وأقيمت الوسائل الملائمة لكل مصدر بحيث يسهل في النهاية توصيل الماء إلى المدينة [٣] .

١- الأنهار

في العصور العباسية الأولى كانت بغداد تمون بالماء بواسطة قنوات مكشوفة اوقنوات تحت الارض معقودة بالآجر والصاروج ، وكل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض [٤] .

---

١ - القزويني ، المصدر السابق ، ص٣١٣ .

٢ - عبد الستار ، المرجع السابق ، ص٢٦٨

٣ - المرجع نفسه ، ص٢٧٠ .

٤ - الخطيب ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١١٤ .

ورغم ما اصاب الجانب الغربي من الخراب في فترة الدراسة . كما وصفه ابن جبير بقوله " واما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه وكان المعمور أولا . وعمارة الجانب الشرقي محدثة ، ولكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوى على سبع عشرة محلة ، كل محلة منها مدينة مستقلة [١] "، فقد كان يجري فيه مجموعة من الانهار حتى فترة دراستنا .

ويعتبر نهر عيسى من أهم انهار الجانب الغربي لاروائه عددا هائلا من المحلات فكان يخترق أحياء الجانب الغربي السكنية حتى يصب في دجلة اسفل قصر عيسى [٢] .

وكان نهر الصراة من انهار الجانب الغربي ، يأخذ ماؤه فوق المحول ثم يصب في دجلة عند قصر الخلد . ونهر كرخايا المتفرع أصلاً من نهر عيسى ، كان هذا النهر مستقى لاهل الكرخ من ناحية الجنوب ومستقى المدينة المدورة من ناحية الشمال [٣] .

ويرى الدكتور عماد عبد السلام رؤوف[٤] أن هذه الانهار وخاصة في العصور المتأخرة كانت لاجل توصيل مياه الاستعمال اليومي من غسيل وسقى المزروعات ، وربما لتصريف المياه المستعملة أيضاً ، إذ ليس من المتصور أن تبقى هذه الانهار نظيفة وصالحة للشرب وهي مياه تجرى في مجار ضيقة ومكشوفة العوارض تحولت تدريجيا وخاصة في العصور المتأخرة لتمسي شبكة تصريف للمياه القذرة وسقي المزروعات ، وتركت استعمالاتها الحيوية الاخرى وليس من الشك في أن تحول مهمة هذه الانهار على ذلك النحو كان سببا رئيسا في ترك السكن في تلك المحلات البعيدة عن دجلة ومن ثم خرابها .

أما الجانب الشرقي فبعد عمارته في القرنين الخامس والسادس الهجريين تحولت بساتينه وجنائنه إلى احياء سكنية ، واسواق تجارية ، ودروب وتحولت مهمة تلك الانهار من سقي المزروعات إلى تيسير الحياة اليومية لسكان بغداد الشرقية ، فكان نهر موسى يأخذ مياهه من نهر بين الآخذ ماءه من نهر الخالص ويمضي بمياهه حتى مصبها عند قرية كلواذى جنوب بغداد ، ويصل نهر موسى إلى قصر الثريا الذي بناه المعتضد (خارج اسوار بغداد الشرقية) فيدخل

---

١ - الرحلة ، ص١٧٩ .

٢ - الخطيب ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٢ .

٣ - المصدر نفسه والصفحة ؛ عماد عبد السلام رؤوف ،" تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد " ، مجلة المورد ، بغداد ، مج ٨ ، العدد الرابع ، ١٩٧٩ ، ص١٧٠ .

٤ - المرجع نفسه ، ص١٧١ .

القصر ويدور فيه ويخرج منه ليصل منطقة مهمة عرفت بمقسم المياه حيث قصر المعتصم، ومنه يتفرع نهر يمرالى سوق العطش حيث يفنى بعده في دارالوزيرابن الفرات [١] .

وثمة فرعان من فروع نهر موسى لهما اهمية خاصة تزايدت في العصور المتأخرة .، وهما نهر المعلى ويمر بين الدروب والسكك حتى يصل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ، ويصب بعدها في دجلة، ونهر اخر في اسفله مواز له تقريبا يخترق بغداد شمالها إلى جنوبها حيث يدور في قصر التاج على دجلة ثم يصب فيها [٢] . وقد زادت خطورة هذين الفرعين بسبب تزايد كثافة السكان حوليهما ، وتكون الاحياء والمحلات في القسم الجنوبي من الجانب الشرقي ، والتي استقرت عليها بغداد في العصور التالية .

وليس لدينا اية معلومات أو نصوص تدل أن هذه الانهار كانت تجري في قنوات معقودة بالاجر والصاروج ، ومن المحتمل أنها قد استخدمت في العصر العباسي الاول كمورد لمياه الشرب شأنها كغيرها من انهار الجانب الغربي ، عندما كانت الارض قليلة السكان ، ولكن يستبعد بقاؤها كذلك في العصور العباسية المتأخرة وذلك للاسباب نفسها التي ذكرناها حول الانهار في الجانب الغربي ، فالمنطقة المزدحمة حول دار الخلافة وهذه الانهار المكشوفة تجري في هذا الوسط الحافل من الاحياء والدروب والاسواق ، لا يمكن أن تكون مياهها صالحة للشرب ، واغلب الظن أن مهمتها لم تتجاوز كونها مصارف للمياه المستعملة ، ومجارى لصرف الفضلات والأوساخ [٣] .ونتيجة للوضع السيء لمياه الانهار في بغداد ، وعدم امكانية أستخدامها للشرب، ظهرت لدينا انواع مبتكرة وطرق جديدة من اجل توفير المياه لسكان بغداد ونقصد بها نقل المياه من نهر دجلة إلى المحلات بواسطة القرب والروايا والسقايات .

٢- النقل بالقرب والروايا

كان الباعة يقومون بنقل الماء بالقرب والروايا على ظهور الدواب من نهر دجلة [٤] ،ثم يبيعونها في الاسواق والمحلات [٥] ،وغالبا ما كان يشتريها المقتدرون من الأغنياء والتجار وكبار

---

١ - الخطيب ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١١٤ ، رؤوف ،"مشاريع مياه الشرب"، ص١٧١ .

٢ - الخطيب ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٥ .

٣ - رؤوف ،"مشاريع مياه الشرب" ، ص١٧١ .

٤ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ص٥٢٣ .

رجال الدولة . وقد تبارى السقاؤون في كل ما يتصل بنظافة قربهم وحسن عرضها ، بل عمد بعضهم إلى تطييبها بالعطور الزكية كالمسك لتكون احسن مذاقا [١] .

وكانت حرفة السقاية حرفة العوام ، أو حرفة من لا حرفة له ، نظرا لعدم تطلبها خبرة أو رأسمال خاص ، وكان السقاؤون يؤلفون صنفا من الاصناف المهمة في التنظيم الحرفي في بغداد في العصور العباسية ولهم ولي خاص ينتسبون اليه هو سلمان الكوفي [٢] .

وكان لهم على شاطئ دجلة مشارع مخصوصة تسمح لهم فيما يبدو بأخذ الماء نظيفا إلى حد ما غير ملوث وخالي من الشوائب والاقذار وقد اشتهرت في بغداد الغربية منطقة على شاطئ دجلة قرب باب خرسان اسمها مشرعة الروايا [٣] .

وساهم أصحاب القرب والروايا في الشؤون الداخلية بتقديم خدماتهم فعندما شبت النار في دار السلاح (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) ، أجتمع جميع من ببغداد من السقائين بالقرب والروايا ومكثوا يوماً وليلة يطفئون النار [٤] .

٣- السقايات[٥]

وقد اتخذت هذه المنشآت أهمية كبيرة في بغداد. خاصة أن الفقراء من الناس الذين لم يكن ميسراً لهم الاموال اللازمة للحصول على الماء النقي الصالح للشرب من أصحاب الروايا ، فتشدد نفر غير قليل من الفقهاء في التاكيد على أن مياه هذه السقايات هي لهم دون غيرهم من

---

٥ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣١٠ ؛ الصفدي ، نكت ، ص٩٦ ؛ ابن العماد ، المصدر السابق، ج٥ ، ص٩٩ .

١ - رؤوف ،"مشاريع مياه الشرب"، ص١٧٢ .

٢ - جواد ، مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار ، ص٩٢ ؛ رؤوف ، مشاريع مياه الشرب ، ص١٧٣.

٣ - جواد وسوسه ، دليل خارطة بغداد ، ص١٩٣

٤ - سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٢٣ .

٥- السقاية : الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها . ابن منظور ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٦٧ .

الأغنياء [1] ، لذا عمد عدد من الخلفاء والموسرين وأهل الخير إلى انشاء عدد منها في المواضع المهمة من بغداد [2] ، ويمكن تصنيفها إلى نوعين :

أ- المزملات : وهي عبارة عن جرة أوخابية يبرد فيها الماء ، والظاهر أن هذا النوع من السقايات كان متوفرا في معظم اسواق بغداد ومساجدها ومبانيها العامة [3] .

ب - أما النوع الثاني من هذه السقايات يتمثل بمباني واسعة ، تتخذ مسكناً للزهاد [4] ومأوى للمرضى في ظروف خاصة ، فضلا عن استمرارها بتوفير المياه للمقيمين فيها ، وقد اهتمت الدولة من جهة ، والافراد الموسرون من جهة أخرى بوقف هذه السقايات بنوعيها فزودوها بالأواني والكيزان كجزء من شرط وقفها واشهرها :

١- سقاية جامع القصر

أشار اليها ابن الجوزي فقال [5] في حوادث سنة (٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م) ، " في شوال تكاملت عمارة جامع القصر المتصل بدار الخلافة ... وقد كان فخر الدولة [6] عمل فيه سقاية فانتفع الناس بذلك منفعة عظيمة "

وقد استمرت هذه السقاية تؤدى عملها حتى فترة البحث فشاهدها ابن جبير ووصفها قائلاً:[7] جامع الخليفة متصل بداره وهو جامع كبير ، وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة "

٢- سقاية الراضي

يظهر أن هذه السقاية منسوبة إلى الخليفة الراضي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٠ م)، وهي في جامع المنصور في الجانب الغربي من بغداد ، وقد أشير اليها في حوادث غرق بغداد

---

١ - محمد بن ولي القرمشهرى الازميري ، رسالة في شؤون السقايات ووقفها ، نسختي الخاصة المصورة عن المخطوطة في المكتبة القادرية ، بغداد ، رقم ١٤٥١ ، ورقة ٦ .

٢ - الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٣٣ .

٣ - رؤوف ،"مشاريع مياه الشرب" ، ص١٧٧ .

٤ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص ٢٨٩ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٣٣ .

٥ - المنتظم ، ج٩ ، ص٣ .

٦ - هو فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير ، ولي الوزارة للخليفة القائم بأمر الله ثم للخليفة المقتدي . ومات في بغداد سنة ٤٨٣ هـ .ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٢٩٣ ص-٥ .

٧ - الرحلة ، ص١٨٣ .

سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) ، بأنها كانت ملجأ لمرضى البيمارستان العضدى ، فقد اضطر مشرفه إلى أن يبعثهم إلى سقاية الراضي بعد أن طغت مياه الفيضان عليه في تلك السنة [١] .

وهناك اشارة إلى هذه السقاية جاءت في ترجمة الشيخ عبدالله الرومي سنة (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) ، " شيخ زاهد عابد . منقطع في سقاية الراضي بالله بجامع المنصور " [٢] .

٣- سقاية دار الخلافة

تنسب هذه السقاية إلى السيدة بنفشه زوجة الخليفة المستضئ ، وكانت تؤخذ مياهها بطريقة فريدة لم يرد ما يشبهها في تميزها عن السقايات المختلفة ، وقد وصفها ابن الساعي [٣] " وبجوار هذه الدار أربعة دواليب تستقي الماء من دجلة إلى دار الخلافة المعظمة ، كل واحد منها أعلى من الآخر ، فيأخذ الأول من دجلة، والثاني من الأول، والثالث من الثاني، والرابع من الثالث "

٤- سقاية أحمد بن حنبل

أنشأ هذه السقاية الخليفة المستنصر سنة (٦٣٤ هـ[٤] / ١٢٣٦ م) ، لأجل الزوار والواردين إلى هذه التربة من الزهاد والمتعبدين [٥] وكانت هذه الخطوة مرتبطة بسياسة الخلفاء التوفيقية بين المذاهب في بغداد .

٦- سقاية مسجد عشائر

وقد اشار اليها صاحب الحوادث عند حديثه عن غرق المسجد بعد فيضانات سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م) قائلاً [٦] " كان به حجرة ورواق وسقاية "

ب- الطرق والمواصلات

موضوع الخدمات العامة في المدينة الإسلامية يعتبر من المواضيع الجديدة في الدراسات، ويعود السبب في تأخر هذه الدراسات إلى صعوبة الموضوع لانه نادرّ ما تورد المصادر

---

١ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٤٥ ؛ رؤوف ،"مشاريع مياه الشرب"، ص١٧٥ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٣٦ .

٢ - ابن الساعى ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٨٩ .

٣ - ابن الساعى ، نساء الخلفاء ، ص١١٣ ؛ رؤوف ، "مشاريع مياه الشرب" ، ص١٧٦ .

٤ - ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣١٧ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٣٧ .

٥ - مجهول ، الحوادث ، ص ص٩٠ -١ ؛ رؤوف ، "مشاريع مياه الشرب" ، ص١٧٥ ص٦٠ .

٦ - ص٢٣٠ ؛ الرجيم ، المرجع السابق ، ص١٣٩ .

معلومات حولها . ويكون الموضوع أصعب عند الحديث عن الطرق والمواصلات ، والبرية منها بالذات ، فلم نجد أي معلومات الا ما أدرجه ياقوت الحموي [1] حول الطرق البرية التي تربط محلات بغداد بعضها مع بعض اثناء فترة الدراسة .

يبدأ طريق عام من اخر سوق الثلاثاء متجهاً نحو سور دار الخلافة حتى إذا ما وصل إلى جوار باب بدر على سور الحريم اخترق سوق الريحانيين وانعطف من هناك متجها نحو رحبة جامع القصر الكبير ، وشرق الجامع يتشعب إلى طريقين هما :

الاول: يسير نحو الشمال بأتجاه باب ابرز ويتشعب من يمينه قبل أن يصل مقبرة باب إبرز شارع فرعي يؤدى إلى المحلات الواقعة داخل السور بين باب الظفرية [2] وباب الحلبة واهمها قراح القاضي وقراح أبي الشحم [3] ومحلة القبيبات .

أما الثاني: فيتجه إلى الجنوب نحو باب البصلية [4] (أى باب كلواذا الذى يمر منه الطريق إلى كلواذا) فكان هذا الشارع يترك دار الخلافة والمحلات المجاورة لها إلى يمينه حتى إذا ما وصل إلى المأمونية تشعب من يساره طريق يتجه إلى باب الحلبة ، ثم يسير نحو الجنوب تاركا مشهد الشيخ عبد القادر إلى يساره ومحلة الريان [5] إلى يمينه بعد أن يخترق محلة باب الازج يمر من باب الازج ، ثم يخرج من باب البصلية متجها نحو قرية كلواذا الواقعة في الجنوب الغربي .

وأما الطرق في الجانب الغربي من بغداد فلم نجد لها أية اشارة في المصادر المتوفرة .

---

١ - اعتمدنا في هذا الوصف لشوارع بغداد (الجانب الشرقي) على ما اورده ياقوت الحموي في معجم البلدان ج٤ ،ص ص١٥٥ -٦ ؛ جواد وسوسه ، دليل خارطة بغداد ،ص ص١٧٥-٧ . ينظر أيضاً خريطة بغداد (ملحق رقم (١)) في هذه الرسالة .

٢ - باب الظفرية محلة بشرقي بغداد ، والى جانبها محلة أخرى يقال لها قراح ظفر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦١ ينظر أيضاً خريطة بغداد الملحقة بهذه الرسالة

٣ - وفي بغداد عدة محال يقال لكل واحدة منها قراح . الا انها تضاف إلى رجل تعرف باسمه وهى متقاربة، ومنها قراح .ابن رزيق وقراح أبي الشحم . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣١٥ .

٤ - باب البصلية : محلة في طرف بغداد الجنوبي من الجانب الشرقي متصلة بباب كلواذا . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٤٢ .

٥ - الريان : محلة مشهور بالجانب الشرقي من بغداد بين محلات : باب الازج وباب الحلبة والمأمونيه . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١١١ .

الجسور والقناطر

حرصت الدولة على توفير عدد من الجسور في بغداد لتسهيل حركة المرور والنقل بين الجانبين الشرقي والغربي ، ولم تنتظم هذه في عددها فمرة تزيد ومرة تنقص تبعا للظروف العامة للدولة ، حتى بلغت ثلاثة جسور عامة في بعض الفترات [١] .

كان على نهر دجلة في أواخر العصر البويهي جسران : أحدهما عند باب الطاق في الرصافة ، والآخر معقودا بين مشرعة العطارين بالجانب الغربي وسوق الثلاثاء بالجانب الشرقي، ثم حوّل جسر باب الطاق هذا سنة (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) ، فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي ومشرعة الحطابين من الجانب الشرقي ، وقد عطل هذا الجسر في سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ، بسبب الحروب التي نشبت بين العباسيين والبساسيري [٢] واقتصر على جسر بمشرعة القطانين عند سوق الثلاثاء [٣] . وكان في زمن المسترشد (٥١٢ - ٥٢٩هـ/ ١١١٨- ١١٣٥ م) ، ثم اعيد نقله إلى باب القرية سنة (٥٣٠ هـ[٤] / ١١٣٦ م).

وفي خلافة المستضئ (٥٦٦ - ٥٧٥ هـ / ١١٧١ - ١١٧٩ م) ، أنشأت زوجته السيدة بنفشة جسراً جديداً [٥] ، جعلته تحت الرقة مكان الجسر العتيق ، وحمل الجسر العتيق إلى نهر عيسى[٦]. وكتبت أسمها على حديدة علقت بسلسلة فيه[٧] .

واستمر وجود جسرين في بغداد حتى سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٠ م) ، والظاهر أنه في هذه السنة قلعت مياه دجلة الجسر العتيق الذي نقل إلى القرية فقد قال ابن جبير في حال الجسر

---

١ - الرحيم ، المرجع السابق ، ص٢٧١ .

٢ - هو أبو الحارث ارسلان بن عبدالله البساسيرى ، كان في بداية حياته مولى لابي على بن أحمد الفارسي النحوي ، ثم انتقلت به الاحوال حتى ملكه الأمير البويهي بها الدولة ، ومن ثم أخذ في الترقي في سلك الجندية حتى صار من كبار قواد الاتراك بمدينة بغداد . ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص٦٥٠ .

٣ - جواد وسوسه ، دليل خارطة بغداد ، ص١٩١

٤ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢١ ؛ جواد وسوسه ، دليل خارطة بغداد ، ص١٩١

٥ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٥٠ ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٨٩ ؛ ونساء الخلفاء ، ص١١٢ ؛ الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٧٩ .

٦ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٥٠ ؛ مجهول ، مناقب ، ص٢٠ ؛ صالح أحمد العلي ، " المواصلات والجسور في بغداد " مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الرابع سنة ١٩٧٩ ، ص٣٣٣ .

٧ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٥٠ ؛ ناجي معروف ، "زوارق بغداد" ، ص٨ .

وزواله: " فأكبرها القرية ، وهي التي نزلنا فيها بربض يعرف بالمربعة على شط دجلة بقرب الجسر ، فحملته دجلة بمدها السيلي ، فعاد الناس يعبرونها بالزوارق " [١] .

فبقي في بغداد بعد زوال هذا الجسر جسر واحد هو جسر السيدة بنفشة ، وقد استمر الحال على ذلك حتى خلافة الظاهر [٢] .

وقد ذهبت الدكتورة ناجية عبدالله [٣] من أنه لم يكن في بغداد سوى جسر واحد حتى خلافة الظاهر " فحتى تولى الظاهر بأمر الله الخلافة سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) ، ولمائتي سنة خلت ، كان فيها جسرٌ واحدٌ على دجلة يربط جانبيها الشرقي والغربي ، وعندما تولى الظاهر عقد لها جسرا ثانيا " . أن هذا الكلام لا يصمد امام الروايات التاريخية السابقة ونضيف ما قاله ابن جبير في وصف حال جسور بغداد بعد غرق الجسر العتيق " والعادة أن يكون لها جسران . أحداهما مما يقرب دور الخليفة والآخر فوقه لكثرة الناس " [٤] .

كما أشرنا أنه في سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) ، أخذ المد السيلي الجسر العتيق المنصوب عند باب القرية فبقيت بغداد على هذا الحال إلى أن تولى الخلافة الظاهر (٦٢٢ - ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٥ - ١٢٢٦ م) ، فقام بإنشاء جسر جديد [٥] عند سوق السلطان بالجانب الشرقي [٦] وقد خلد الشعراء هذه المناسبة بقصائد شعرية بأعتبارها من المناسبات الخيرية العامة ، فقال الشاعر موفق الدين بن أبي جديدة [٧] كاتب ديوان الانشاء :

امــام يحـــرم ذل السؤال ... ويعمـــل بالكرم الواجـب

اقام طريقاً علـــى دجلـة ... لذى القصـد منه وللذاهـب

فعارض جسرا على جانـب ... بجسر جديد على جانـــب

---

١ - الرحلة ، ص١٧٩ .

٢ - جواد وسوسه ، دليل خارطة بغداد ، ص١٩٢ .

٣ - ريف بغداد ، ص٣٣٢.

٤ - الرحلة ، ص١٨٠ .

٥ - الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٥ ؛ ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٩ .

٦ - جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١٩٢ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص٢٧٤ .

٧ - هو أبو المعالي القاسم بن هبة الله بن محمد بن أبي جديدة ، كان غزير العلم متقنا العربية والفقه والاصول والحكمة ، سافر إلى الشام ثم عاد ودرس بالنظامية ، وجعله ابن العلقمي كاتب الانشاء بالديوان إلى أن توفي سنة ٦٥٦ هـ . مجهول، الحوادث ، ص٣٣٦ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٦٤١ .

كسطرين في كاغد ابيــض اجادهما قلم الكاتـــــــب
كمخنقتي عنبــر ضمـتـنــا بياض الترائب من كاعـب
كصفين من ابـــــل اصبحا وقوفا على جدد لا حـــب [١] .

وثمة ظاهرة أخرى تتعلق بالجسور وذات صلة بها ، وبرزت فيها جهود مشـتركة للدولـة والافراد وهي بناء القناطر [٢] ، ولم ترد لدينا ذكـر عـن إنشـائها سوى إشـارتين : مـا ذكـره ابـن الساعي من أن السيدة بنفشة قد انشأت قنطرة على نهر عيسى إذ قال :" وبنـت قنطـرة علـى نهـر عيسى " [٣] وانشأ الخليفة المستنصر قنطرة حربى على نهر دجيل سنة (٦٢٩ هـ [٤] /١٣٣١م).

بالاضافة إلى استخدام الجسور والقناطر استخدم أهل بغداد الزوارق للتنقل بين شـطري بغداد عبر دجلة وقد أشار إلى ذلـك ابـن جبير " والـزوارق فيهـا لا تحصـى كـثرة ، فالنـاس ليـلا ونهاراً من تمادى العبور فيها نزهة متصلة " [٥] .

ولعل السبب في زيادة الاعتماد على الزوارق في هذه الفترة ناجم عن وجود جسر واحـد ، وهذا الجسر لا يكفي لإستيعاب حركة التنقل بيـن شـطرى المدينـة ، فـأدى ذلـك إلـى أن اصبحـت السفن والزوارق مظهرا من المظـاهر الحضاريـة ببغـداد ، لان النـاس كـانوا يستعملونها للعبـور ونقل الامتعة بين الجانبين ، بالاضافة إلى الجسور من جهة ، للنزهة ليلا ونهارا من جهة أخرى، هذا إلى كونها صناعة متقنة كانت تنتجها بغداد [٦] .

ج _ الجوامع والمساجد

كان لأحاديث رسول الله (ص) المتصلة بالمساجد التي تقام فيها الصلوات الجامعة . والتـي تخلص إلى عدم إقامة الصلوات الجامعة الا في " مصر جامع أو مدينة عظيمة " . أثر كبير على عدم أقامة أكثر من مسجد أو جامع في المدينة الواحدة ، تقام فيه الصلوات الجامعة ، ويسمح فقط باقامة المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس .

---

١ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٩.

٢ - القناطر عبارة عن جسور صغيرة تشيد بالآجر فوق الانهر . ناجي معروف ، "زواق بغداد" ، ص٩ .

٣ - نساء الخلفاء ، ص١١٢ .

٤ - ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ،ص ص١٨٣-٤ .

٥ - الرحلة ، ص١٨٠ ؛ ناجي معروف ، "زوارق بغداد" ، ص٨ .

٦ - المرجع نفسه ، ص ٩ .

ولكن مع امتداد عمران المدينة الإسلامية ، وكثافة سكانها بمرور الزمن ، باتت الحاجة ملحة إلى عدد من المساجد الجامعة ، واستناداً إلى فتوى الفقهاء بجواز تعدد الخطبة للحاجة ، وصحة صلاة الجمعة بعدد من المصلين يصل إلى أربعين ، بدأت ظاهرة تعدد المساجد الجامعة بالمدينة الإسلامية بالانتشار [١] .

كان في بغداد في هذه الفترة أحد عشر جامعاً تقام فيها الصلاة الجامعة ،منها ثلاثة في الشرقية وهي أشهرها، والباقي في الغربية [٢] :

١- جامع المنصور

ينسب في تأسيسة إلى الخليفة المنصور (١٣٦ _ ١٥٨ هـ / ٧٥٤ _ ٧٧٥م) ، كما يبدو من تسميتة ، ويقع بالجانب الغربي من بغداد بجوار قصره المعروف بقصر باب الذهب [٣] .

وفي غرق بغداد سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) ، نقل المرضى في البيمارستان العضدي اليسقاية الراضي في جامع المنصور ، حيث سكنوا فيها بعد أن طغت مياه دجلة على البيمارستان المذكور [٤] .

وقد بقي هذا الجامع قائماً حتى غرق سنة (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥م) ، بفيضان دجلة تلك السنة، وسقطت بجواره القبة الخضراء في قصر دار الذهب [٥] .

٢- جامع الرصافة

شيده الخليفة المهدي سنة (١٤٣ هـ / ٧٦٠ م) [٦] ، ويقع في الجانب الشرقي من بغداد وقد زاره ابن جبير ووصفه قائلاً [٧] " وهو على الجانب الشرقي المذكور وبينه وبين جامع السلطان نحو ميل " .

---

١ - تقي الدين أبو بكر بن محمد الحصني ، كفاية الاخيار في حل غاية الاختصار ، دار الفكر ، عمان ، درت ، ج١ ، ص١٢٠ .

٢ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٨٣ .

٣ - الخطيب ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ جواد وسوسه ، دليل خارطة بغداد ، ص٥٧ .

٤ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٤٩ .

٥ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٠٣ ؛ جواد وسوسه ، "مدينة المنصور وجامعها " ، مجلة سومر ، مج٢٢ ، الجزء الاول ، ١٩٦٦ ، ص١٢.

٣- جامع السلطان

يقع في محلة المخرم [١] وأنشأه السلطان السلجوقي ملك شاه في سنة (٤٨٥ هـ[٢] / ١٠٩٢ م)، قبل وفاته بتلك السنة وتمت عمارته على يد بهروز الخادم في سنة (٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م) .

٤- جامع القصر

أنشــاً هذا الجامع الخليفة المكتفي بالله بداية حكمة سنه (٢٨٩_٢٩٥[٣]هـ/٩٠٤ _ ٩٠٨م)، ثم تولاه بالاصلاح والتوسيع الخلفاء من بعده لاتصاله بدار الخلافة العباسية من جهـة ، ووقوعـه في قلب بغداد من جهة أخرى [٤] .

ولعل حالة الجامع الجيدة وجودة سقاياته قد أكدها ابن جبير بعد ذلك في وصفه لـه " جـامع الخليفة متصل بداره ، وهو جامع كبير ، وفيـه سـقايات عظيمـة ومرافـق كثـيرة كاملـة ، مرافـق الوضوء والطهور " [٥] .

٥ - جامع ابن المطلب

بجوار قصر عيسى [٦] كان يقوم جامع فخـر الدولـة بـن المطلـب [٧] ، ويقـع علـى شـاطئ دجلـة. وكان الخليفة المستضئ قد اذن في سنة (٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، باقامة الجمعة فيه بعـد أن اسـتفتى الفقهاء ، فأجاز بعضهم ذلك .

---

٦ - الخطيب ، المصدر السابق ج١ ، ص١١٨ ؛ مجهول ، مناقب ، ح٢١ .

٧ - الرحلة ، ص١٨٣ .

١ - المخرم محلة ببغداد بين الصافة ونهر المعلى . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٧١ .

٢ - الخطيب ، المصدر السابق ج١، ص١٠٨ ؛ جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١٠٧ .

٣ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٣ ؛ جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١٢٤ .

٤ - الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٣٤ .

٥ - الرحلة ، ص١٨٣ .

٦ - قصر عيسى محلة كبيرة بالجانب الغربي ، فيها القصر المنسوب إلى عيسى بن عبـد اللـه بـن العبـاس ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٧١ .

٧ - هو أبو الظفر الحسن بن هبة الله بن المطلـب ، توفي سنه ٥٧٨هـ . ابـن الجوزي المنتظـم ، ج١٠ ، ص٢٦٣ .

غير أنه في سنة (٥٧٣ هـ / ١١٧٧م) ، منع أقامة الجمعة فية [١] ، فلما ولي الخليفة الناصر سئل في ذلك ، فاجاب ، فصلّى فيه في أواخر ذي الحجة منه (٥٧٥ هـ [٢]/ ١١٧٩م) .

٦- جامع العقبة

وفي العقبة [٣] انشا عمر بن على بن أحمد بن بهليقا الطحان(ت ٥٦٠ هـ[٤]/ ١١٦٤م) ، مسجداً أورد عن بنائه ابن الجوزي معلومات واسعة حيث قال : [٥] " أن عمر بن بهليقا عمرّ جامع العقبة بالجانب الغربي ، وكان مسجداً لطيفاً ، فاشترى ما حوله و أوسعه وسمت همته حتى استأذن أن يجعله جامعاً فاذن له . "

ويذكر أنه أقيمت فيه أول صلاة جمعة في شعبان سنة (٥٣٨ هـ[٦] / ١١٤٣ م) ، ويدل هذا على أن الجامع أنشئ قبل هذا التاريخ ، غير أن المصادر لم تذكر سنة بنائه .

وترد في المصادر أسماء عدد آخر من الجوامع التي أقيمت فيها صلاة الجمعة ، ولكن لم يتوفر لدينا معلومات حولها ومنها : جامع بدار القز [٧] أنشئ في سنة (٥٣٠ هـ / ١١٥١ م)، وجامع العتابيين اذن في صلاة الجمعة فيه المستنجد بالله في شوال منه ٥٥٦ هـ[٨] / ١١٦٠ م) ومسجد التوثة [٩] أذن في صلاة الجمعة فيه المستضيء بأمر الله في رمضان سنة (٥٦٩ هـ [١٠]

---

١ - مجهول ، مناقب ، ص٢٣ .

٢ - المصدر نفسه ، ص٢٣ .

٣ - العقبة : تقع في جانب الجنوبي وراء نهر عيسى ، وانها قريبة من مصبه . الخطيب ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٨٣ .

٤ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢١٢ ؛ مجهول ، مناقب ، ص٢٣ ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٩٥ .

٥ - المنتظم ، ج١٠ ، ص٢١٢ ؛ صالح أحمد العلي ، بغداد مدينة السلام (الجانب الغربي) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٩٦ .

٦ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص١٠٨ ؛ مجهول ، مناقب ، ص٢٣ ، العلي ، بغداد ، ص٩٦ .

٧ - دار القز : محلة كبيرة من محال بغداد في الجانب الغربي . العلي ، بغداد ، ص١٦١

٨ - مجهول ، مناقب ، ص٢٣ .

٩ - المصدر نفسه والصفحة .

١٠ - التوثة : محلة في غربي بغداد متصلة بالشونيزية مقابلة لقنطرة الشوك ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٢ ، ص٥٦ .

/ ١١٧٣م)، ومسجد دار الرقيق أذن فيه لصلاة الجمعة في ذي القعدة سنة (٥٧٢ هـ [١]/ ١١٧٦م) .

أما بالنسبة للمساجد التي كانت مخصصة لأداء الصلوات الخمس فقد وصفها ابن جبير قائلا: [٢] واما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلاً عن الاحصاء ولكن ورد ذكر عدد منها ولعل السبب في ذكرها أنها كانت من عمل الخلفاء والامراء والاعيان ومنها :

١- مسجد السيدة بنفشة

أوعزت السيدة بنفشة زرجة المستضئ بأمر الله بأنشاء مسجد كبير بسوق الخبازين من سوق الثلاثاء عند عقد الحديد ببغداد،" فعمر عمارة فائقةوجرى افتتاحه سنة (٥٧٣هـ[٣]/١١٧٧م) .

٢- مسجد السيدة زمردخاتون

أمرت بتشييده السيدة زمردخاتون والدة الناصر، وكان يعرف بمسجد الحظائر نسبة إلى محلة الخطائر القديمة المجاورة له ، وهي المحلة التي كانت تقع فيها المدرسة النظامية ،ولم نجد في المصادر سنة بناء هذا المسجد الا اننا نعلم أن هذه السيدة التي شيدته قد توفيت سنة (٥٩٩هـ[٤] / ١٢٠٢ م) .

٣- مسجد قمرية

يقع هذا المسجد بالجانب الغربي على شاطيء دجلة مقابل لرباط البسطامي [٥].

وتم افتتاحة في رمضان سنة (٦٢٦هـ[٦] / ١٢٢٨ م) ، ونقل الية الفرش والالات وقناديل الذهب والفضة والشموع [٧] ، والظاهر أن الخليفة المستنصر اراد ببنائة أن يكون داراً

---

١ - مجهول ، مناقب ، ص٢٣ .

٢ - الرحلة ، ص١٨٣ .

٣ - الرحلة ، ص١٨٣ .

٤ - ناجية عبدالله ابراهيم، "الجهود العلمية للمراة في القرنين الخامس والسادس الهجريين"، بحث غير منشور، ص١٧٦.

٥ - ينسب هذا الرباط لإبي الحسن علي البسطامي(ت ٤٩٣)،ويقع على شاطىءدجلة في الجانب الغربي.ابن الجوزي،المنتظم،جـ٩ ،ص١١٠٦

٦ - مجهول ، الحوادث، ص١ .

للعلم والحديث فضلا عن دوره في العبادة حيث رتب فية المحدثين والطلاب لتعلم القرآن والحديث (١) . وبلغت تكاليف إنشائه أكثر من ثمانية عشر الف دينار (٢) .

د- البيمارستانات

البيمارستان أو المارستان لفظتان اطلقتا على المستشفيات بمفهومها العصري ، وهي إحدى المؤسسات الخيرية العامة التي شيدها الخلفاء والملوك والسلاطين والامراء وغيرهم من الموسرين ، صدقة وحسبة وخدمة للانسانية وتخليدا لذكرهم (٣) . ومن الملاحظ خلال فترة الدراسة قلة هذه المؤسسات الصحية في بغداد فلم نجد سوى ثلاث منها ، ولعل ذلك يعود إلى اعتبار تأسيسها من المسائل الدنيوية التى لم تكن للدولة فيها مسؤولية دينية مما جعل وجودها يعتمد بصورة رئيسة على الرغبة الشخصية لاولي الامر أو غيرهم من سائر الافراد . (٤)

١- البيمارستان العضدي

ينسب هذا البيمارستان إلى عضد الدولة البويهي، وتم انشاؤه في سنة (٣٧١هـ(٥)/٩٨١م) ، ويقع في الجانب الغربي من بغداد وقد أشار الأربلي إلى جملة أعمال عضد الدولة قائلاً :(٦) "ومن اثاره البيمارستان العضدي بالجانب الغربي من بغداد في خراب دار حمدان" .

وقد وصف الرحالة التطيلي البيمارستان قائلاً (٧) " يقوم المارستان العضدي على الجانب الغربي من مدينة بغداد بين دجلة ونهر آخر يأتي من الفرات ، وهو مجموعة من البنايات الواسعة يأوى اليه المعوزون من المرضى رغبة في الشفاء ، ولهذا المارستان قوامون من

---

٧ - المصدر نفسه والصفحة .

١ - المصدر نفسه والصفحة . .

٢ - البصري، المصدر السابق، هخ، ورقه ١٤٦ب.

٣ - أحمد عيسى بك ، تاريخ البيمارستان في الاسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٤ .

٤ - الرحيم ، المرجع السابق ، ص٢٩٥ ص-٦ .

٥ - ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص١٦ ؛ ابن العبري ، المصدر السابق ، ص١٧٢ . .

٦ - خلاصة ، ص٢٦٠ .

٧ - الرحلة ، ص١٣٤ .

الاطباء يبلغ عددهم الستين طبيباً يعالجون المرضى ويطبخون الادوية ، والخليفة يجهزهم بما يحتاجون اليه من المال " .

وقد استمر هذا البيمارستان يؤدي وظيفته ، ومحتفظاً بمكانته الطبية طيلة فترة الدراسة (٥٧٥ - ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ -١٢٥٨ م) ، وزاره ابن جبير سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) ، اثناء زيارته لبغداد وقدم له وصفاً جيداً قائلاً:[١] " وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان ، و هي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة، و تتفقده الاطباء "

وكان المرضى الذين بحاجة إلى الاقامة بالبيمارستان يوزعون على القاعات حسب امراضهم ، ولكل قسم من تلك القاعات طبيب أو أكثر حسب الحاجة وكثرة المرضى [٢] .

وقد وضع للبيمارستان برنامجاً زمنياً حيث يقوم الاطباء بالاشراف على المرضى وتفقد احوالهم ، وكان الاشراف في هذه الفترة يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع [٣] .

وكان هناك قسم خاص بالمجانين ، وقد أشار اليه التطيلي ، ويقوم الاطباء بتفقدهم كل شهر مرة فيسمحون بالخروج لمن عاد إلى صوابه [٤] . ونجد أشارة أخرى إلى هذا القسم عندما نقل عبد الله بن اسماعيل الواعظ بعد أن أحضر إلى دار الوزارة ، وضرب مائة عصاً، وقطع لسانه ، حمل بعدها إلى البيمارستان العضدي، وحبس في حجرة المجانين [٥]؛ كما وضع فيها عبيد الله بن علي بن نصر المعروف بابن المارستانية ، بعد أن ولي أوقاف البيمارستان العضدي، ولكنه اساء السيرة ، وبقي فيه مدة ثم اطلق سراحه فأخذ يطبب الناس، ويدور على المرضى في منازلهم حتى توفي سنة (٥٩٩ هـ [٦] / ١٢٠٢ م) .

ويتضح أن هذا القسم لم يكن مجرد مكان لخدمة المرضى ، بل استغل في بعض الاحيان لمعاقبة من يحاول المساس بهيبة الدولة أو التعرض لها بسوء حتى لو مجرد كلام في مجلس وعظ ، أو من حاول استغلال منصبه لتحقيق اغراض شخصية .

---

١ - الرحلة ، ص١٨٠ .
٢ - أحمد عيسى ، المرجع السابق ، ص٣٢ .
٣ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .
٤ - رحلة بنيامين ، ص١٣٥ .
٥ - مجهول ، الحوادث ، ص١٤ .
٦ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٧ .

ومن الاقسام الخدمية التي كان يحويها البيمارستان قسم خاص يقوم بطبخ الادوية وتحضيرها تحت اشراف الاطباء [١] ، وقد عنى الخليفة الناصر بهذا البيمارستان فبعد وفاة والدته السيدة زمرد خاتون سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م) أمر أن يحمل ما في خزائنها من الاشربة والمعاجين والعقاقير إلى البيمارستان العضدي " وكان يساوى ألوفاً " [٢] .

وكان فيه اشخاص قائمون على خدمة المرضى ، فعند ترجمته لعثمان الحكيم [٣] يقول ابن النجار [٤] :" أنه كان خادما للمرضى في المارستان العضدي وكان يتبع له مقبرة خاصة به يدفن فيها من مات فيه ، وخاصة أولئك المرضى الذين يأتونه من خارج بغداد وليس لهم أهل فيها ، فلما توفي عبد الملك بن أبي القاسم المؤذن ، المعروف بالقشوري(٦٠٠هـ / ١٢٠٣ م) ، دفن بمقبرة البيمارستان العضدي [٥] .

وقد تمتعت البيمارستانات بالاوقاف الغزيرة ، وأسهمت تلك الأوقاف في تلبية حاجات المرضى الراقدين فيها من الغذاء والدواءفضلا عن تغطية نفقات العاملين فيها ، فنجحت بذلك في تحقيق أهدافها العامة .

ولأهمية هذه الأوقاف فقد أسندت مهمة النظر فيها مضافة إلى الاشراف على البيمارستان [٦] ، وممن تولي نظارة أوقاف البيمارستان العضدي الشيخ عبد السلام الجيلاني ، فقد عين في هذه المهمة سنة (٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م)، عوضا عن تاج الدين أبو سعيد حمدون [٧] ، وتولاها عبيد الله بن على بن نصرة المعروف بابن المارستانية (ت ٥٩٩ هـ [٨] / ١٢٠٢ م) ، ورتب

---

١ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .

٢ - سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥١٤ ؛ أبو شامة ، الذيل ، ص٣٣ .

٣ - هو عثمان بن الحسين بن محمد الحكيم توفي سنة ٥٩٦ هـ . ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

٤ - المصدر نفسه والصفحة .

٥ - المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢٦

٦ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٣ ، ورقة ١١١ ب ؛ ابن الساعى ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٨١ .

٧ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٣ ، ورقة ٢٧ ؛ ابن الساعى ، الجامع المختصر . ج٩ ، ص٨١ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ،

٨ - ابن النجار ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٧ .

عبد المنعم الاسكندراني شيخ رباط العميد [١] سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) ، ناظرا للبيمارستان العضدي [٢] .

ونظراً لهذه الرعاية من جانب الدولة والافراد ، فقد استمر في تقديم خدماته للناس ، ولكن كانت نهايته عند دخول هولاكو بغداد سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) ، حيث اتخذ بعض قواده محلة البيمارستان قاعدة لهجومه ، ولا ريب أن هذا الهجوم كان له اثر في خرابه، وقد أشار ابن بطوطة إلى أثار البيمارستان قائلاً [٣] : " وهو قصر خرب كبير بقيت منه الآثار " .

٢- البيمارستان التتشي

أسس هذا البيمارستان خمارتكين الخادم (ت ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) ، بباب الازج ، واستمر هذا البيمارستان في تأدية مهمته الطبية حتى هذه الفترة فقد شاهده ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، ووصفه بقوله [٤] : " وبيمارستان بباب الأزج يقال له التتشي منسوب إلى خادم تتش " ابن ألب ارسلان ، وجميع ما ذكرته في بغداد موجود معمور الآن ، جاء على احسن نظام عليه الوكلاء ، يجبون امواله ويصرفونها في وجودها " [٥] .

ويؤكد ما ذكره ياقوت من استمرارية البيمارستان التتشي ما رواه ابن الدّبيثي عند ترجمته لمحمد بن أحمد الصوفي " توفي يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الآ خر سنة سبع وستماية بالمارستان التتشي " [٦] .

٣ -إيوان الطب في المستنصرية

أنشيء هذا البيمارستان ضمن حرم المدرسة المستنصرية في سنة (٦٣٣هـ[٧] / ١٢٣٥م) ، بعد افتتاح المدرسة بسنتين ، وقد أمر الخليفة المستنصر بأن يعمر في صدر حائط

١- يقع هذا الرباط بالجانب الغربي من بغداد ، ولم نتبين من هو العميد الذي نسب اليه ابن الديثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٢ ، ورقة ١٨٦ .

٢ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٤٥ .

٣ - الرحيم، المرجع السابق، ص ٣٠٢ .

٤ - الرحلة ، ج١ ، ص٢٤٣ .

٥ - معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٤٦ .

٦ - ذيل تاريخ بغداد، حـ١، ص١٤٦.

٧- ابن الكازروني ،مختصر ، ص٢٦٠ ؛ الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٧؛

الايوان ساعات تعمل الليل والنهار يستضاء بها في جميع أوقات الصلوات [١] ، وشرط أن يكون به جماعة من المشتغلين بالطب ، يرأسهم شيخ يرجعون اليه ويداوي الفقراء ، وجعل للجميع ممن يعملون فيه الجرايات والرواتب حتى الطبيخ والصابون كما شرط الواقف أن يوفر مجاناً كل مايحتاجه المرضى من الأدوية والأطعمة.

من هذا نرى أن الايوان بالاضافة إلى مهمته التعليمية كان يقدم خدمات المعالجة للمقيمين بالمدرسة المستنصرية من مدرسين وطلاب وقومة وخدم واقتصار مهمةالمعالجة على المقيمين بالمستنصرية لا يقلل من شأنه إذا علمنا أن عدد المنتسبين لهذه المدرسة يقرب من خمسمائة شخص [٢] .

هـ- الحمامات

الحاجة إلى الحمامات في المدينة الإسلامية مرتبطة بدعوة الاسلام للنظافة والتطهير ، وبعدم قدرة العامة جميعاً على تضمين منازلهم حمامات خاصة، وبرغبة القادرين على إنشاء هذه الحمامات في استثمار اموالهم في إنشائها لما تدره من ريع وخير لشدة الطلب عليها . لذلك ظهر الحمام مبكرا بين خطط المدينة الإسلامية .

وتقسم الحمامات من حيث الاستعمال إلى نوعين :

١- **الحمامات الخاصة** : وهي التي يمتلكها الوزراء والامراء والقادة والتجار والاشراف في دورهم [٣]، وتحتوي هذه الحمامات على وسائل الراحة علاوة على حسن تنظيمها ، مما دفع الشعراء إلى وصفها في شعرهم . فقد دخل الشاعر ابن التعاويذي حماماً بدار عز الدين أبي منصور ابن رئيس الرؤوساء فقال في ذلك الحمام [٤].

حمام دارك جنة لنزيله — ما شئت فيه من النعيم ميسر
فبجوده تتدفق الأمواه في — أرجائه وبباسه يستشعر

---

٧ - المصادر نفسها والصفحات.

١ - ابن الكازروني ، مختصر ، ص٢٦٠؛ مجهول ، الحوادث، ص٨٢.

٢ - الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٥٩.

٣ - الصابيء ، المصدر السابق، ص٢١ ؛ ابن الطقطقى ، المصدر السابق، ص٣٢٣.

٤ - ديوانه ، ص ١٢٩.

ولم تكن متعة الحمام وحدها هي التي جعلته يظهر في القصور والدور الخاصة ، ولكنه أيضاً الرغبة في الانفصال الأجتماعي عن الامكنة التي يرتادها العامة (١).

وغالبا ما شملت هدية الناصر من الدور إلى حاشيته وخاصته على حمامات خاصة بها، فلما بني الخليفة الناصر داراً للشيخ أبو حفص عمر السهروردي أنشأ إلى جوارها حماماً(٢).

٢- **الحمامات العامة** : فقد كانت منتشرة في بغداد شأنها شأن جميع مدن العالم الاسلامي ، وقد روي عن بغداد انها كانت كثيرة الحمامات العامة فيما ذكرت بعض هذه الروايات أرقاماً كبيرة بحيث أنها بلغت الآلاف حتى منتصف القرن الرابع الهجري(٣)، تناقص عددها تدريجياً حتى وصلت في رواية إلى مائة وسبعين حماما سنة (٤٢٠هـ(٤)/ ١٠٢٩م).

وفي فترة البحث زار ابن جبير بغداد ووصف حماماتها قائلاً (٥)": فأما الجانب الغربي فقد عمه الخراب ، واستولى عليه ، وكان المعمور أولاً ، وعمارة الجانب الشرقي محدثة لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة محلة كل محلة مدينة مستقلة و في كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثمانية "،ثم يحدد عددها بنحو الفي حمام "وذكر لنا أشياخ البلد انها كانت بين الشرقية والغربية نحو الالفي حمام"(٦).

وكانت الحمامات العامة على نوعين : حمامات للرجال وأخرى للنساء، وما ذهب اليه هبور (C.Havart) من أن النساء كن يغسلن في نفس حمامات الرجال في أيام معينة ، "وأنه في الايام التي يخصص فيها الحمام للنساء تعلق قطعة من القماش على الباب الخارجي"(٧) أن هذا – كما يقول الدكتور بدري – لا يتفق مع الأخبار الواردة فقد جاء في سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، على

---

١ – شاكر مصطفى ، المرجع السابق، ج٢، ص٦٦١.

٢ – مجهول ، الحوادث ، ص٧٤.

٣ – أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه الهذاني، بغداد مدينة السلام ، تحقيق صالح أحمد العلي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، باريس ، ١٩٧٧، ص٩١.

٤ – مجهول ، مناقب، ص٢٤؛ الرحيم ، المرجع السابق، ص٣٠٧.

٥ – الرحلة ، ص١٧٩.

٦ – المصدر نفسه ، ص١٨٣.

٧ – دائرة المعارف الإسلامية ، مادة : حمام .

أثر دخول الجيش السلجوقي بغداد – أن الجند صعدوا إلى شباك حمام نسوي للتطلع عليهن [١]، وذكر الشيزري [٢] أن من مجالات الالتقاء بين الرجال والنساء هي "أبواب حمامات النساء".

واستخدم أهل بغداد القار لطلي الاجزاء السفلى من جدران الحمامات ، وذلك لكثرته وتوفره في بغداد ، ويجلب هذا القار من عين بين البصرة والكوفة ." وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولد منه القار ، فهو يصير في جوانبها كالصلصال ، فيجرف ويجلب وقد انعقد "[٣] . أما الجانب العلوي من الجدران فكان يطلى بالجبص الأبيض الناصع [٤]. وأشتمل الحمام على مدخل صغير يؤدي إلى ممر ينتهي إلى رحبة واسعة ، لخلع الملابس ووضعها على دكاك ، وفي هذه الرحبة يوجد مكان خاص لقيم الحمام يراقب الناس خوفا من السرقة ، ويقبض الأجر من الخارجين بعد إنتهاء الحمام [٥]. وتتصل هذه الرحبة بالغرفة الاولى من الحمام وهي التي تسمى الحجرة الباردة ، وهي مزودة بأحواض الماء والهواء الساخن المار عبر انابيب فخارية بحوائط القاعه أتية من جهة المستوقد[٦]، وهناك غرفة ثانية أكثر حرارة من الاولى وأقل حرارة من الثالثة ، ثم يدخل المستحم غرفة الحرارة وهي غرفة مليئة بالبخار [٧]، ويلبس المستحمون في أرجلهم أحذية خشبية أو نعالاً عالية الكعوب ، ليتفادوا لمس رخام أرض الغرفة شديد الحرارة ، ويظل المستحمفي هذه الغرفة حتى يتصبب عرقا [٨].

ولمنع دخول الهواء إلى الحمام لما له من مضار على صحة المستحم لذلك كانت توجد فيه نوافذ زجاجية صغيرة ، كما كان السقف على شكل قباب فيها فتحات مغطاة بقطع الزجاج تسمح بدخول الضوء وتمنع دخول الهواء [٩].

---

١ – ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨، ص٢٢٨؛ فهد ، العامة ، ص١٨٠.
٢ – نهاية الرتبة، ص٨٧.
٣ – ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٨٣؛ ابن سعيد ، المصدر السابق، ص١٥٩.
٤ – أبن بطوطة ، المصدر السابق ، ج١، ص٢٤٣.
٥ – ابن الاخوة ، المصدر السابق ، ص١٥٦؛ ابن بسام ، المصدر السابق، ص٧٠.
٦ – ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٤٣؛ محمدعبد الستار ، المرجع السابق، ص٢٤٧.
٧ – دائرة المعارف الإسلامية، مادة حمام.
٨ – دائرة المعارف الإسلامية ، مادة حمام.
٩ – الشيزري ، المصدر السابق ، ص٨٧؛ عبد الستار ، المرجع السابق، ص٢٤٧.

وخلف الحمام يوجد المستوقد الذي يتم فيه تسخين الماء في قدور نحاسية كبيرة ويمر الماء والبخار عبر انابيب فخارية لوحدات الحمام، وغالبا ما يكون للمستوقد باب خلفي لتزويده بالوقود من حطب وزبل وغيرها(١).

ويقوم على خدمة الحمام عدة أشخاص هم : حمامي ، وقيم ، وزبال لأن الوقود في الحمامات كان في الغالب من الزبل اليابس ، ووقاد وسقاء (٢) وهناك أشخاص آخرون يخدمون في الحمام ، ولكن عملهم مرتبط بالزوار وليس بخدمة الحمام، منهم : الحجام الذي تكون مهمته الرئيسة حجم المرضى ، الا أنه كان يمارس أعمال الحلاقة أيضاً(٣) والمزين(٤) الذي يتولى قص الشعر (٥).

وعلى صاحب كل حمام أن يوفر في حمامه ما يحتاج اليه الناس من المآزر التي يؤجرها للناس، والتي يجب أن تكون عريضة حتى تستر بين السرة والركبة (٦)،و المحاك التي يحك بها الناس أرجلهم(٧) وورق السدر، والصابون لغسل اجسامهم (٨)،والطاس الذي يغرف به الماء من الاحواض (٩)، كما عليه أن يوفر لهم مياه الشرب بوضع زير للماء ا لعذب (١٠).

يفضل في الحمامي أن يكون خشن اليدين حتى عندما يقوم بالتدليك يرفع الاوساخ عن جلد المستحم(١١)، وقدهجا التعاويذي الشاعر حمامياً ناعم اليدين قائلاً (١٢):

قيم غير قيم خشنت مديته وهو ناعم الكفين

بيد كالحرير لايرفع الاوساخ تدليكها عن المنكبين

---

١ - المرجع نفسه ، ص٢٤٧ .

٢ - مجهول ، مناقب، ص٢٤؛ متز ، المرجع السابق ، ج٢، ص٢٥٥.

٣ - الصابيء ، المصدر السابق ، ص١٩؛ فهد ، العامة ، ص١٨٥.

٤ - ابن الاخوة ، المصدر السابق ، ص١٥٦؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ص٧١.

٥ - ابن النجار ، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٤.

٦ - ابن الاخوة،المصدر السابق،ص١٥٦

٧ - فهد، العامة،ص١٨٤.

٨ - الغزالي،المصدر السابق،ج٢،ص٣٦٨.

٩ - المصدر نفسه،ج٢،ص٣٦٧.

١٠ - ابن الاخوة،المصدر السابق،ص١٥٦.

١١ - المصدر نفسه،ص١٥٦.

١٢ - ديوانه،ص٤٥٠.

وكانت الحمامات تفتح أبوابها من الصباح الباكر و تستمر مفتوحة حتى وقت الغروب،ويكره دخول الحمام عند الغروب "فأن ذلك وقت انتشار الشياطين"[١]،ولم تكن للحمامات عطلة بل كانت أبوابها مفتوحه الا في حالات استثنائية كوفاة الخليفة اوأحد ابناءه،فلما توفي الأمير علي بن الخليفه الناصر سنه (٦١٢هـ /١٢١٥م) " عطلت الحمامات وأغلقت أبوابها"[٢].

والحمام باعتباره إحدى المرافق العامة للمدينة كان تحت اشراف المحتسب ،فكان يراقب كل ما يؤدي إلى الضرر بالصحة العامة كمنع غسل الأواني أو الازر أو الكاس في الحوض،ويمنع أن تكون ارض مبلطة بحجارة ملساء مزلقة لكي لايؤدي ذلك إلى زلق الغافلين من المستحمين [٣].

ويأمر المحتسب صاحب الحمام أن يغسل الحمام ويكنسه وينظفه بالماء الطاهر، ويجب فعل ذلك مراراً ، وان يدلك البلاط بالاشياء الخشنة ، لئلا يعلق بها شيء من الاوساخ[٤]. ولم يقتصر عمل المحتسب على ذلك بل كان يتفقد يدي الحمامي التي يجب أن تكون خشنة فتخرج الاوساخ، ويراقب المزين من حيث جودة حلاقته ، وان يكون بصيراً بالحلاقه ، وان تكون أمواسه جديدة قاطعة[٥].

هذه الحمامات شأنها كجميع المؤسسات الخدمية لاترتبط بعمر جيل وأجيال , بل هي مستمرة طالما تم الحفاظ عليها ورعايتها وصيانتها كلما أحتاجت إلى ذلك .

وإن ما أورده ابن بطوطة في وصف حالة الحمامات في بغداد بعد سقوطها من حيث حسن العمارة والتنظيم وطرق الوقاية وهي في عهد التدهور الحضاري , فكيف بحال تلك الحمامات في أوقات الازدهار الحضاري حيث قال " حمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات واكثرها , مطلية مسطحة به فيخيل لرائيه أنه رخام أسود , وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار , مطلى نصف حائطها مما يلي الارض , والنصف الاعلى مطلي بالجص الابيض الناصع , فالضدان بها مجتمعان متقابل جنسهما , وفي داخل كل خلوة

---

١ – ابن الاخوه ،المصدر السابق،ص١٥٥.

٢ – سبط الجوزي،المصدر السابق،ج٨،ق٢،ص٥٧٣؛أبو شامه، الذيل ،ص٩٢؛ابن تغري بردي،المصدر السابق،ج٦،ص٢١٣.

٣ – الغزالي، المصدر السابق جـ٢، ص٣٦٨؛ [illegible]العلمة،ص١٨٨.

٤ – الغزالي ، المصدر السابق ، ص٢، ص٣٦٨؛ ابن اخوة ، المصدر السابق ، ص١٥٥.

٥ – المصدر نفسه ، ص١٥٦؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ص٧٠.

حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء الحار , والآخر بالماء البارد , فيدخل الانسان الخلوة لايشاركه فيها أحد ... ولم أر هذا الاتقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها في ذلك ". (١)

و - النظافة والصرف

على الرغم من المعلومات الشحيحة جداً حول هذه الناحية الهامة في المدن الإسلامية ، فمما لا شك فيه أن كل مدينة كان لها نظامها الخاص بالنظافة ، وطريقتها في الصرف، والا لما كان من الممكن استمرارها الحياتي. وقد ظهر ذلك مبكراً في الاحياء ، فكانت الدولة تؤمن النظافة عن طريق جماعات عرفوا بذلك، فكان المحتسب يأمر أهل الاسواق بكنسها وتنظيفها من الاوساخ والطين ، وكل ما فيه أذية الناس واضرار على السالكين كالميازيب الظاهرة من الحيطان زمن الشتاء ، ومجاري الاوساخ الخارجة من الدور ، بل يأمر المحتسب أصحاب الميازيب أن يجعلوا عوضها مسبلاً محفوراً في الحائط يجرى فيه ماء لسطح ، ويحفر له في الدار حفرة يجتمع فيها(٢).

وفي فصل الشتاء كانت الدولة تنظف الشارع وخاصة إذا كان فيه ماء المطر ، أما إذا كان ميازيب شخص معين فعلى ذلك الشخص تنظيفه(٣).

وأحياناً تصرف تلك الفضلات في دجلة ، وبالتالي . يمنع المتحتسب السقائين و أصحاب الروايا من الاقتراب من هذه المصارف أو أخذ الماء منها (٤).

ويبدو أنه كان في المحلات اماكن لجمع الفضلات والأوساخ فقد أشار إلى تلك الأماكن ابن الطقطقى عند حديثه عن مقتل الوزير ابن البلدي"... ثم بويع المستضيء في باطن الدار البيعة الخاصة ، واستدعى الوزير ابن البلدي لبيايع ، فلما حضر الدار عدل به إلى مكان وضربت عنقه واخرج فرمي على مزبلة بباب المراتب "(٥).

---

١ - الرحلة ، ج١، ص٢٤٣؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص٣١٠.
٢ - الشيزري ، المصدر السابق، ص١١٤؛ مصطفى ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٦٦٧.
٣ - الغزالي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٦٧.
٤ - الشيزري ، المصدر السابق ، ص١١٧.
٥ - الفخري ، ص٣١٨.

وكان الروث الحيواني المجفف وبعض الاوساخ الانسانية تباع وقوداً للحمامات ، وأما الباقي فيُرمى في الارباض أكداساً خارج المدينة [١] .

وكانت تحدث بعض التجاوزات من قبل بعض الافراد في عدم الالتزام بقواعد النظافة ، فقد عمر أحد الاتراك حماماً وجعل مجرى صرفه على دار جيرانه ، فشكى ذلك إلى الوزير ابن العطار فزجره الوزير ولم يأخذ بيده [٢] ، ولعل أهمال الوزير لهذا الأمر لا يمثل موقف الدولة من هذه المشكلة بل هو تصرف شخصي للوزير المعروف بسوء تعامله مع الناس [٣] .

ز _ المؤسسات الثقافية

المدارس

مع نهاية القرن الخامس الهجري ظهرت إلى حيز الوجود في المدينة الإسلامية منشآت دينية أرتبط ظهورها وانشاؤها بأحداث العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، ونقصد بها المدارس ، والتي بدأ أنشاؤها في مدن شرق العالم الاسلامي على يد اتباع المذهب السني ، وبنتها الدولة ، واصبحت مؤسسات رسمية عنيت بأنشائها لتخريج أجيال من المتفقهين بالمذهب السنيّ ، تتحمل مسؤولية مقاومة التيار الشيعي الذي وصل إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية .

فأنشأ نظام الملك الذي وزّر للسلطانين ألب أرسلان وملكشاه الأول ، عدة مدارس في شتى أنحاء العالم الاسلامي ، سميت بأسمه ، ورسم لها كفاح المذهب الشيعي الذي كان منتشراً في العهد البويهي ، ولعل هذا يفسر السبب الذي جعل المدارس الجديدة تقتصر على العلوم الدينية واللغوية ، وتترك العلوم الطبيعية الأخرى [٤] .

ومن السهل بمكان ملاحظة كثرة المدارس في العالم الاسلامي بعد قيام نظام الملك بخطوته المذكورة ، فبغداد على سبيل المثال كان فيها عام (٥٨٠ هـ / ١١٨٤م)، عندما زارها أبن جبير نحو من ثلاثين مدرسة [٥] .

---

١ – شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٦٦٨ .

٢ – ابن الطقطقى ، المصدر السابق ، ص٣٢٣ .

٣ – الرحيم ، المرجع السابق ص٣٠٩ .

٤ – عماد عبد السلام رؤوف ، مدارس بغداد في العصر العباسي ،ط١ ، مطبعة دار البصرى، بغداد، ١٩٦٦،ص١٢.

٥ – ابن جبير ، المصدر السابق ،ص١٨٣.

ولم يقتصر أنشاء المدارس على الدولة ، بل شارك في أنشائها الموسرون من الأمراء والأعيان والتجار ، ومن أجل ديمومة هذه المؤسسات كانوا يوقفون عليها الأوقاف [١] الكثيرة ، والسبب في ذلك ديني يعود إلى تقوى صاحب الوقف ورجائه الثواب من الله ، بسبب ما كان للدين من سلطان كبير في حياة الناس الروحية ، فضلا عما طبعت عليه النفس البشرية من الشهرة والميل إلى تخليد الذكر بعد الموت.

ونظرا لكثرة تلك الأوقاف واهميتها .فقد خصص لها النظار والمشرفين وغيرهم من الموظفين لادارتها وضمان استمرارها [٢] ، وغالبا ما قرنت مشيخة المدرسة بالنظر في اوقافها ، وهذا ما نلمسه من مرسوم تعيين الفقيه ضياء الدين أحمد بن مسعود التركساني مدرسا ومشرفا لمدرسة مشهد أبي حنيفة سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م) ، فقد جاء في المرسوم " وليبذل جهده في عمارة الوقوف المذكورة وانمائها واستثمار حاصلها وارتفاعها ، مستخيرا من يستخدمه فيها من الاجلاء الامناء[٣] " وقد ورد في المصادر اسماء عدد ممن تولى هذا المنصب منهم : الفقيه ابن فضلان [٤] ، تولى النظر في اوقاف المدرسة النظامية مضافا إلى مهمة التدريس[٥]، والفقيه أبو على يحي بن ربيع الواسطي (ت٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)، قال عنه ابن كثير. "صار مدرسا بالنظامية وناظرا على أوقافها " [٦] .

واشار ابن جبير إلى كثرة اوقاف المدارس في بغداد ، "ولهذه المدارس اوقاف عظيمة وعقارات محبسة تصير إلى الفقهاء والمدرسين بها ، ويجرون بهاعلى الطلبة ما يقوم بهم" [٧] .

وهذه الأوقاف كما أسلفنا مخصصه لاستمرارية المدرسة في عمليتها التعليمية ، إضافة إلى الانفاق على مدرسي المدرسة وطلابها.

---

١ – الوقف:هو حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح. الخطيب الشربيني، مُغنى المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، ط ٢،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٣، جـ٢، ص٣٧٦؛محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف ، دار الفكر العربي . بيروت ، ١٩٧١ ، ص٣٩.

٢ – الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٢٣.

٣ – مجهول ، الحوادث ، ص٦٤

٤ – ابن الساعى ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٣٦.

٥ – هو أبو القاسم يحي بن على بن بركة بن فضلان ، شيخ عالم له معرفة ، بالفقه والاصول ، كان مولده في سنة ٥١٥ هـ وتوفي سنة ٥٩٥ هـ . ابن الساعى، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١١ص-٣ .

٦ – البداية ، ج١٣ ، ص٥٣.

٧ – الرحلة ، ص١٨٣.

والى جانب الوظيفة التعليمية للمدارس، فقد قدمت خدمات اجتماعية تمثلت بتوفير السكن للطلاب والعلماء والمدرسين ، وخاصة للطلاب القادمين من مناطق بعيدة [١] . وكان لسكن هذه المدارس آداب، وشروط على الطالب أن يلتزم فيها تناولها ابن جماعة [٢] وحددها باحدى عشر ادباً [٣] ، على رأسها : أن يتحقق الطالب من مدى شرعية البناء ، ومن الطريق التى ال بها ذلك البناء والشروط الموضوعة له ، ولساكنيها . وذلك من أجل حفظ دين الطالب إذ ينبغي عليه أن يتعامل مع الحلال من ناحية ، وان يحقق تنفيذ الشروط الموضوعة له من ناحية أخرى والا " فالساكن يتعرض لخسران دينه وثمرة عمره " [٤] .

بعد هذا الشرط الاساسي ينتقل بنا الكاتب إلى نصائح وارشادات يوجهها إلى هذه الفئة الساكنة في دار مخصصة للعلم ، فتلك الفئة من طلبة العلم ، واجبهم أن لا يعرضوا دينهم وخلقهم للسوء بما قد يقدمون عليه من سلوك وتصرفات تؤذيهم وتؤذي غيرهم [٥] .

كان تعيين المدرسين بهذه المدارس يتم بمرسوم خاص يصدر عن الخلفاء اوالوزراء [٦] . مثال على ذلك ما اورده ابن الساعى من مرسوم تعيين الفقيه ضياء الدين التركستاني مدرسا بمدرسة مشهد أبي حنيفة وناظرا في وقفها [٧] .

كان تولى التدريس في المدارس ، وخاصة الكبيرة منها كالنظامية منصبا مرموقا يطمح أليه الكثير من العلماء حتى أن بعضهم غير مذهبه ليحضى بذلك المنصب كما حدث للوجيه

---

١ - عبد الأمير شمس الدين ، المذهب التربوي عند ابن جماعة ، دار اقرا ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٤١.

٢ - هو ابراهيم بن عبد الرحيم بن محمد الكناني ، لحموي الاصل ، شافعي المذهب مفسر وخطيب ، نشأ في دمشق وسكن القدس ، وولى قضاء الديار المصرية ثم قضاء دمشق توفي سنة ٧٣٣ هـ . ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٣١١.

٣ - انظر الباب الخامس من كتاب ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم ، تحقيق عبد شمس الدين ، دار اقرأ ، بيروت ، ص١٥٩.

٤ - ابن جماعة ، المصدر السابق ، ص١٥٩.

٥ - المصدر نفسه ،ص ص١٦٠-٣.

٦ - مريزن عسيري ، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، مكتبت الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٧ ، ص٢٧٠.

٧ - الجامع المختصر ، ج٩ ، ص ص٣٣٢-٥.

النحوى (ت٦١٢هـ/١٢١٥م)، الذى كان حنفياً فتحول إلى مذهب الشافعى (١) وذلك لان شرط الواقف كان أن لا يتولى اى منصب من مناصبها من هو على غير المذهب في العراق.

لذلك سنقسم المدارس في بغداد على اساس المذهب الذي كانت موقوفة عليه.

أولا – مدارس بغداد الحنفية :

١ – مدرسة مشهد أبي حنيفة :

تم تأسيس هذه المدرسة في صفر سنة (٤٥٩ هـ / ١٠٦٦م) ، وتم أفتتاحها في جمادي الاخر من نفس السنة ، فكانت بذلك أول مدرسة انشئت في العراق ، فقد فتحت قبل النظامية بحوالي اربعة شهور (٢) .

وممن نزلها من العلماء في فترة البحث الفقيه محمد بن الحسين بن محمد بن علي ابن أحمد الحنفي (٣) .

٢– المدرسة المغيثية

هذه المدرسة منسوبة إلى مغيث الدين محمود بن حمد السلجوقي (ت٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) ، وتقع على شاطئ دجلة جنوب المدرسة التتشية" .

وممن تولى التدريس بها منتخب الدين أبو الفضل عبد الكريم بن المبارك المعروف بابن الصير في (ت٥٩٦ هـ(٤) / ١١٩٩ م)، وبعدها أستنابه قاضي القضاة ابن الشهرزورى على القضاة بحريم دار الخلافة وما يليها (٥) .

---

١ – ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣١٢ ؛ أبو شامة ، الذيل ، ص١٠ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٤ ،ص ص١٥٢-٣ ؛ الذهبي ، مختصر ، ج٣ ، ص٣٩.

٢ – حول مدرسة مشهد أبي حنيفة انظر البحث القيم للدكتور مصطفى جواد " اول مدرسة في العراق ، مدرسة الامام أبي حنيفة " ، مجلة المعلم الجديد ، العدد الاول، السنة السادسة ، سنة ١٩٤٠ ، ص ص٣٣-٤٢

٣ – من أهل طبرستان ، قدم بغداد ٥٦٠ هـ ، سكن محلة أبي حنيفة متفقة بمدرستها ، واقام بها إلى حين وفاته في رجب سنة ٦١١ هـ . ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٣٩.

٤ – ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٠٥ ؛ الذهبي ، محتصر ، ج٣ ، ص٩٦ رؤوف ، مدارس، ص٥٥.

٥ – ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٣٢.

٣ - المدرسة التتشية

من مدارس الحنفية في بغداد انشأها الأمير خمار تكين بن عبدالله التتشي في حدود سنة (٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م)[١] ،وقد شاهدها ياقوت الحموي ووصفها قائلا : [٢] " تتش :- التاء أن مضمومان والشين معجمة وهو اسم رجل تنسب اليه مواضع في بغداد وهي سوق قرب المدرسة النظامية ، ومدرسة بالقرب منه لاصحاب أبي حنيفة يقال لها التتشية".

٤- مدرسة جامع السلطان

بنى هذه المدرسة ، الملحقة بالجامع ، السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقي سنة (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م)، فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث هذه السنة " فمن الحوادث فيها أن السلطان ملكشاه تقدم ببناء سوق المدينة وبنى فيها الجامع " [٣] ، الا أن وفاة السلطان ملكشاه في هذه السنة اوقف الاعمال حتى سنة (٥٠٢هـ / ١١٠٨ م) ، حيث باشر بأعمال عمارتها بهروز بن عبد الله الخادم [٤] وتم افتتاحها في نفس العام .

ودرس بها يوسف بن اسماعيل بن عبد الرحمن اللمغاني (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)[٥] وقد تولي التدريس سنة (٥٨٨ هـ [٦] / ١١٩٢ م) .

٥- المدرسة الموفقية

إبنتي هذه المدرسة الخادم موفق الدين بن عبد الله الخاتوني خادم الخاتون الملكشاهية زوجة الخليفة المستظهر المتوفاة سنة (٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) ، وقد اشار ابن الساعي [٧] إلى أن الموفق الخادم قد أوقف جميع ماله على المدرسة المذكورة .

---

١ - رؤوف ، مدارس ، ص٤٨.

٢ - معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٥.

٣ - المنتظم ، ج٩ ، ص٦٠

٤ - هو ابن الحسن الخادم ، كان يلقب بمجاهد الدين ، ولى العراق ، نيفا وثلاثين عاما ، توفي سنة ٥٤٠ هـ ودفن برباطه على شاطئ دجلة . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص١١٧.

٥ - محي الدين أبي محمد القادر القرشي ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، ج٢، حيدر اباد الدكن الهند ، ج٢ ، ص٢٢٤ .

٦ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ، ص٦٣١ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص٧١ .

٧ - الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٧٨ .

وقد ذكر ابن الفوطي [1] في ترجمته لعلم الدين أبــو زكريـا البغـدادي المتوفـى (٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م)، "كان يدرس بالمدرسة التتشية وبالموفقية وله حلقة للمناظرة بجامع السلطان " .

٦- المدرسة الزيركية

تقع في سوق العميد بمنطقة سوق السلطان، ولا يعرف إلى من تنسب وإن كان الظاهر مـن الاسم نسبة إلى زيرك وهو اسم شائع عند الاتراك [2] . وممن تولى التدريس فيها في هـذه الفترة الفقيه عبد السلام بن اسماعيل بن عبد الرحمن للمغاني (ت ٦٠٥ هـ [3] / ١٢٠٨ م) .

ثانيا - مدارس بغداد الشافعية :

٧- المدرسة النظامية

أسست هذه المدرسة من قبل الوزير نظـام الملـك (ت ٤٨٥ هـ / ١١٩٢ م) . وفتحـت فـي ذي القعـدة سـنة (٤٥٩هـ [4]/ ١٠٦٦)، وقـد أنشـئت لتدريــس الفقــه الشافعي ، وشـرط الواقف أن يكون المدرس بها والواعظ ومتولي الكتب من الشوافع أصلاً وفرعاً[5] .

وقد جدد الخليفة الناصر بناء المدرسة النظامية بعد أن زارها سنة (٥٨٩هـ/١١٩٢م).

٨- المدرسة التاجية

كانت ثاني مدرسة للشافعية عرفتها بغداد بعد النظامية ، وهي منسوبة إلـى تـاج الملك بـن المزربـان بـن خسـرو أبـو الغنـائم ، وفتحـت سـنة (٤٨٢ هـ [6] / ١٠٨٩ م) ، يقـول يـاقوت فـي المدرسة: " والتاجية اسم مدرسة ببغداد ملاصق قبر الشيخ أبي اسحاق الفيروزابـادي نسـبت اليهـا

---

١ - تلخيص ، ج٤ ، ق٤ ، ص٦٣١ .

٢ - رؤوف، مدارس ، ص٧٣ ؛ مريزن ، المرجع السابق ، ص٢٩١ .

٣ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٧٦ ؛ القرشي ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٣١٥ .

٤ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢١٨ .

٥ - حسين امين " المدرسة الإسلامية في العصـر الاسلامي ، واثرهـا فـي تطويـر التعليـم " ، بحـث ضمـن مجموعـة بحـوث منشـورة بعنـوان فـي تـاريخ الحضـارة الإسـلامية " ، مؤسسـة شـباب الجامعـة ، الاسـكندرية ، ١٩٧٦، ص١٠٤

٦ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٤٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥ .

محلة هناك ، والمقبرة والمدرسة منسوبة إلى تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز المتولي لتدبير دولة ملكشاة بعد الوزير نظام الملك " [١] .

يروي ابن الساعي [٢] أن المدرسة كانت لا تزال في أواخر القرن السادس الهجري ، فقد ذكر في ترجمة فخر الدولة العباسي عند وفاته في سنة (٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) ، " وصلى عليه بالمدرسة التاجية " وقال في وفاة الأجل أبراهيم بن محمد سنة (٥٩٨ هـ / ١٢١١ م) ، وصلى عليه بالتاجية ، ودفن بمقبرة باب المختار " [٣]

٩- المدرسة الثقتية

وتسمى أيضاً مدرسة الأصحاب ، وتنسب إلى ثقة الدولة أبي الحسن على بن محمد ابن يحي الدريني المعروف بابن الانباري[٤]، وتقع بالجانب الشرقي من بغداد بباب الازج على شاطيء دجلة[٥].

وفي سنة (٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) ، قدم رسول من خوارزم شاه إلى ديوان الخلافة في بغداد فانزل في هذه المدرسة[٦] مما يوحي بأهميتها لدى الدولة ، وحسن عمارتها.

١٠ - المدرسة الكمالية

تقع المدرسة قريبا من دار مؤسسها أبو الفتوح حمزة بن طلحة (ت ٥٦٦ هـ / ١١٦٠م)، اسسها سنة (٥٣٥ هـ [٧] / ١١٤١) ، وتقع بالجانب الشرقي من بغداد بباب العامة[٨]. وقد وقف عليها مؤسسها ثلث أملاكه ورتب فيها أبا الحسن محمد بن المبارك بن الخل مدرساً [٩] .

وهناك اشارة إلى استمرار المدرسة خلال فترة البحث فقد ذكر السبكي في ترجمة محمود ابن أحمد بن محمد أبو الفضل الاردبيلي (ت ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) ، أنه" قدم بغداد ودرس بالمدرسة الكمالية ، وسقط في بئر في داره فهلك سنة خمس وعشرين وستمائة " [١٠] .

---

١ - معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥ .

٢ - الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٩ .

٣ - المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٨٦ ، رؤوف ، مدارس ، ص٨٥ .

٤ - كان رجلا صالحا من الافاضل ولد سنة ٤٧٥ هـ واشتغل اول امره بالحداده ثم خدم لدى أبي نصر أحمد الابري ، وتزوج ابنته العالمة المشهورة شهدة الابرية فارتفعت منزلته ، وبنى المدرسة المذكورة . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص١٦٠ .

٥ - المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص١٦٠؛ ابن خلكان،المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٩٥ ؛ رؤوف ، مدارس، ص٨٧ .

٦ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٦٢ .

٧ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢١ .

٨ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٢ ، ورقة ٤٠٤ .

٩ - المصدر نفسه ، ج٢ ، ورقه ٤٠٥ .

١١- المدرسة البهائية

تقع بالقرب من النظامية [١] ، ولا يعلم من منشئها على أن ظاهر أسمها يدل على أنها منسوبة إلى من اسمه بهاء على الأكثر [٢] .

١٢- مدرسة دار الذهب

وتعرف أيضاً بالمدرسة الفخرية ، وهي منسوبة إلى الحسن بن هبه الله بن محمد بن علي أبو المظفر فخر الدولة [٣] ، وتقع بشرقي بغداد عقد المصطنع [٤] .وكان افتتاحها سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م)، بعد عودته إلى بغداد من مشهد علي - رض حيث اقام هناك مدة متصوفا [٥] .

١٣ - المدرسة الاسبهبذية .

وتعرف أيضاً بالاصفهبذية [٦] ، ولا يعرف من هو مؤسسها في محلة بين الدربين بالجانب الشرقي من بغداد [٧] .

١٤- مدرسة أبي النجيب السهروردي .

بناها أبو النجيب عبد القادر السهروردي [٨] (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) ، وفي بنائها قال السبكي [٩] :" وكانت له خربة بنى فيها رباطا ، وبني إلى جانبه مدرسة "

---

١٠ - طبقات الشافعية ، ج٥ ، ص١٥٤ ؛ رؤوف ؛ مدارس ، ص١٠٢ .

١ - ابن خلكان،المصدر السابق،ج٤ ،ص٢٢٥؛ ابن الفوطي، المصدر السابق،ج٤ ، ق١، ص٥٧٩ ؛ الذهبي، مختصر ، ج١،ص١١٦ .

٢ - رؤوف ، مدارس ، ص١٠٣ .

٣ - زاهد ترك الدخول بالدنيا،كثير الحج،كانت وفاته سنة ٥٧٨ هـ ودفن في ايوان مسجده الذي ابتناه بالجانب الغربي،ثم نقل وفاته سنة ٦٣٧ هـ ولي مشهد موسى بن جعفر بعد خراب الايوان جراء الفيضان . الذهبي ، مختصر ، ج٢،ص٢٦ ؛ مجهول ، الحوادث ، ص٢٤٢ .

٤ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١١ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص١٠٧ .

٥ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٣٣ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٨٦ .

٦ - الاصهبذ : اسم فارسي مركب من : " سباه " وتعنى جيش ، "ويد " وتعني حافظ ، فمعناها " حافظ الجيش أو قائده . ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١١ ، هامش ٢٥ .

٧ - رؤوف ، مدارس ، ص١١٥ .

٨ - ترجمنا له في الطرق الصوفية .

١٥- مدرسة زمرد خاتون

تنسب هذه المدرسة إلى السيدة زمرد خاتون . والدة الخليفة الناصر لدين الله وتعرف أيضاً بمدرسة الاصحاب (١) ، افتتحت سنة (٥٨٩ هـ (٢) / ١١٩٣) ، وتقع بالجانب الغربي من بغداد ، وقد انشأتها بجوار تربتها بالقرب من قبر معروف الكرخي (٣) ، والحقت بها دارا لسكنى المدرس، وحجر يقيم بها الطلبة واجرت للجميع الرواتب الحسنة ، فصارت المدرسة بذلك من اشهر المدارس في بغداد يؤمها الطلاب من كل حدب وصوب (٤) .

١٦- المدرسة الشرابية

المدرسة الشرابية أو الإقبالية أو الشرفية، من كبريات المدارس المستجدة في اواخر العصر العباسي، بناها مقدم العسكر في أيام الخليفة المستنصر الأمير شرف الدين إقبال الشرابي (٥) .

وتقع بسوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين (٦) . وكان المتولي لبنائها شمس الدين بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله ، وشرط الواقف النظر بها له ثم من بعده من تولى وكالة الخلافة (٧) . وتم افتتاحها في شوال سنة (٦٢٨ هـ/١٢٣٠ م)، وبعد افتتاح المدرسة خلع على جميع من حضر من الفقهاء والحاشية وعمل من أنواع الاطعمة الشئ الكثير ، حمل منه إلى جميع المدارس والأربطة (٨) .

---

٩ - طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص١٧٣ .

١ - ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٩٩ .

٢ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٣ ، ورقة ٤٤ب

٣ - عماد عبد السلام رؤوف" الخدمات النسوية في العراق "بحث غير منشور في الاتحاد العام لنساء العراق، ص٤٧ .

٤ - رؤوف ، مدارس ، ص١٢٣ .

٥ - المرجع نفسه، ص١٢٤.

٦ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٤ .

٧ - المصدر نفسه ،ص ص٢٤ ص-٥ ؛ ناجي معروف ، المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٥، ص١٤٤ .

٨ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٥ ؛ ناجي معروف ، المدارس الشرابية ، ص١٤٤ .

ثالثا – مدارس بغداد الحنبلية :

١٧– مدرسة المخرمي

اسس هذه المدرسة أبو سعيد المبارك بن علي المخرمي (ت٥١٣ هـ/١١١٩ م) ، بباب الأزج من الجانب الشرقي من بغداد [١] ثم فوض أمرها لتلميذه الشيخ عبد القادر الجيلاني ، الذي قام بتوسيعها عندما ضاقت هذه المدرسة بالطلاب واضيف اليها من الدور حتى بلغت ضعف ما كانت عليه من الاتساع . وقد ساهم العلماء والاغنياء في عمارتها من أموالهم وكان الفراغ من ذلك سنة (٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م) ، وتصدر بها للتدريس والجلوس للوعظ ، وقصده طلاب العلم من الآفاق [٢] .

وتولى التدريس فيها من بعده أبناؤه وأحفاده أمثال عبدالوهاب [٣] وعبد الرزاق [٤] والشيخ عبد السلام الجيلاني [٥] .

١٨ – مدرسة ابن الشمحل

أسسها أبو القسم بن الشمحل ، فتحت سنة (٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م) ، بمحلة المأمونية قال ابن الجوزي في احداث هذه السنة : " وفي يوم الاثنين حادي عشر ربيع الآخر فتحت المدرسة التي بناها ابن الشمحل في المأمونية [٦] . وقد درس فيها المؤرخ جمال الدين عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي فقد قال عندما اسندت له مهمه التدريس بها : " وأعدت درسه فبقي نحو شهرين وسلمت بعده اليّ فجلست للتدريس فيها " [٧] .

١٩ – مدرسة ابن بكروس

تنسب هذه المدرسة لأحمد بن محمد بن المبارك بن بكروس [٨] . من مدارس الحنابلة بالجانب الشرقي من بغداد ودّرس بها حتى توفي سنه (٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) ، ثم درس بها

---

١ – ولد أبو اسحق بمفارقين بعد سنة ٥٤٠ هـ ، ثم حل إلى بغداد ، وسكن النظامية واعاد بها ، تولى التدريس بمدرسة ام الناصر . الاسنوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٨٥ .

٢ – ابن رجب ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٩٩ ؛ الشطنوفي ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .

٣ – التادفي، المصدر السابق، ص٥٣.

٤ – المنذري، المصدر السابق، جـ٢، ص ٩٨١؛ ابن الساعي، المصدر السابق ،ج٩،ص٢١٤.

٥ – التادفي، المصدر السابق ص٥٦؛ أبو شامه، الذيل ، ص٥٦.

٦ – المنتظم ، ج١ ، ص٢٠٠ .

٧ – المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٠١ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص١٦٠ .

٨ – هو أحمد بن محمد بن المبارك بن بكروس البغدادي ، عالماً زاهداً ، تكلم في مسائل الخلاف ، درس بالمدرسة التي أنشأها توفي سنه ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م .

أخوه أحمد بن بكروس (ت٥٧٦ هـ[١] / ١١٨٠ م) ، ودرس بها من بعده ابراهيم بن علي بن بكروس (ت ٦١١هـ[٢] / ١٢١٤ م) .

٢٠ - مدرسة ابن الجوزي

هي مدرسة المؤرخ أبو الفرج بن الجوزي ، تقع بدرب دينار ، وتم افتتاحها سنة (٥٧٠ هـ[٣] / ١١٧٤ م) ، قال ابن الجوزي في افتتاحها : " وفي يوم الاحد ثالث محرم أبتدأ ت بألقاء الدروس في مدرستي بدرب دينار فذكرت يومئذ أربعة عشر درساً من فنون العلوم "[٤] .

٢١- مدرسة بنفشة

وهي المدرسة التي أنشأتها السيدة بنفشة إحدى زوجات الخليفة المستضئ بأمر الله [٥] ، وتقع بباب المراتب على شاطئ دجلة بمحلة باب الازج ، ثم أفتتاحها سنه (٥٧٠ هـ[٦] / ١١٧٤م). والمدرسة في الاصل كانت داراً لنظام الدين أبي نصر بن علي بن جهير وزير الخليفة المستضئ ، فلما عزل سنة (٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) ، سكن في داره هذه حتى وفاته سنة (٥٩٧ هـ[٧] / ١٢٠٠م) ، وكتب في كتاب الوقف أنها وقف على اصحاب أحمد [٨] ، وقد وقفت بنفشة عليها الأوقاف الكثيرة [٩] منها قرية بكاملها[١٠] .

ابن الجوزي ، المنتظم، ج١٠،ص٢٧٦؛ سبط ابن الجوزي.المصدر السابق،ج٨ ، ق١، ص٣٤٤ ؛ الذهبي ، مختصر ، ج١ ، ص٢٠٦ .

١ - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج١، ص٣٤٨ .

٢ - المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٧٠ .

٣ - ابن الجوزي ، المنظم ، ج١٠ ، ص٢٥٠ .

٤ - المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٥٠ .

٥ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٢ ، ورقة ٥٩ ب ؛ ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص١١١ ؛ مصطفى جواد ،" المعاهد الخيرية النسوية " ، بحث ضمن بحوث للمؤلف بعنوان في التراث العربي ، ج١ ، ص١٢٨ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٨٦ .

٦ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٥٣ ؛ ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ق٢ ، ص٨٧٤ .

٧ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٥٢ .

٨ - المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٥٣ .

٩ - ابن الساعى ، نساء الخلفاء ، ص١١١ ؛ رؤوف ، "الخدمات النسوية" ، ص٤٤ .

١٠ - سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٢٦ ؛ ابن الساعى ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٩ .

٢٢ - المدرسة الشاطئية

لا يعرف بالضبط متى أنشئت هذه المدرسة الحنبلية ، إذ لم يرد في الكتب ما ينص على ذلك ، والمرجح انها اقيمت بعد زيارة الرحالة الاندلسي بن جبير إلى بغداد سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) ، والدليل على ماذهبنا اليه أنه عندما تحدث عن المدارس في بغداد اشار إلى أنها جميعها في الجانب الشرقي " والمدارس بها نحومن ثلاثين ، وهي كلها بالشرقية [1]، من مدرسي هذه المدرسة عبد السلام بن الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت٦١١ هـ / ١٢١٤ م) ، وقال صاحب الحوادث [2] في ترجمته " ودرس في مدرسة جده بباب الازج والمدرسة الشاطئية بباب الشعير" بالجانب الغربي.

٢٣- مدرسة ابن العطار

من مدارس الحنابلة شيدها أبو القاسم نصر بن منصوربن الحسين بن العطار (ت ٥٩٥هـ[3] ١١٩٨م) وقد اشار إلى ذلك ابن الفوطي " وبنى مدرسة للفقهاء الحنابلة بدرب القيار". [4]

٢٤- المدرسة المجاهدية

تم بناء هذه المدرسة من قبل الأمير مجاهد الدين أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير وتكامل بناؤها في سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ، أنشأها قريبة من داره بالجانب الشرقي من بغداد ، وجعلها وقفاً على الحنابلة ولم يوقف عليها شيئاً [5] .

٢٥- المدرسة المستعصمية

هي من المدارس قليلة الذكر ببغداد ، بنيت بأمر من الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) ، كما يتضح من ظاهر اسمها . وقد بقيت هذه المدرسة إلى ما بعد سقوط بغداد في يد المغول سنة (٦٥٦هـ[6]/١٢٥٨م) .

---

١ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٨٣ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص١٩١ .

٢ - مجهول، الحوادث ، ص ٨٧.

٣ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ،ص١٤.

٤ - مجمع ،ج٤ ، ق٤ ، ص١٥٨.

٥ - مجهول ، الحوادث ، ص١٢٨ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص١٩٥.

٦ - ابن رجب ، المصدر السابق ،ج٢ ، ص٢٤٥ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص٢٠٣.

ولا يوجد ما يشير إلى موقع المدرسة في كتب خطط بغداد [1]

رابعاً - مدارس بغداد الجامعة :

بعد أن كانت المدارس قائمة على أساس المذهب ، وجد الخليفة المستنصر أنه لابد من انشاء مدرسة تكون محط أنظار أهل السنة جميعاً فلا يقف شرط مذهبي أمام الطالب كما وضع نظام الملك من شروط القبول في النظامية من أن يكون الطالب شافعياً أصلاً وفرعاً .لذلك أنشئت كل من المدارس التالية :

٢٦- المدرسة المستنصرية

أمر بإنشاء المدرسة المستنصرية الخليفة المستنصربالله، وكان البدء في العمل ببنائها سنة (٦٢٥هـ[2]/١٢٢٧) ، وكان افتتاحها الرسمي في جمادي الآخره سنة (٦٣١هـ[3]/١٢٣٣) ، وجعلت هذه المدرسة وقفاً على المذاهب الأربعة :[4] الحنبلي، والحنفي، والشافعي، والمالكي.

وبلغت النفقة على المدرسة المستنصرية حوالي سبعمائة ألف دينار [5] ، وحدد راتب المدرس في كل يوم عشرين رطلاً من الخبز ، وخمسة أرطال من اللحم بخضرها وحوائجها ، وفي كل شهر راتباً مقداره اثنى عشر ديناراً وأن يكون لكل معيد ثلاثة دنانير في الشهر [6].

وأنشيء إلى جوار المستنصرية دار لتعليم القرآن الكريم، وشرط الواقف أن يكون في هذه الدار ثلاثون طفلاً من الأيتام ، وأن يتوفر من يحفظهم [7].

والمدرسة المستنصرية التي استغرق بناؤها ستة سنوات تميزت عن غيرها من المعاهد التعليمية الإسلامية في كل ناحية وأفردت في عمارتها وزخرفتها وعلومها وأوقافها وعدد فقهائها، قال سبط بن الجوزي [8]": ليس في الدنيا مثل هذه المدرسة ، ولا بني مثلها في سالف الأعوام."

---

١ - المرجع نفسه ، ص ٢٠٣.

٢ - مجهول ، الحوادث ، ص٥٣.

٣ - مجهول ، الحوادث ، ص٥٣ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٥٧.

٤ - المصادر نفسها والصفحات ؛ ناجي معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٥٩ ،ج١ ، ص٢٧.

٥ - البصري ، المصدر السابق ، مخ ، ورقة ١٥٤ب ؛ معروف ، علماء المستنصرية ، ج١، ص٤٢.

٦ - الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٥٨.

٧ - الأربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٨ ؛ مجهول ، الحوادث ، ص ص٥٨-٩.

٨ - مرآة الزمان ، ج٨ ، ق٢ ، ص٧٣٩ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٨٩.

٢٧- المدرسة البشيرية

أنشأت هذه المدرسة زوجة الخليفة المستعصم بالله السيدة باب بشير [١] ، وتقع في الجانب الغربي قرب محلة قطفتا [٢] ، وكان الشروع في بنائها في سنة (٦٤٩هـ[٣]/١٢٥١م) وتوفيت منشئتها في شوال سنة (٦٥٢هـ[٣]/١٢٥٢م) ، قبل أن يتم افتتاحها ، والذي تم في جمادى الآخرة سنة (٦٥٣هـ[٤]/١٢٥٣م)، اي بعد ثمانية أشهر من وفاة السيدة باب بشير . وحضر الإفتتاح الخليفة المستعصم بالله وابناؤه فجلسوا في وسطها ، وحضر خواص الخليفة ومماليكه ، ثم حضر الوزير بن العلقمي ، وكافة ارباب الدولة وذوو المناصب والمدرسون ، ومشايخ الربط ، وعملت فيها دعوة عظيمة [٥].

وكانت هذه المدرسة قد انشئت على قاعدة المدرسة المستنصرية لتدريس المذاهب الأربعة[٦] ، وهي بذلك تكون ثاني مدرسة ليس في بغداد وحدها بل في العالم الإسلامي أيضاً.

ولم تقتصر السيدة باب بشير في أوقافها على المدرسة ، بل كان لها من المعاهد الخيرية دار للقرآن على شاطىء دجلة بالجانب الغربي يدرس فيها ابناء الفقراء[٧] . وقد اشهدت على نفسها في دار الوزير بصحة الوقف وثبوته بحضور قاضي القضاة ، وتمت كتابة الوقف في السجل المخصص لذلك ، وقريء على الحاضرين فوضعوا خطوطهم تأكيداً على ذلك [٨].

المكتبات

أن المكتبات في الإسلام نتاج لحضارة الاسلام وانعكاس لها ، ساهمت مساهمة جلّى في توسيع نطاق هذه الحضارة وتغذيتها وترقيتها ، ولذلك عندما أتسع أفق المسلمين العقلي وازدهر

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٠٧.
٢ - المصدر نفسه والصفحة.
٣ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٠٧ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٦٠٩ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص٢٠٦ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٩٩.
٤ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٠٧ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٦٠٩ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص٢٠٦ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٩٩.
٥ - مجهول ، الحوادث ، ص ص٣٠٧-٨ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٦٠٣.
٦ - مجهول ، الحوادث ، ص٣٠٧ ؛ رؤوف ، مدارس ، ص٢٠٧ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ،ص١٩٩.
٧ - مجهول ، الحوادث ، ص٢٧٥ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٦٠٣.
٨ - المصدر نفسه والصفحة ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص٢٠٠.

تقدمهم الحضاري وتنوعت أهتماماتهم ، زاد بنفس النسبة عدد المكتبات وتنوعت أغراضهـا حتى شملت جميع الأغراض التي تؤسس المكتبات من أجلها ، لذلك نجد في دنيا الاسـلام جميع أنـواع المكتبات : المكتبات العامة المفتوحة للجمهور علـى أختـلاف أنواعـه ، والمكتبـات الخاصـة التي يمتلكها أفراد معينـون لخدمـة أغراضهـم الشـخصية ، والمكتبـات الملحقـة بالمساجد والجوامـع والربط وغيرها، وسنتناولها كلاً على حده.

أ- مكتبات المدارس

كانت هذه المكتبات تكون الجزء الأساسي من أجزاء المدرسة فجميع مدارس بغداد في هذه الفترة كغيرها من الفترات السابقة حوت المكتبات التـي يرجـع اليهـا المَدرس والطـالب ، وكـانت خزائن تلك المكتبات تصف فيها الكتـب بعضهـا فـوق بعض ولهـا فهارسـها ، ولكـل علـم أو فـن خزانة وقد تولى إدارة المكتبات الاسلاميةعلى مدى الأزمان رجال هم فـي الـذروة مـن العلـم فـي مختلف العلوم.

١- مكتبة مدرسة مشهد أبي حنيفة

لقد كان في هذه المدرسة خزانة كتب نفيسة موقوفة على طلبة العلم لها من يتعهدها ويعتنى بأمر خزنها [١]، وللدلالة على أهمية كتب هذه الخزانة ما روي من أطلاع ابن الجوزي على ثبـت محتوياتها من المصنفات والأسفـار ،وإن لم يشر إلى مجموع هذه المحتويات وأنواعها [٢].

ومـن نـص التوقيـع بتوليـة أبـي الفضـل التركسـتاني التدريـس بمدرسـة أبـي حنيفـة سـنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، تبرز أهمية تلك الخزانة فقد جاء فيه " ويثبت ما بخزانة الكتب من المجلـدات، وغيرهـا معارضـاً ذلـك بفهرسـته متطلبـاً ماعسـاه قـد شـذ منهـا وليـأمر خازنهـا بعـد اسـتصلاحه بمراعاتها ونفضها" [٣]

٢- مكتبة المدرسة النظامية

أنشئت هـذه المكتبـة مـع أنشـاء المدرسـة النظاميـة سـنة (٤٥٨هـ/١٠٩٢م)، وفتحـت سـنة (٤٥٩هـ[٤]/١٠٩٣م) .

---

١ - ... جواد ، اول مدرسة في العراق ، ص٤٢.

٢ - كوركيس عواد ، " خزائن كتب العراق العامة" ، مجلة سومر ، مديرية الآثار القديمة العامة ، بغداد مج ٢ ، الجزء الثاني ، ١٩٤٦ ، ص٢٢٦.

٣ - ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٣٣.

٤ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢١٨

ولقد إهتم الخليفة الناصر لدين الله بهذه المكتبة ، فلما زارها ووجد مالحق بها من الاهمال والتلف أمر في سنة (٥٨٩هـ/١١٩٢م) بعمارة خزانتها ونقل اليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلها [١].

ونرى أن ماذهب اليه بعض الباحثين [٢] صحيحاً من أن الناصر نقل تلك الكتب من الخزانة الخاصة به.

وأوكل الناصر لدين الله مهمة إختيار الكتب إلى مبشر بن أحمد بن علي الرازي الذي كان مقرباً إلى أولياء الدولة وبقي على ذلك إلى أن سيّره الناصر برسالة إلى السلطان العادل فتوفي سنة (٥٨٩هـ[٣]/١١٩٢م) .

وتعتبر مساهمة الخليفة الناصر بتجهيز المدرسة النظامية بالآف الكتب عملية ازدهار واسعة لخزانة الكتب فيها [٤].

وكان لها خزنة مشرفون يتولون أمرها والنظر في شؤونها ، وممن تولى هذا المنصب أبو جعفر بن أبي بكر عبيد الله الدباس الذى كان حنبلياً ثم انتقل إلى المذهب الشافعي من أجل تحقيق شروط الواقف وبقي مشرفا لدار الكتب النظامية إلى أن توفي سنة (٦٠١ هـ [٥] / ١٢٠٤ م)، وأوقف المؤرخ ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ /١٢٤٥ م)، خزانتين من الكتب علىالمكتبة النظامية[٦].

٣- مكتبة المدرسة الشرابية

لم يرد لدينا عن خزانة الكتب بالمدرسة الشرابية الا خبر يتعلق بخازن من خزنتها وهو ابن الماوردي ، ذكره ابن الفوطي فقال [٧] : " كان فقيها فاضلا . سافر في صباه إلى خرسان

---

١ - الأيوبي ، المصدر السابق ، ص١٧٠ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ج١٢ ، ص١١٤ ؛ سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٤٢١ ؛ ابن كثير ، ج١٣ ، ص٧ ؛ الغساني ، المصدر السابق ، ص٢٢٤.

٢ - عواد ،"خزائن الكتب"، ص٢٢٧.

٣ - القفطي ، المصدر السابق ، ص١٧٧.

٤ - الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٨٢.

٥ - ابن الساعى ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٦٠ ؛ عواد ، المرجع السابق ، ص٢٢٨.

٦ - ابن العماد ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٢٧ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٨٣.

٧ - تلخيص ، ج٤ ، ق٥ ، ص١٨٢ ؛ معروف ، المدارس الشرابية ، ص١٤٨.

وما وراء النهر وسمع ببخاري من الفقيه العالم جمال الدين المعروف بكوى خرد فندان واستوطن بغداد وكان خازن الكتب بالمدرسة الشرفية ."

٤- مكتبة المدرسة المستنصرية

بعد افتتاح المدرسة المستنصرية سنة (٦٣١ هـ /١٢٣٣ م)، حملت اليها مجموعات كبيرة من انفس الكتب ذوات الخطوط النفيسة والاصول المضبوطة والمحتوية على سائر العلوم.

وقد حملت هذه الكتب على مائة وستين جملا ، سوى ما نقل اليها بعد ذلك ، وجعلت وقفاً بدار الكتب التي أنشئت بالمدرسة [١] .

وأمر الخليفة المستنصر الشيخ ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة الخاصة بترتيب المكتبة ، فحضر إلى خزانة المدرسة ورتبها [٢] أحسن ترتيب ، وقسمها في خزائن على حسب العلوم ليسهل تناولها

٥ - مكتبة المدرسة البشيرية

بعد افتتاح المدرسة سنة (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م) ، نقل اليها من الكتب ستة وثلاثون صندوقاً من الكتب المكتوبة بالخطوط المشهورة ، والنسخ المضبوطة منها مما هو بخط ابن البواب [٣] ، ومصحف بخط الخليفة عثمان بن عفان ، ومصحف بخط زين العابدين بن على بن الحسين عليه السلام ، ومصحف بخط ابن البواب [٤].

أما بالنسبة لبقية المدارس في بغداد في هذه الفترة فقد كان لها مكتباتها الخاصة بها ، وأن عدم الحديث عنها أنما يعود إلى عدم وجود إشارات في مصادرنا حولها .

ب - مكتبات المساجد

قبل أن تنفصل المدرسة عن المسجد ، كان في كل مسجد مكتبة تحوي مختلف الكتب التي وقفها أصحابها عليه ، وعلى راسها نسخ من القرآن الكريم يقرأ بها الناس ، فلما انفصلت

---

١ - مجهول ، الحوادث ، ص٥٣ ؛ الاربلي ، المصدر السابق ، ص٢٨٨ ، الغساني ، المصدر السابق ، ص٤٥٨.

٢ - مجهول ، الحوادث ، ص٥٤.

٣ - هو أبو الحسن على بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب ، توفي سنة ٤١٣ هـ ولم يوجد من المتقدمين ولا من المتأخرين من كتب مثله ولا قاربة . ابن الجوزي ،المنتظم ، ج٨ ، ص١٠.

٤ - الغساني ، المصدر السابق ،ص ص٦٠٩-١٠ ؛ جواد،"المعاهد النسوية"، في التراث ، ج١ ، ص١٣٤.

المدرسة عن المسجد ، لم تختف مكتبات المساجد في المدن ولكنها تضاءلت عدداً واقتصر بعضها على نسخ من القرآن الكريم وعلى الكتب الدينية المحضة .

١ - مكتبة الجامع الزيدي

يقع هذا الجامع بدرب دينار الصغير بالجانب الشرقي من بغداد ، وخزانة كتبه هذه وقفها الشريف أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الزيدي (ت ٥٧٥ هـ [١] / ١١٧٩ م) ، ومعظم الكتب التي حوتها هذه المكتبة فيما بعد كانت وقفا من العلماء ، فقد وقف صبح بن عبدالله الحبشي المتوفى في بغداد سنة (٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م)، الكتب الكثيرة، وكان يتولى خزنها وإعارتها في المكتبة لطلاب العلم إلى حين وفاته [٢] .

وحمل هذا العمل العلماء الاخرين على الاقتداء بهذه المناسبة أمثال الجغرافي ياقوت الحموي الذي وقف كتبه على الجامع الزيدي وسلمها إلى المؤرخ ابن الاثير فحملها بدوره إلى هناك [٣] وخزانة كتب ياقوت لابد أن تكون من أنفس الخزائن واحفلها بالكتب الثمينة خاصة أن هذا العالم الرحالة الذي اتخذ من الاتجار بالكتب حرفة له ، قد جمع لنفسه وللناس بعده كل ما هو نفيس [٤] .

كما وقف عمر بن محمد بن عبدالله بن الخضر أبو الخطاب التاجر ، وهو من أهل دمشق الذي قدم بغداد ، وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى دمشق ، وقبل وفاته اوصى أن تكون كتبه وقفا في خزانة المسجد الزيدي ببغداد ، فأرسلها ورثته إلى بغداد وجعلت مع خزانة الجامع [٥] .

٢- مكتبة مسجد قمرية

الظاهر أن السبب الذي دفع الخليفة المستنصر بالله إلى انشأ هذا المسجد أنه أراد أن يكون دار للعلم والحديث فضلا عن دوره في العبادة ، قبل أن تتم عمارة المدرسة المستنصرية ويؤيد

---

١ - سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص٢٢٧ ؛ مصطفى جواد ، " الاخاء في الثقافة ووقف الكتب " ، مجلة الحضارة ، بغداد ، العدد الثالث والثلاثون ، ١٩٤٤ ، ص٧.

٢ - عواد ، المرجع السابق ، ص٢٢٩.

٣ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٣٩ ؛ ابن المستوفي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٢٤.

٤ - عواد ، المرجع السابق ، ص٢٣٠.

٥ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، مخ ، ج٣، ورقة ١١٤ ب - ١١٥ أ.

ما ذهبنا اليه قول ابن الكازروني :" فتمت عمارتـه في سنة ست وعشرين وستمائة وشرط أن يكون فيه من المتلقين ثلاثين نفسا وشيخ مصل به ومعيد " [١] .

ولتحقيق هذه الغاية العلمية فقد جعل في المسجد خزانة كتب تحوي نفائس الكتب [٢] .

ج – مكتبات الربط

كان للربط أثـر كبيـر فـي إثـراء الثقافـة ونهضـة التعليـم فـي العراق خـلال هـذه الفترة ، بالاضافـة إلى الخدمـات الإجتماعيـة والدينيـة التي كـانت تؤديها للمقيمين بها مـن الصوفية ، وساهمت في هـذه الحركة العلمية بما ساعد علـى قيامها بهذا الـدور أن الواقفين لهـذه الربط قـد انشأوا فيهـا الخزائـن، ووقفوا فيهـا الكتـب ، وعينـوا لهـا القـوام والخزنـة فكان الزهاد المتصوفـة يترددون علىمكتباتها،

وكـذلك كـان يفعل طـلاب العلـم . وكـان العلمـاء يتخـذون مـن الـربط مكانـاً للقـراءة والمطالعـة والاستنساخ والتأليف ، يساعدهم على ذلك مكتباتها العامرة وامكانية مكوثهم فيها اوقات طويلة ، وما يهيأ لهم فيه من معونة تتمثل في الطلاب و المتصوفه الذين كانوا على استعداد تـام للتعـاون طلبا للثواب من الله عز وجل[٣]، ومن هـذه المكتبـات مكتبـات الربط التاليه :

١ – مكتبة رباط شيخ الشيوخ[٤] .

أشتمل هـذا الربـاط علـى خزانـة مـن الكتـب الموقوفـة ضمـت فيمـا يبـدو أمهـات الكتـب و المصنفات أشتهر منها كتاب ذيل تارخ بغـداد للسمعاني [٥]، قـال ابـن الدبيثـي فـي ترجمتـه [٦] "

---

١ – مختصر ، ص٢٦٠ ص-٢٦١ .

٢ – مجهول ، الحوادث ، ص٤٠ ؛ عواد ، المرجع السابق ، ص٢٣٤ ؛ الرحيم ، المرجع السابق ، ص٢٠١.

٣ – عسيري،المرجع السابق،ص٢٣٩.

٤ – ينسب هذا الرباط لابي سعيد أحمد بـن محمد النيسابوري (ت ٤٧٧هـ/١٠٨٤م) و يقع في محله نهر المعلىبالمشرعه. ابن الجوزي ،المنتظم،ج٩،ص١١؛ابن الاثير ،المصدر السابق،ج١٠،ص١٥٩؛الرحيم المرجع السابق،ص١٤٠.

٥ – هو أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني المروزي الشافعي ورد بغداد سنه ٥٣٢هـ و توفي سنه ٥٦٣هـ . ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٢٢٤؛ابن الاثير ،المصدر السابق،ج١١،ص٣٣٣.

٦ – ذيل تاريخ بغداد،مخ،ج٢،ورقه ١٦٤؛الرحيم،المرجع السابق،ص١٧٣.

كتب عن عامة شيوخ بغداد في وقته و بحث عن أحوالهم و وذكر حفاظها وجمع لها تاريخا جعله مذيلا على تاريخ أبي بكر أحمد ابن علي بن ثابت الخطيب لها عشر مجلدات بيضه في بلده بعد عودته اليه ووقفه و نفذ به إلى بغداد و جعله برباط شيخ الشيوخ و كتابنا هذا ذيلا عليه" .

٢- مكتبة رباط الشونيزيه[١]

وكان في هذا الرباط مكتبة حافلة لخدمة طلبة العلم و الصوفية الميقمين في الرباط،و لعل هذا ما دفع أبو حامد أحمد بن محمد اسحاق البلخي الأصفهاني المتوفي في بغداد بعد سنه (٥٧٠هـ/١١٧٤م)،إلى وقف كتبه بهذا الرباط [٢] .

٣- مكتبة رباط السيدة سلجوقي خاتون

أنشأه الخليفه الناصر إلى جانب تربة زوجته السيدة سلجوقي خاتون (ت٥٨٩هـ[٣]/١١٩٢م) وكان في هذا الرباط خزانة كتب أحتوت على نفائس الكتب.

وخزانة هذا الرباط كانت من الأهمية بحيث أناط الخليفة الناصر مهمة إختيار كتبها إلى مبشر الرازي الذي كان يقوم بأختبار الكتب للمدرسة النظامية و دار المسناة[٤].

٤ - مكتبة رباط المأمونية

وقد أنشأته السيدة زمرد خاتون في محله المأمونية و فتح هذا الرباط سنة (٥٧٩[٥]هـ/١١٨٢م)،وقد كان في الأصل دار للأمير سنقر المستنجدي أخذت تلك الدار منه بعد القبض عليه ،و عملته رباط للصوفية[٦] .

---

١ - قال ياقوت و الشونيزيه مقبرة بالجانب الغربي من بغداد و قد دفن فيها السري سقطي و الجنيد وغيرهم من الزهاد ،معجم البلدان ،ج٣،ص ص٣٧٣-٤؛جواد وسوسه،دليل خارطه بغداد،ص٨٩.

٢ - ابن الدبيثي ، المصدر السابق ، ،ج٢ ، ورقة ١٠٤ ، الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٧٤.

٣ - ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص١٨٨ ؛ ابن الكازروني ، مختصر ؛ ص٢٠٥ : الغساني ، المصدر السابق،ص٢٠٥.

٤ - القفطي،المصدر السابق،ص١٧٧؛ عواد،المرجع السابق،ص٢٣٢.

٥ - ابن الدبيثي،المصدر السابق،مخ،ج٣،ورقه ١١؛سبط بن الجوزي،المصدر السابق،ج٨،ق١،ص٣٦٥.

٦ - المصدر نفسه،ج٨،ق١،ص٣٦٥.

كان هذا الرباط على درجة كبيرة من الرقي العلمـي بما إحتواه من كتب جعلته محجاً لاهل العلم ،فيقصدونه للبحث و النقاش ،و يتولى الإشراف عليه مشاهير العلماء،و نستخلص هـذه الاهميه مما ذكره ياقوت الحموي [١]"فقد حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية و خازنها يومئذ أحمد بن هبة الله فجرى حديث المعري فذمه الخازن و قال :كان عندي في الخزانه كتاب في تصانيفه فغسلته ،فقال له الوجيه :وأي شيء هذا الكتاب؟ فقال:كان كتاب نقض القرآن الكريم.فقال له: أخطأت في غسله .فعجب الناس و تغامزوا عليه و استشاط ابن هبة الله وقال : مثلك ينهى عن هذا ؟ قال : نعم .لايخلوأن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خير منه أو دونه، فأن كان مثله أو خيرا منه ،حاشى لله أن يكون ذلك، فلا يجب التفريط في مثله، وان كان دونه و ذلك مما لا شك فيه،فتركه معجز للقرآن،فلا يجب التفريط به ، فاستحسن الجماعة قوله ووافقه ابن هبه الله على الحق و سكت" .

ومن الكتب التي إحتواها هذا الرباط كتاب الفنون لابي الوفاء علي بن عقيل ،قال سبط بن الجوزي [٢] ، " هو مائتا مجلد جمعه طول عمره وقد طالعت منه في بغداد في وقف رباط المأمونية نحو من سبعين مجلدا"

٥- مكتبة رباط الحريم الطاهري [٣]

وهو من الربط التي أنشأها الخليفة الناصر سنة (٥٨٩(٣)/١١٩٢م)،وقد نقل اليه الناصر كعادته الكثير من الكتب من مكتبته الخاصة[٤] .

وصفه ابن الاثير: " و هو من أحسن الربط و نقل اليه كتب كثيرة من احسن الكتب"[٥] .

---

١ - معجم الادباء،ج٥،ص٢٢٦٦يحيى محمود ساعاتي،الوقف و بنية المكتبة العربية ، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات ،الرياض، ١٩٨٨ ،ص ص١٠٨-٩.

٢ - مرآة الزمان ،ج٨،ق٢،ص٨٤٠.

٣ - الحريم الطاهري بأعلى مدينه السلام ببغداد في الجانب الغربي منسوب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب،وكان من لجأ اليه آمن ولذلك سمي بالحريم الطاهري. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج،ص،صالح أحمد العلي، "الحريم الطاهري" ،مجلة الاقلام،بغداد،الجزء الثامن،السنه الخامسه،١٩٦٩،ص ص٦٨-٩.

٤ - ابن الاثير ،المصدر السابق، ج١٢،ص١٠٤.

٥ - المصدر نفسه و الصفحه.

٦- مكتبة رباط الأخلاطية

أنشأه الخليفه الناصر بمشرعة الكرخ مجاور لتربة زوجته سلجوقي خاتون [١].وقد كان فيه خزانة كتب مشتركه بين الرباط و التربة[٢].

٧- مكتبة رباط ابن النيار

ينسب هذا الرباط إلى الشيخ عز الدين ابن النيار (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، و يقع بالجانب الشرقي من بغداد،وقد توفرت فيه خزانة كتب قال عنها ابن الفوطي [٣]:" أنشأ به خزانه للكتب النفيسة و الخطوط المنسوبة"

د-المكتبات الشخصية (الخاصة)

انتشر هذا النوع من المكتبات في جميع أنحاء العالم الاسلامي، وحرص الخلفاء و الأمراء والوزراء و العلماء على اقتناء مجموعة ضخمة من الكتب ،و أن كنا نسميها خاصة لانها تخص أفراد معينين أنشأوها لفائدتهم و مصلحتهم ،و من أموالهم الخاصة ،الا أنها كانت في "الغالب نصف عامه أن جاز التعبير[٤]"،فبعضهم يفتحها للناس جميعا أو يوقفها على طلاب العلم كما فعل ابن المارستانية [٥] .

١ - المكتبات الخلافية

إهتم الخلفاء في هذه الفتره بالعلم،فألف الخليفه الناصر لدين الله كتاب "روح العارفين" وأجاز للعلماء بالرواية عنه،و من الطبيعي أن هذا الاهتمام كان يرتبط معه الاهتمام بالكتب واقتنائها فكان له خزانة كتب عظيمة الشأن ذكر القفطي [٦] "أنه أوقف جزءاً منها على خزانة دار

---

١ - الاربلي،المصدر السابق،ص٢٨٢.

٢ - ابن الفوطي،المصدر السابق،ج٤ق١،ص٢٩٣،ناجي معروف، اصاله الحضاره العربيه ،ط ٢، مطبعة التضامن،بغداد،١٩٦٩،ص٤٦١.

٣ - تلخيص،ج٤،ق١،ص١٣٣؛الرحيم،المرجع السابق،ص١٧٦.

٤ - محمد ماهر حماده،المكتبات في الاسلام نشأتها و تطورها و مصائرها،مؤسسة الرسالة،ط ٢، بيروت،١٩٧٨،ص٨٦.

٥ - الذهبي،مختصر،ج٢،ص١٨٧.

٦ - أخبار الحكماء،ص١٧٧.

المسناة [١] التي أستحدثها الخليفة الناصر ،و على خزانة الرباط الخاتوني،و خزانة المدرسة النظامية"، كما أنه أنشأ دار المسناة وجعلها دار علم ،وفيها مكتبة خاصة بها، أعتمد في أختيار كتبها على مبشر الرازي [٢].

و قد حرص الناصر على تربية ولديه أبي نصر محمد (الخليفة الظاهر) وأبي الحسن علي،و قد حدث الظاهر عن والده وروى الحديث عنه[٣].كما أجاز لمجموعة من العلماء بالرواية عنه [٤] .

وكان الخليفه المستنصر بالله فيه ميل إلى العلوم محسن للخط،و من محبته للعلوم أنشأ خزانة للكتب،جمع فيها من أنواع العلوم على أختلافها و تباينها[٥].

وفي سنه (٦٤٢هـ/١٢٤٣م)، أنشأ الخليفة المستعصم خزانتين للكتب و جعل فيها من نفائس الكتب من سائر العلوم [٦] و كتب على وجه الأولى منها:

أنشأ عمارتها خليفة عصره — لازالت الأملاك من أنصاره

مستعصم بالله من أوصافه — جمع العلوم بليله و نهاره

فأصولها من بيته و فروعها — تقرأ عليه و كتبه في داره

و كتب على وجه الأخرى.

خليفة الله قد أكملت بنيتها — فليس في وقتها شيئاً يدانيها [٧]

---

١ - دار المسناة على ما ذكره مصطفى جواد هي البناء العتيق الذي تقوم بقاياه اليوم في قلعة بغداد على ضفة دجله اليسرى.للمزيد حول دار المسناه أنظر مصطفى جواد ، " دار المسناه الناصريه دار علم و علماء"، بحث مستقل من مجلة كلية الادب ،جامعة بغداد،١٩٦٠، ص ص ٢١-٣٨.

٢ - القفطي،المصدر السابق،ص١٧٧؛ [illegible] عواد ، المرجع السابق،ص٢٣١.

٣ - الاربلي،المصدر السابق،ص٢٨٤؛الذهبي،مختصر ،ج١،ص١٩.

٤ - ابن الكازروني،مختصر ،ص٢٥٥.

٥ - الأربلي، المصدر السابق، ص٢٨٦.

٦ - الغساني، المصدر السابق،ص٥١٦.

٧ - المصدر نفسه و الصفحه.

و قال ابن الطقطقى (١) في وصف المستعصم بالله : " وفي بعض الاوقات كان يجلس بخزانة الكتب جلوسا ليس فيه كبير فائدة."

وسلم المستعصم هذه الخزانة إلى عبد المؤمن(٢) الذي كان يجلس بباب الخزانة يستنسخ له ما يريد(٣).

٢- خزانة الوزير ابن القصاب

نشأ الوزير مؤيد الدين بن المظفر محمد بن أحمد بن القصاب مشتغلا بالعلم و الادب، وبرع في العلوم و خاصة:الرياضات و المساحات و المقاسات و أنشأ خزانه كتب في درب الخياطين ببغداد(٤).

٣-خزانة ابن المارستانية

أنشأها الطبيب أبو بكرمجد الدين عبيد الله بن علي (ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م).فقد بنى دارا بدرب الشاكرية(٥) وسماها دارالعلم وجعل فيها خزانه كتب أوقفها على طلاب العلم (٦).

ولكن فيما يبدو أن دار العلم المارستانية أصابها الضرر بسبب سوء سيرة ابن المارستانية فبعد سجنه، بيعت كتبه التي أوقفها في دار العلم،من قبل السلطة آنذاك مع سائر أمواله (٧).

٤- خزانة أبي الخير الطبيب

هو أبو الخير مسيحي بن أبي البقاء الطبيب (ت ٦٠٨هـ/١٢١١م)، فقد كانت له خزانة ضمت كتبا كثيره في الحكمة و ما يتعلق بها،حيث خرجت عن الحصر من الكثره،و قيل أنه إذا وقعت في يده نسخه من كتاب و خشي المزايده عليه خرمه لينقص من ثمنه و يبتاعه(٨).

---

١ - الفخري،ص٣٣٣.

٢ - هو صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الارموي كان مقربا من المستعصم حتى صار من خواصه.ابن الطقطقى ،المصدر السابق،ص٣٣٣.

٣ - المصدر نفسه و الصفحه.

٤ - ابن الطقطقى،المصدر السابق،ص٣٢٤.

٥ - درب الشاكريه :تقع في الجانب الشرقي من بغداد بجوار محله نهر المعلى.ابن الجوزي، المنتظم، جـ٧، ص٤٤.

٦ - الذهبي،مختصر ،ص١٨٧.

٧ - الرحيم،المرجع السابق،ص١٧٢.

٨ - القفطي،المصدر السابق،ص٢١٨،عسيري،المرجع السابق،ص٢٠٣.

٥- خزانة عبد السلام الجيلاني

وكان لعبد السلام بن الشيخ عبد القادر الجيلاني مكتبة ضخمة حوت كتبا كثيره في علوم الاوائل،وأتهم بالتعطيل،و أنه يرجع إلى أقوال الفلاسفه فكبست داره و أحرقت كتبه [١].

هـ -مكتبات الترب

ظهر في هذا الفترة نوع جديد من المكتبات و التي يمكن أن نسميها مكتبات الترب (المقابر) و لعل السبب في إنشائها كما نعتقد ديني محض ،يرتبط بحديث الرسول-ص- :" إذا مات ابن ادم أنقطع عمله الا من ثلاث ،صدقة جارية أو علم ينتفع به،أو ولد صالح يدعو له"[٢] ، ولديمومة هذه الصدقه فقد أوقفوا هذه الكتب مدى الحياة و جعلوا لها الحفظة و الخزنة.

١- مكتبة تربة سلجوقي خاتون

أنشأت هذه التربة السيدة سلجوقي خاتون زوجة الخليفة الناصر لكنها لم تتمها،فأكمل بناءها الخليفة الناصر ،و تقع بالجانب الغربي عند مشهد عون و معين ولدي الامام علي -عليه السلام - [٣].وبذلك تكون مجاورة لرباط سلجوقي خاتون.

ووقف بها خزانة كتب نفيسة "تعار لمن طلبها بالرهن" [٤] وفي هذا النص دلاله على طريقة الاستعارة الملزمة و التي بدورها تعكس القيمة العلمية لهذه الخزانة، ولما كانت هذه التربة مجاورة لرباطها فأصبحت هذه الخزانة مشتركة بينهما [٥].

---

١ - وقد فصل المؤرخون حادثه احراق كتب الجيلاني.فقد كان عبد السلام الجيلاني كما هو معروف من بيت تصوف و علم،وكان قد قرأ علوم الاوائل ،فأمر الناصر بأن تخرج هذه الكتب و تحرق بحضور الناس،واحضر لها عبيد الله البكري المعروف بأبن المارستانية و جعل له منبر فصعد عليه و خطب خطبه لعن بها الفلاسفه ومن يقول قولهم و ذكر عبد السلام،و كان يخرج الكتب : كتابا فيتكلم عليه و يذمه ثم يلقيه في النار. القفطي، المصدر السابق، ص١٥٤؛ ابن العماد، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ص ٤٥-٦ ؛ حماده ، المرجع السابق،ص ص ٢٠٠-١.

٢ - رواه الخمسه الا البخاري.منصور علي ناصف،التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول،٢ج ،دار الفكر،بيروت،١٩٧٥،جـ١ ،ص٧٥.

٣ - ابن الساعي،نساء الخلفاء،ص١١٧؛ابن الفوطي،المصدر السابق،جـ٤ ،ق١ ،ص٢٩٣.

٤ - ابن الساعي،نساء الخلفاء،ص١١٨.

٥ - الرحيم،المرجع السابق،ص١٦٣.

٢- مكتبة تربة زمرد خاتون

تقع هذة التربة عند قبر الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد [١] ،قال أبو شامه[٢] عنها :" وقفت عليها الأوقاف " و بالرغم من عدم اشارة النص السابق إلى نوعيه تلك الأوقاف ،ولكن الدارج أن بينها الكتب،لأنها اصبحت نواة لمكتبة عامرة،ومما يؤكد ذلك أنه سنه (٦١٥هـ/١٢١٨م) عندما توفي نجاح الشرابي "وقفت كتبه في هذه المكتبه " وكانت له خمسمائه مجلدة فأوقفها في تربة أم الخليفة و كتب عليها أسم الشرابي" [٣].

١ - أبو شامه، الذيل، ص١١٤.

٢ - المصدر نفسه و الصفحه.

٣ - سبط الجوزي،المصدر السابق،جـ٨،ق٢،ص٦٠٠؛أبو شامه،الذيل،ص١١٤؛الرحيم،المرجع السابق، ص١٦٥.

أما وسائل التسلية ، وخاصة الفروسية ورياضة السعي في هذه الحقبة فلم يكن دافعها الوحيد التسلية وملء الفراغ ، بل كانت غايتها أكبرفهي مرتبطة بالفتوة ، ومن صفات الفتى الشدة والبأس، وعليه أن يمارس مختلف الرياضات .

وبعد دراسة الخدمات والمرافق العامة لمدينة بغداد ، تبين أن معظم هذه المرافق كالمدارس والبيمارستانات والمكتبات ، كانت من عمل أفراد ، ولم يكن للدولة ذلك الدور الفعال في هذا المجال ، وأسهمت مؤسسة الوقف اسهاماً كبيراً في انشاء هذه المؤسسات والمحافظة على ديمومتها، وكانت اسباب الوقف ما هو ديني ، يعود الى تقوى صاحب الوقف ورجائه الثواب من الله بسبب ما كان للدين من اثر على حياة الناس ، فضلاً عما طبعت عليه النفس البشرية من حب الشهرة والثناء ، والميل الى تخليد الذكر بعد الموت .

أن هذه الدراسة تسد ثغرة كبيرة في دراسة أحد الجوانب في التاريخ العباسي ظلت مهملة يبتعدعنها الباحثون بسبب وعورتها .

ختاماً أرجو أن أكون قد أوفيت البحث حقه ، وأسأله تعالى أن يوفقنا لما فيه خدمة العلم، وخير الأمة .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المخطوطات

- البخاري، محمد بن يحي ، (مجهول تاريخ الوفاة).

١- رسالة في فضيلة العمامة ، مخطوطة ضمن مجموعة من الرسائل في مكتبة الاوقاف، بغداد ، رقم ٣٧٩٩ ،(نسختي الخاصة، المصورة عن الاصل).

- البصري ، علي بن ابي الفرج ، (عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)

٢- المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية ،ميكرو فيلم مصور عن مخطوطة باريس رقم (٦١٤٤) ، محفوظة في المكتبة المركزية الثانية لجامعة بغداد ،رقم ٢٢٥.

- ابن الدّبيثي ، ابو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي ، (ت٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م).

٣- ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، الجزء الثاني صورة عن المخطوطة بدار الكتب الوطنية بباريس ، محفوظة في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب جامعة بغداد ، رقم ١٢٤٢ ، والجزء الثالث صورة عن المخطوطةبدار الكتب الوطنية بباريس محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ، رقم ٣١/تاريخ

- ابن الشعار الموصلي ، ابو البركات بن المبارك بن ابى بكر حمدان ، (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

٤- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان ، نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة اسعد افندي باستانبول محفوظة في مكتبة جامعة مؤتة (المجموعات الخاصة).

-ابن ابى عذيبة ، شهاب الدين أحمد بن محمد عمر ، (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م)،

٥- انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، صورة عن المخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم ١٠٨٣.

- الغياثي ، عبد الله بن فتح الله البغدادي ، (كان حيا سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م).

٦-التاريخ الغياثي ، صورة عن المخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، رقم ١٧/تاريخ.

- القرمشهري ، محمد بن ولي ، (مجهول تاريخ الوفاة).

٧-رسالة في شؤون السقايات ، ضمن مجموعة رسائل في المكتبة القادرية ببغداد ،رقم ١٤٥٦ .

-ابن ميمون ،عبد الله ، (عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).

٨- الافادة والتبصير لكل رام مبتدئ وما هو مهير بالسهم الطويل والقصير ، صورة عن المخطوطة ، رقم ١٢١٣ في مكتبة كوبرلي في استانبول نشرتها جامعة فرانكفورت المانيا ، بعناية فؤاد سزكيس.

ب) المصادر المطبوعة

٩- القرآن الكريم

- الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد ،(ت٨٥٠ هـ/١٤٤٦ م) .

١٠- المستطرف في كل فن مستظرف ، ٢جـ ، مكتبة الحيل ، بيروت . ١٩٨٨.

- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد ، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١١- الكامل في التاريخ ،١٢جـ. دار صادر ، بيروت ،١٩٦٦م.

-ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن احمد القرشي ،(ت٧٢٩هـ / ١٣٢٩م).

١٢- معالم القربة في احكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبين لوي، مطبعة دار الفنون ،كمبرج ، ١٩٣٧م.

- الاربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتو ، (ت٧١٧ هـ/ ١٣١٧م).

١٣- خلاصة الذهب المسبوك من سير الملوك ، صححه مكي السيد جاسم ،مكتبة المثنى ،بغداد ١٩٦٤م.

- الازدي ، ابو المطهر بن احمد ،(عاش في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي).

١٤- حكاية ابي القاسم البغدادي ،طبعه بالاوفست عن طبعة كرل ونترفي هيدلبرج ،١٩٠٢م.

- ابن الازرق ،ابو عبد الله محمد بن علي ،(ت٨٩٦هـ/١٤٩٧م).

١٥- بدائـــع السلك فـــي طبائع الملك ،تحقيق علي النشار ، ٢ج ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٧م).

- الاسنوي ،جمال الدين عبد الرحيم ،(ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م).

١٦- طبقات الشافعية ،تحقيق عبد الله الجبوري ،٢جـ ،ط[١] ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٠م.

-ابن ابي اصيبعة ،موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم الخزرجي ،(ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)

١٧-عيون الانباء في طبقات الاطباء ،تحقيق نزار رضا ،٢ج في مجلد ، دارمكتبة الحياة ، بيروت،(د.ت).

الايوبي ،محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه،(ت٦١٧هـ/١٢٢٠م).

١٨- مضمار الحقائق وسر الخلائق ،تحقيق حسن حبشي ،عام الكتب ،القاهرة ،١٩٦٨م.

- ابن بسام ،محمد بن احمد المحتسب ،(عاش في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي)

١٩- نهايـة الرتبـة فـي طلب الحسبة ،تحقيـــق حســـام الديـــن السامـرائـــي ،مطبـــعة المعارف، بغداد،١٩٦٨م.

-ابن بطلان ،ابو الحسن بن الحسن بن عبدون (ت٤٥٥هـ/١٠٦٩م)

٢٠- رسالة في شري الرقيق وتقليب العبيد ،تحقيق عبد السلام هارون،ضمن مجموعة من نوادر المخطوطات ،٤ج ،مطبعة مصطفي البابي الحلبي ،مصر ،١٩٧٣.

- ابن بطوطة ،محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ،(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

٢١- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ،تحقيق علي المنتصر الكتاني ،٢جـ،ط٣، مؤسسة الرسالة ،بيروت،١٩٨١م.

-البغدادي ،محمد بن الحسن بن محمد الكاتب ،(ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م).

٢٢- الطبيخ ،اعاد نشرة فخري البارودي ،دار الكتب الجديدة ،بيروت ،١٩٦٤م.

-التادفي،محمد بن يحيي الحنبلي ،(ت٩٦٣هـ/١٥٥٦م).

٢٣- قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني ،مصر ، (د.ت).

-التطيلي ، بنيامين بن يونة ،(ت٥٦٩هـ/١١٧٣م).

٢٤- رحلة بنيامين ،ترجمة عزرا حداد ،ط١ ، المطبعة الشرقية ،بغداد ،١٩٤٥م.

-ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف ،(٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

٢٥- النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ،١٢جـ ،طبعة مصر عن طبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،(د.ت).

- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م).

٢٦- الحيوان ،تحقيق عبد السلام هارون ، ٧جـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ،١٩٥٨م.

- ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد ،(ت٦١٤هـ/١٢١٧م).

٢٧- رحلة ابن جبير المسماة رسالة اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك ،مكتبة الهلال ، بيروت، ١٩٨١م.

-ابن جماعة ،ابراهيم بن عبد الرحيم بن محمد الكناني ،(ت٧٧٣هـ/١٣٨١م).

٢٨- تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم ، تحقيق عبد الامير شمس الدين ،ط٢، دار اقرأ ، بيروت ،١٩٨٦م.

- الجواليقي ، ابو منصور مرهوب بن أحمد ،(ت٥٤٠هـ/١١٤٥).

٢٩- المعرب من الكلام الاعجمي علي حروف المعجم ،تحقيق احمد شاكر ،مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٣٦١هـ.

- ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن ،(ت٥٩٧هـ / ١٢٠١م).

٣٠- اخبار الحمقى والمغفلين ، باعتناء عبد القادر المغربي ، مطبعة التوفيق ،دمشق ،

١٣٤٥هـ.

٣١- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، (٥-١٠جـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الهند ، ١٣٥٧-١٣٥٩هـ .

٣٢- اخبار الظراف والمتماجنين ،راجعه وقدم له عبد الرزاق سعد ،مكتبة الكليات الازهرية ،القاهرة ، (د.ت).

٣٣- الاذكياء ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة ،ط٥ ،دار الافاق الجديدة ،بيروت ،١٩٨٣م .

٣٤- القصاص والمذكرين ،تحقيق محمد لطفي الصباغ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٣٥- تلبيس إبليس ، تحقيق السيد الجميلي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

- الجيلاني ، عبد القادر ، (ت٥٦١هـ/١١٦٥م) .

٣٦- فتوح الغيب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٠ م .

٣٧- الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل ، تحقيق فرج توفيق الوليد ، ٣جـ ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، ١٩٨٧م .

- الحسيني ، تاج الدين بن محمد بن حمزة ، (ت ٩٢١هـ/١٥١٥م).

٣٨- غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ،مطبعة بولاق ، ١٣١٠ هـ .

- الحسيني ، صدر الدين ابو الحسن علي ، (عاش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) .

٣٩- اخبار الدولة السلجوقية ، اعتنى بتصحيحه محمد اقبال ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٤م .

- الحصني ، تقي الدين ابو بكر محمد ، (كان حيا سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .

٤٠- كفاية الاخبار في حل غاية الاختصار ، دار الفكر ، عمان ، (د.ت) .

- الحموي ، محمد بن علي ، (ت٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) .

٤١- التاريخ المنصوري ، المسمى تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق ابو العيد دودو ، مطبعة الحجاز ، دمشق ، ١٩٨١م .

- الحميري ، ابو عبد الله محمد بن ابي عبد الله ، (ت٧٢٧هـ/١٣٢٥م) .

٤٢- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط ٢ ، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٩٨٤ م .

- الحنبلي ، احمد بن ابراهيم بن نصر الله ، (ت٨٧٦/١٤٧١م) .
٤٣- شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ناظم رشيد ، دار الحرية للطباعة ،بغداد ،١٩٧٨م .
-الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت ، (ت ٤٦٣ هـ /١٠٧٠ م) .
٤٤- تاريخ بغداد ، ١٤جـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- الخطيب الشربيني ، ابو زكريا يحي بن شرف النووي ، (عاش في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي) .
٤٥- مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج ، ٢جـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٢ م .
- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ، (ت ٦٨١هـ/١٢٨٣م) .
٤٦- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، ٨جـ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٥ م) .
٤٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ٥ج ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .
-الخوارزمي ، ابو عبد الله محمد بن يوسف ، (٣٨٣هـ/٩٩٣م) .
٤٨- مفاتيح العلوم ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ،١٣٤٢م .
- ابن الدبيثي ، ابو عبد الله محمد بن سعد ، (ت٦٣٧ هـ/ ١٢٤٠م).
٤٩- ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، حقق حرف الميم منه بشار عواد معروف ،٢جـ، الجزء الاول، دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٤ ، والجزء الثاني، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ م .
- ابن دحية ، ابو الخطاب عمر بن ابي علي (٦٣٣هـ /١٢٣٥م) .
٥٠- النبراس في تاريخ بني العباس ، صححه وعلق عليه عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٦م .
- الدمشقي ، ابو الفضل جعفر بن علي ،(عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) .
٥١- الاشارة الى محاسن التجارة ، مطبعة المؤيد ، دمشق ، ١٣١٨هـ .
- ابن الدمياطي ، الحافظ شهاب الدين أحمد بن ايبك ، (ت٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م) .
٥٢- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ محي الدين بن النجار ، حققــه وعلق عليه محمد

مولد خلف ، اشرف على التحقيق بشار عواد معروف ، ط [1]،مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٦م .

– الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، (ت٨٠٨هـ /١٤٠٥ م).

٥٣- حياة الحيوان الكبرى ، ٢جـ في مجلد ، المكتبة الاسلامية ، (د.م)،(د.ت)

– الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن ، (ت٩٩٦هـ/١٥٨٨م) .

٥٤- تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ، ٤جـ في مجلدين ، بيروت ، (د.ت) .

– الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ، (ت٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م) .

٥٥- المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد القرشي ، ٣جـ ، الاول تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥١ ، الجزء الثاني تحقيق مصطفى جواد ، مطابع الزمان ، بغداد ، ١٩٦٣ ، والثالث تحقيق مصطفى جواد ، ومراجعة ناجي معروف ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٧م .

٥٦- سير اعلام النبلاء ، تحقيق بشار معروف ، محي الدين سرحان ، الجزئين ٢٢و٢٣ ، ط١، مؤسسة الرسالة ،بيروت،١٩٨٥ .

٥٧- العبر في اخبار من غبر ،حققه وضبطه ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ٣جـ دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د.ت) .

٥٨- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ،تحقيق بشار معروف والشيخ شعيب الارناؤوط وصالح عباس ، ٤ طبقات تغطي الفترة ٦٠٠هـ-٦٤٠ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٨٨م .

– الراوندي ، محمد بن علي بن سلمان ،(كان حيا سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م) .

٥٩- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، عربه ابراهيم الشواربي وعبد النعيم محمد حسنين ، دار القلم ، القاهرة ،١٩٦٠ م.

–ابن رجب ، ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد الحنبلي ، (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م) .

٦٠- الذيل على طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد حامد الفقي ،٢جـ،مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ،١٩٥٢ م.

– الرفاعي ، السيد احمد ،(ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م) .

٦١- الحكم الرفاعية ، جمعها واعدها ياسر سعدي ابراهيم ،مكتبة الشرق الجديد ،بغداد ،١٩٩٠م.

–ابن الساعي ، تاج الدين ابو طالب علي بن انجب (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م) .

٦٢- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، تحقيق مصطفي جواد ،ج٩ ،المطبعة

السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٩٣٤م .
٦٣- نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ،تحقيق مصطفى جواد ،دار المعارف ،مصر ،(د.ت).
- سبط بن التعاويذي ، ابو الفتح محمد بن عبد الله ،(ت٥٨٣هـ/١١٨٧م).
٦٤- الديوان ، نشره مرجليوث ، مطبعة المقتطف ،القاهرة ،١٩٠٣م .
-سبط بن الجوزي ، شمس الدين ، ابو المظفر يوسف بن قزأوغلي ،(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) .
٦٥- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ،الجزء الثامن في مجلدين ، ط١ ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيد اباد ،١٩٥١-١٩٥٢م.
-السبكي ،تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي ،(ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) .
٦٦- طبقات الشافعية الكبرى ،تحقيق محمد الحلو ومحمد الطناحي ،٦جـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ،١٩٦٤-١٩٦٨م .
- ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى المغربي ،(ت٦٨٥هـ/١٢٨٤م) .
٦٧- كتاب الجغرافيا ،حققه ووضع مقدمته وعلق عليه اسماعيل العربي ،منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠م .
-السهروردي ،شهاب الدين ابو حفص عمر بن محممد بن عبد الله ، (ت٦٣٢هـ/١٢٣٥م) .
٦٨- عوارف المعارف ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ١٩٦٦م .
- السهروردي ، ابو النجيب عبد القاهر ، (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م) .
٦٩- آداب المريدين ، حققه وقدم له مناحيم ميلسون،منشورات معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٧٧م .
- السيوطي ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) .
٧٠- طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر ، ط١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٩٧٣م .
٧١- تاريخ الخلفاء ،ط٢ ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٩٨٨م .
-ابوشامه ، شهاب الدين ابو محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ، (ت٦٥٦هـ/١٢٦٦م) .
٧٢- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ،صححه الشيخ محمد زاهد الكوثراني ، ط٢ ،دار الجيل ،بيروت ،١٩٧٤م.
٧٣- الروضتين في اخبار الدولتين .الجزء الثاني ، القاهرة ،١٨٧٠ م.
-ابن شداد ،بهاء الدين يوسف بن رافع ،(ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م).

٧٤- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ،١٩٦٤ م.
- الشطنوفي ، نور الدين ابو الحسن علي بن يوسف ، (ت٧١٣هـ/١٣١٣م) .
٧٥- بهجة الاسرار ومعدن الانوار ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، ١٢٣٠هـ .
- الشعراني ،ابو المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي ،(ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٧م) .
٧٦- الطبقات الكبرى المسمى لواقح الانوار في طبقات الاخيار ،٢جـ في مجلد ، مطبعة مصطفى
البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٤م.
- شيخ الربوة ،شمس الدين ، ابو عبد الله محمد بن ابي طالب ، (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) .
٧٧- تحفة الدهر في عجائب البر والبحر ،مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ،بطرسبورغ، ١٨٦٥ م .
-الشيزري ،عبد الرحمن بن نصر ، (ت٥٨٩هـ/١١٩٣ م) .
٧٨- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشره السيد الباز العريني ،مطبعة لجنة التأليف والنشر ،القاهرة ،١٩٤٦ م .
- الشيوخي ،بهاء الدين احمد بن محمد بن مهدي الرفاعي ،(ت١٢٨٧هـ/١٨٧٠ م) .
٧٩- بوارق الحقائق ،عني بنسخه وتحقيقه عبد الرحيم بن سليم بن عبد الباسط ، مكتبة النجاح ،طرابلس ليبيا ،(د.ت) .
-الصابئ ،ابو الحسن الهلال بن المحسن ،(ت٤٤٨هـ/١٠٥٦ م) .
٨٠- رسوم دار الخلافة ،تحقيق ميخائيل عواد ،بغداد ،،١٩٦٤ م .
- ابن الصابوني ،جمال الدين ابو حامد بن محمد ، (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م) .
٨١- تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب ، ط١ ،مكتبة عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦ م.
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ،(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣ م) .
٨٢- نكت الهميان في نكت العميان ، وقف على طبعه احمد زكي بك ، المطبعة العالمية ،مصر ،١٩١١م .
- ابن الطقطقى ، محمد بن علي بن طباطبا ،،(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) .
٨٣- الاداب السلطانية والدول الاسلامية ،دار صادر ،بيروت ،١٩٦٦ م .
-ابن عبد الحق ،صفي الدين عبد المؤمن ،(ت٧٣٩هـ/١٣٠٨م) .
٨٤- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ،تحقيق علي محمد البجاوي ،٣جـ، ط١ ،دار الجيل،بيروت ،١٩٩٢م .
- ابن العبري ،ابو الفرج غريغوريوس الملطي ، (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

٨٥- تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ، (د.ت) .

- ابن العماد ،ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي ،(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .

- العماد ، محمد بن حامد الكاتب الاصفهاني ،(ت٥٩٧هـ/١٢٠١م).

٨٦- خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق محمد بهجة الاثري،(القسم العراقي) ، المجلد الثاني ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٧٧م.

٨٧-تاريخ دولة آل سلجوق ،ط٢ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،١٩٧٨م.

٨٨- الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ،الدار القومية للطباعة والنشر ،بيروت ،(د.ت).

٨٩- البرق الشامي ،تحقيق فالح حسين ،جـ٥،ط١ ، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان ،عمان ،١٩٨٧م.

٩٠- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،٨ج في اربعة مجلدات ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د.ت) .

- الغزالي ،ابو حامد محمد بن محمد ،(ت٥٠٥هـ/١١١١م) .

٩١- احياء علوم الدين ، ٤جـ ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٨٦م .

-الغساني ، ابو العباس اسماعيل بن العباس ،(ت٨٠٣ هـ/١٤٠٠م) .

٩٢- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ،تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ،دار البيان ، بغداد ،١٩٧٥م.

- ابو الفداء ،عماد الدين اسماعيل بن محمد ،(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) .

٩٣- المختصر في اخبار البشر ،٤جـ ، المطبعة الحسينية ، مصر،١٣٢٥هـ .

- ابن الفرات ،ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ،(ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) .

٩٤- تاريخ ابن الفرات ،تحقيق حسن محمد الشماع ،المجلد الخامس الجزء الاول ،مطبعة دار الطباعة الحديثة ،البصرة ،١٩٧٠م.

-ابن فضل الله العمري ،شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى ،(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) .

٩٥- التعريف بالمصطلح الشريف ،تحقيق سمير الدروبي ،منشورات جامعة مؤتة ،الكرك الاردن ،١٩٩٢م .

- ابن الفقيه الهمذاني ،ابو بكر احمد بن محمد ،(توفي بحدود سنة ٣٤٠ هـ/٩٥١م) .

٩٦- بغداد مدينة السلام ، تحقيق صالح احمد العلي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧م .

- ابن الفوطي ،كمال الدين عبد الرزاق بن تاج الدين الشاني ، (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) .

٩٧- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، حقق مصطفى جواد الجزء الرابع في اربعة

اقسام ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،١٩٦٢-١٩٦٥م .
وحقق الجزء الخامس الحافظ محمد عبد القدوس القاسمي ، لاهور ،١٩٤٠ م .
- القرشي ،محي الدين ابو محمد عبد القادر بن محمد ، (ت ٧٧٥ هـ/١٣٧٤ م) .
٩٨- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، ٢جـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الهند ،١٣٣٢هـ.
- القرماني ،ابو العباس الحسن بن عبد الله بن محمد ،(من اهل القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي) .
٩٩- آثار الاول في ترتيب الدول ، بولاق، مصر، ١٢٩٥ هـ .
- القزويني ،زكريا بن محمد بن محمود ،(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .
١٠٠- آثار البلاد واخبار العباد ،دار صادر ، بيروت ،١٩٦٠ م .
- القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف ،(ت٦٤٦هـ/١٢٤٩ م) .
١٠١- اخبار العلماء باخبار الحكماء ،عني بتصحيحه محمد امين ،مطبعة السعادة ،مصر ،١٣٢٩ هـ .
- القلقشندي ، ابو العباس احمد ،(ت٨٢١هـ/١٤١٨م) .
١٠٢- مآثر الانافة في معالم الخلافة ،تحقيق عبد الستار فراج ،٣جـ، ط٢ ،عالم الكتب ،بيروت ، ١٩٨٠ م .
١٠٣- صبح الاعشى في صناعة الانشا ،١٤ جـ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٨٧م .
- ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي ، (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) .
١٠٤- مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ،تحقيق مصطفى جواد ، وضع فهارسه سالم الالوسي ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٧٠ م .
١٠٥- مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، تحقيق كوركيس عواد ،وميخائيل عواد ، منشورة في مجلة المورد العراقية ، المجلد الثامن ،العدد الرابع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٩ م .
- ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ اسماعيل الدمشقي ،(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .
١٠٦- البداية والنهاية في التاريخ ، تحقيق احمد ابو ملحم وآخرون ،١٤جـ ، ط٣ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٩٨٧م .
- الكتبي ،محمد بن شاكر ،(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .
١٠٧- فوات الوفيات والذيل عليها ،تحقيق احسان عباس ،٥جـ ،ط١ ، دار صادر ،

بيروت،١٩٧٣ م .

- الماوردي ،ابو الحسن علي بن محمد حبيب البصري ،(ت٤٥٠/١٠٥٨م) .

١٠٨- الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق خالد الجميلي ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،١٩٨٩م .

- مجهول ، (ينسب لابن الساعي).

١٠٩- مختصر اخبار الخلفاء ،المطبعة الاميرية ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٠٩هـ.

- مجهول ،(ينسب لابن الجوزي) .

١١٠- مناقب بغداد ،عني بهوامشه محمد بهجة الاثري ،مطبعة دار السلام ، بغداد ،١٣٤٢هـ .

- مجهول ،(ينسب لابن الفوطي) .

١١١- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد ،مطبعة الفرات ،بغداد ،١٣٥١هـ .

- ابن المعمار ، ابو عبد الله ممحمد بن ابي المكارم البغدادي ،(ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م) .

١١٢- الفتوة ،تحقيق مصطفى جواد وآخرون ،مطبعة شفيق ،بغداد ،١٩٥٨م .

- المقريزي ،تقي الدين احمد بن علي ،(٨٤٥هـ/١٤٤١م) .

١١٣- الخطط المقريزية المسمى المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ٤جـ ،مطبعة النيل ، مصر ، ١٣٧٦هـ .

١١٤- السلوك لمعرفة دول الملوك ،تحقيق محمد مصطفى زيادة ،٣جـ،مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ،١٩٥٦م .

- المكي ، ابو طالب محمد بن علي ،(ت٣٨٦هـ/٩٩٦م) .

١١٥- قوت القلوب ،٤جـ،المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٥١هـ .

- المنذري ،زكي الدين ابو محمد بن عبد العظيم ، (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) .

١١٦- التكملة لوفيات النقلة ،تحقيق بشار عواد معروف ٤ج،مؤسسةالرسالة،بيروت،١٩٨١م .

-ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم ،(ت٧١١هـ/١٣١١م) .

١١٧- لسان العرب المحيط ،اعاد ترتيبه على حروف المعجم يوسف خياط ونديم مرعشلي،٤جـ، دار لسان العرب ،بيروت،(د.ت) .

- النبهاني ، يوسف بن اسماعيل ،(ت١٣٥٠هـ/١٩٣١م) .

١١٨- جامع كرامات الاولياء ،تحقيق ابراهيم عطوة ،٢جـ،المكتبة الثقافية ،ليبيا ،١٩٩١م .

- ابن النجار ،الحافظ محي الدين ابو عبد الله محمد بن محمود ،(ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) .

١١٩- ذيل تاريخ بغداد ،٣جـ،منشور مع كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في المجلدات ١٥،١٦،١٧، دار الكتاب العربي ،بيروت،(د.ت) .

- النسوي ،محمد بن احمد ،(ت٦٣٩هـ/١٢٤٩م).

١٢٠- سيرة جلال الدين منكبرتي ،تحقيق حافظ احمد حمدي ،مكتبة الاتحاد ،القاهرة ، ١٩٥٣م .

- النويري ،شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ،(٧٣٢هـ/١٣٣٢م) .

١٢١- نهاية الإرب في فنون الادب ،الاجزاء ١-٢٣ منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،والجزء السابع والعشرون تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، والجزء التاسع والعشرون تحقيق محمد ضياء الدين الذبس ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ،(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) .

١٢٢- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ٥جـ ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ،١٩٥٧م .

- ابن الوردي ،زين الدين عمر ، (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .

١٢٣- تاريخ ابن الوردي ،٢جـ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٩م .

- اليافعي ،ابو محمد عبد الله بن سعد عفيف الدين ، (ت٧٦٨هـ/١٣٦٥م) .

١٢٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الهند ،١٣٣٩هـ .

١٢٥- نشر المحاسن الغالية في فضائل المشايخ الصوفية اصحاب المقامات العالية ،تحقيق ابراهيم عطوة عوض ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة ،١٩٦١م .

- ياقوت الحموي ،شهاب الدين ابو عبد الله ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) .

١٢٦- معجم البلدان ، ٥جـ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،١٩٧٩م .

١٢٧- ارشاد الاريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الادباء ،تحقيق احسان عباس ، ٧جـ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣م .

- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم ، (ت١٨٢هـ/٧٩٨م) .

١٢٨- الخراج ،تحقيق احسان عباس ،دار الشروق، بيروت ،١٩٨٥م .

- اليونيني ، قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد ، (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) .

١٢٩- ذيل مرآة الزمان ،٤جـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآبادالركن الهند ، ١٩٥٤ م .

جـ- المراجع العربية والمعربة

- ابراهيم ،ناجية عبد الله .

١٣٠- قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ١٩٨٧م .

١٣١- ريف بغداد ، دراسة تاريخية لتنظيماته الادارية واحواله الاقتصادية (٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٧٩-١٢٥٨م) ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ١٩٨٨م .

- النسوي ،محمد بن احمد ،(ت٦٣٩هـ/١٢٤٩م).

١٢٠- سيرة جلال الدين منكبرتي ،تحقيق حافظ احمد حمدي ،مكتبة الاتحاد ،القاهرة ، ١٩٥٣م .

- النويري ،شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ،(٧٣٢هـ/١٣٣٢م) .

١٢١- نهاية الإرب في فنون الادب ،الاجزاء ١-٢٣ منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،والجزء السابع والعشرون تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، والجزء التاسع والعشرون تحقيق محمد ضياء الدين الدبس ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ،(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) .

١٢٢- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيــق جمال الدين الشيال ، ٥جـ ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ،١٩٥٧م .

- ابن الوردي ،زين الدين عمر ، (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .

١٢٣- تاريخ ابن الوردي ،٢جـ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٩م .

- اليافعي ،ابو محمد عبد الله بن سعد عفيف الدين ، (ت٧٦٨هـ/١٣٦٥م) .

١٢٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الهند ،١٣٣٩هـ .

١٢٥- نشر المحاسـن الغاليـة في فضـائل المشـايخ الصوفيـة اصحـاب المقامـات العاليـة ،تحقيـق ابراهيم عطوة عوض ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة ،١٩٦١م .

- ياقوت الحموي ،شهاب الدين ابو عبد الله ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) .

١٢٦- معجم البلدان ، ٥جـ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،١٩٧٩م .

١٢٧- ارشاد الاريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الادباء ،تحقيق احسان عباس ، ٧جـ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣م .

- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم ، (ت١٨٢هـ/٧٩٨م) .

١٢٨- الخراج ،تحقيق احسان عباس ،دار الشروق، بيروت ،١٩٨٥م .

- اليونيني ، قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد ، (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) .

١٢٩- ذيل مرآة الزمان ،٤جـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآبادالركن الهند ، ١٩٥٤ م .

جـ- المراجع العربية والمعربة

- ابراهيم ،ناجية عبد الله .

١٣٠- قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ١٩٨٧م .

١٣١- ريـف بغـداد ، دراسـة تاريخيـة لتنظيماتـه الاداريـة واحوالـه الاقتصاديـة (٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٧٩-١٢٥٨م) ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ١٩٨٨م .

-اسماعيل ، أكتمال .
١٣٢- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق (٤٤٧-٥٩٠هـ)،رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة دمشق ، ١٩٩٠م.
- الألوسي ،عادل .
١٣٣- تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى اواخر القرن السابع الهجري ، دار الحرية للطباعة ،بغداد ،١٩٨٤ م.
- أمين ،حسين .
١٣٤- المدرسة المستنصرية ،مطبعة شفيق ،بغداد ،١٩٦٠ م .
- الانباري ، عبد الرزاق .
١٣٥- منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية حتى نهاية العصر السلجوقي ،ط[١] ،الدار العربية للموسوعات ، بيروت،١٩٨٧ م.
- بروكلمان ،كارل .
١٣٦- تاريخ الشعوب الاسلامية ،نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٨٨م .
- ترتون ،ا.س .
١٣٧- اهل الذمة في الاسلام ،ترجمة حسن حبشي ،دار المعارف ، القاهرة ،(د.ت) .
- الجميلي ، رشيد .
١٣٨- دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي (٥٢١-٦٣١هـ)، ط [١] ،دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٧٠ م .
- جواد ،مصطفى .
١٣٩- سيدات البلاط العباسي ، دار الفكر العرب للجميع ، بيروت ،(د.ت) .
١٤٠- في التراث العربي ، (وهو مجموعة من البحوث والمقالات للباحث) قدم لها واخرجها وفهرسها محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي ، ٢جـ دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٥م .
- جواد ،مصطفى ،وزميله احمد سوسة .
١٤١- دليل خارطة بغداد قديما وحديثا ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ،بغداد ، ١٩٥٨ م .
- حسن ، حسن ابراهيم .
١٤٢- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٤جـ ،دار الاندلس ، بيروت ١٩٦٧م .
-حسنين ،عبد النعيم محمد .

١٤٣- سلاجقة ايران والعراق ،ط٢، مطبعة السعادة ، القاهرة ،١٩٧٠ م .
-حمادة ، محمد ماهر .
١٤٤- المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها،ط٢ ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٩٧٨م .
-حمدي، حافظ احمد .
١٤٥- الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر الغربي ،بيروت ،(د.ت) .
١٤٦-دائرة المعارف الاسلامية ، عدة مقالات .
- الدزوبي ،ابراهيم .
١٤٧- البغداديون اخبارهم ومجالسهم ،مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٨ م .
- الدوري ، عبد العزيز .
١٤٨- دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان ، بغداد ، ١٩٤٥ م .
١٤٩- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ،ط٢ ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٤م .
١٥٠- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط١، دار الطليعة ، بيروت ،١٩٨١م .
-دوزي ،رينهارت.
١٥١- المعجم المفصل باسماء الملابس العربية ، ترجمة اكرم فاضل ، مطبوعات وزارة الاعلام العراقية ، بغداد ،١٩٧١م .
١٥٢- تكملة المعاجم العربية ،نقله الى العربية محمد سليم النعيمي ، ترجم منه حتى حرف الغين ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، بغداد ،١٩٧٨-١٩٩٢م .
- الديوه جي ،سعيد .
١٥٣- الفتوة في الاسلام ،المطبعة الكلدانية ، الموصل ،١٩٥٠ م.
- الرخيم ، عبد الحسين .
١٥٤- الخدمات العامة في بغداد ، (٤٠٠هـ-٦٥٦هـ/١٠٠٩-١٢٥٨م) ، دار الحرية للطباعة ،بغداد ، ١٩٨٧م .
-رؤوف ،عماد عبد السلام .
١٥٥- مدارس بغداد في العصر العباسي ، ط١ ،مطبعة دار البصري ،بغداد ،١٩٦٦م .
- زامباور،ادوارد فون.
١٥٦- معجم الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، اخرجه محمد زكي حسن وحسن احمد محمود ،٢جـ ، القاهرة ،١٩٥١م .
- ابو زهرة ، محمد .

١٥٧- محاضرات في الوقف ، دار الفكر العربي ، بيروت ،١٩٧١م.
- زيدان ،جرجي .
١٥٨- تاريخ التمدن الاسلامي ، راجعه وعلق عليه حسين مؤنس ، ٥جـ ، دار الهلال ، بيروت،١٩٥٣-١٩٥٧م .
-زيدان ،يوسف طه .
١٥٩- الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر ، ط[1] ،دار الجيل ،١٩٩١م .
- ساعاتي ، يحيي محمود .
١٦٠- الوقف وبنية المكتبة العربية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، الرياض ، ١٩٨٨م .
- السامرائي ،يونس .
١٦١- السيد احمد الرفاعي حياته وآثاره ،مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، (د.ت) .
-سهيل ، جعفر صادق .
١٦٢- عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي ،رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة القاهرة،١٩٧٥م .
-شمس الدين ،عبد الامير .
١٦٣- المذهب التربوي عند ابن جماعة ،دار اقرأ ،بيروت ، ١٩٨٦م .
-صبرة ، عفاف سعيد .
١٦٤- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ،١٩٨٧م .
- عاشور ،سعيد عبد الفتاح .
١٦٥- الحركة الصليبية ، ٢جـ ، ط[2] ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
- عبد الهادي ، يحيي احمد .
١٦٦- الفتوة في العصر العباسي الاخير (٥٧٥-٦٥٦هـ) ،رسالة ماجستير غير منشورة قدمت للجامعة الاردنية ،١٩٩٢م .
- العبود ، عبد الكريم .
١٦٧- الشعر في العراق من سقوط السلاجقة الى سقوط بغداد ، دار الحرية للطباعة،بغداد، ١٩٧٦ م .
- العبود ، نافع توفيق .
١٦٨- الدولة الخوارزمية نشأتها وعلاقتها مع الدول الاسلامية .نظمها العسكرية والادارية (٤٩٠-٦٢٨هـ/١٠٩٧-١٢٣١م) ،ط[1] ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٧٨م .

- العبيدى ، صلاح الدين .

١٦٩- الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والاثرية ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ م .

- عثمان ، محمد عبد الستار .

١٧٠- المدينة الاسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٢٨ ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ١٩٨٨م .

- العلوجي ، عبد الحميد .

١٧١- مؤلفات ابن الجوزي ، دار الجمهورية ،بغداد ، ١٩٦٥م .

- العلي ، صالح احمد .

١٧٢- بغداد مدينة السلام (الجانب الغربي) مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٥م .

- عيسى ، احمد بك .

١٧٣- تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ط٢، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١م .

- عسيري ، مريزن .

١٧٤- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.

- الغامدي ،سعيد .

١٧٥- صلاح الدين والصليبيون ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٩٨٥م .

- فارمر ، هـ . جـ .

١٧٦- تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة حسين نصار ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

- فهد ، بدري محمد .

١٧٧- العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧ .

١٧٨- تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير (٥١٢- ٦٥٦هـ/١١٥٧-١٢٥٨م) ،مطبعة الارشاد، بغداد ،١٩٧٣م .

- فوزي ، فاروق عمر .

١٧٩- النهوض العربي في العراق والاقاليم المجاورة في العصور العباسية المتأخرة ، منشورات جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٩م .

- فيية ، جان موريس .

١٨٠- احوال النصارى في خلافة بني العباس ،ترجمة حسني زينة ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٠م .

- القزاز ، محمد صالح .
١٨١- الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير (٥١٢-٦٥٦هـ) ،مطبعة القضاء، النجف ، ١٩٧١م .
- الكبيسي ، حمدان .
١٨٢- أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٧٩ .
- الكروي ، سلمان .
١٨٣- نظام الوزارة في العصر العباسي الاول، ط٢، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، ١٩٨٩م .
١٨٤- طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الاول ،ط٢،مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية،
١٩٨٩ م.
- لوبون، غوستاف .
١٨٥- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، ط ٣ ،دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- لويس ، برنارد .
١٨٦- الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الاسلام ، تعريب محمد العزب موسى ، دار المشرق العربي ،بيروت ،١٩٨٠.
- متز ،آدم .
١٨٧- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ٢جـ ، بيروت ، ١٩٦٧م .
- مصطفى، شاكر .
١٨٨- مدن الاسلام حتى عصر المماليك ، ٢جـ، ط١،ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٧م .
- معروف ، ناجي .
١٨٩- المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ، ومطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٥م .
١٩٠- تاريخ علماء المستنصرية ، ٢جـ ، مطبعة العاني ، بغداد ،١٩٥٩، ١٩٦٥م .
١٩١- حياة اقبال الشرابي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ،١٩٦٦ م .
١٩٢- العملة والنقود البغدادية ، دار الجمهورية ، بغداد ،١٩٦٧م .
١٩٣- اصالة الحضارة العربية ، مطبعة التضامن ،بغداد ،١٩٦٩ .
- المنجد ، صلاح الدين .

١٩٤- الحركات التقدمية في العراق حتى الغزو المغولي ، دار العلم ، بيروت ،١٩٦٢م .
-ثاصف ، منصور علي .
١٩٥- التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول ،٢جـ ، دار الفكر ، ١٩٧٥م .
- النقيب ، احلام .
١٩٦- سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ،رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة بغداد ، ١٩٨٨م .
- نيكلسن ،رينولد .
١٩٧- في التصوف الاسلامي وتاريخه ، ترجمة ابو العلا عفيفي ،مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
- هنتس ، فالتر .
١٩٨- المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ،ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية ،١٩٧٠م .
د- البحوث والمقالات .
- ابراهيم ، ناجية عبد الله .
١٩٩- "الجهود العلمية للمرأة في العراق في القرنين الخامس والسادس الهجريين " ،بحث مطبوع على الالة الكاتبة غير منشور .
- امين ،حسين .
٢٠٠- "المدارس الاسلامية في العصر العباسي واثرها في تطوير التعليم "بحث منشور ضمن مجموعة بحوث بعنوان بحوث في تاريخ الحضا رة الاسلامية ، مؤسسة سباب الجامعة ، الاسكندرية ،١٩٨٣م .
- الانباري ، عبد الرزاق .
٢٠١- "النظام القضائي " ،بحث منشور ضمن موسوعة حضارة العراق ،ح٦ ،دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤ م.
- تشنز ، فرانز .
٢٠٢- " الفتوة والخليفة الناصر " ، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين ،ترجمة صلاح الدين المنجد ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٥٥م .
- جواد ، مصطفى .
٢٠٣- "الفتوة والفتيان " ، مجلة لغة العرب ،المجلد الرابع ،السنة الثامنة ،١٩٣٠م .
٢٠٤- "الأخاء في الثقافة ووقف الكتب " ،مجلة الحضارة ، العدد الرابع والثلاثون ، السنة الثالثة، ١٩٤٥م .

٢٠٥- " الربط البغدادية واثرها في الثقافة الاسلامية " ، مجلة سومر ،المجلد العاشر ، الجزء الثاني ،١٩٥٤م .

٢٠٦- " الفتوة واثرها في توحيد العرب والمسلمين " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الخامس ، مطبعة المجمع ، ١٩٥٨م .

٢٠٧- "أزياء العرب " ، مجلة التراث الشعبي ، بغداد ، العدد الثامن ، ١٩٦٤م .

- " جواد، مصطفى وزميله احمد سوسة" .

٢٠٨- " مدينة المنصور وجامعها" ، مجلة سومر ، ، المجلد الثاني والعشرون ، الجزء الاول ، ١٩٦٦م .

- خمارنة ، صالح .

٢٠٩- " وقفة عند الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٥٣-٦٢٢هـ/١١٥٨-١٢٢٥م)"،ضمن بحوث ودراسات مهداة الى عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه سن الستين ، عمان، ١٩٨٨م .

- الدوري ،عبد العزيز .

٢١٠- " نشؤ الاصناف والحرف في الاسلام " ،مجلة كلية الاداب ،جامعة بغداد ،العدد الاول، ١٩٥٩م.

- رؤوف ،عماد عبد السلام .

٢١١- "تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد " ،مجلة المورد ،بغداد ،المجلد الثامن ،العدد الرابع ،١٩٧٩م .

٢١٢- "الخدمات النسوية في العراق "،بحث مطبوع على الالة الكاتبة غير منشور ،محفوظ في الاتحاد العام لنساء العراق .

- الزيات ،حبيب .

٢١٣- "معجم المراكب والسفن في الاسلام " ،مجلة المشرق ،١٩٤٩م .

- سالنجر ،جيرالد .

٢١٤- " الفتوة هل هي الفروسية الشرقية " ، بحث منشور في كتاب دراسات اسلامية ، بأقلام مجموعة من المستشرقين ، اشرف على الترجمة نقولا زيادة ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٠م .

- صالحية ، محمد عيسى .

٢١٥- "دراسة لمخطوطة الافادة والتبصير لكل رام مبتدأ وما هو نحرير بالسهم الطويل والقصير لعبد الله بن ميمون " ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ،الكويت، المجلد الثاني، العدد السادس ، ١٩٨٢م .

- عاشور ، سعيد عبد الفتاح .

٢١٦- " ظل الخلافة العباسية في الحروب الصليبية " ، منشور ضمن بحوث للمؤلف بعنوان بحوث في التاريخ والحضارة الاسلامية ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٨٧م .

- العبيدى ، صلاح حسين ،

٢١٧- " ملابس الندامى في العصر العباسي " ، مجلة سومر ، المجلد التاسع والعشرون ، الجزء الاول ، ١٩٧٣م .

- العلي ،صالح احمد .

٢١٨- "الحريم الطاهري " " مجلة الاقلام ، بغداد ، الجزء الثامن ، السنة الخامسة ، ١٩٦٩م .

٢١٩- " المواصلات والجسور في بغداد " ، مجلة المورد ، بغداد ، المجلد الثالث ، العدد الربع ، ١٩٧٩م .

- عواد ، كوركيس .

٢٢٠- "خزائن كتب العراق الهامة في ايام العباسيين " ،مجلة سومر ، المجلد الثاني ، الجزء الثاني ، ١٩٤٦م .

- فهد ، بدرى محمد .

٢٢١- " الحياة اليومية في المدينة العراقية " ، ضمن موسوعة المدينة ، والحياة المدنية ، الجزء الثاني ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، بغداد ،١٩٨٤م .

- معروف ، ناجي .

٢٢٢- " زوارق بغداد وجسورها " ، مجلة الاقلام ، بغداد ،المجلد الرابع ، السنة الثالثة ، ١٩٦٦م .

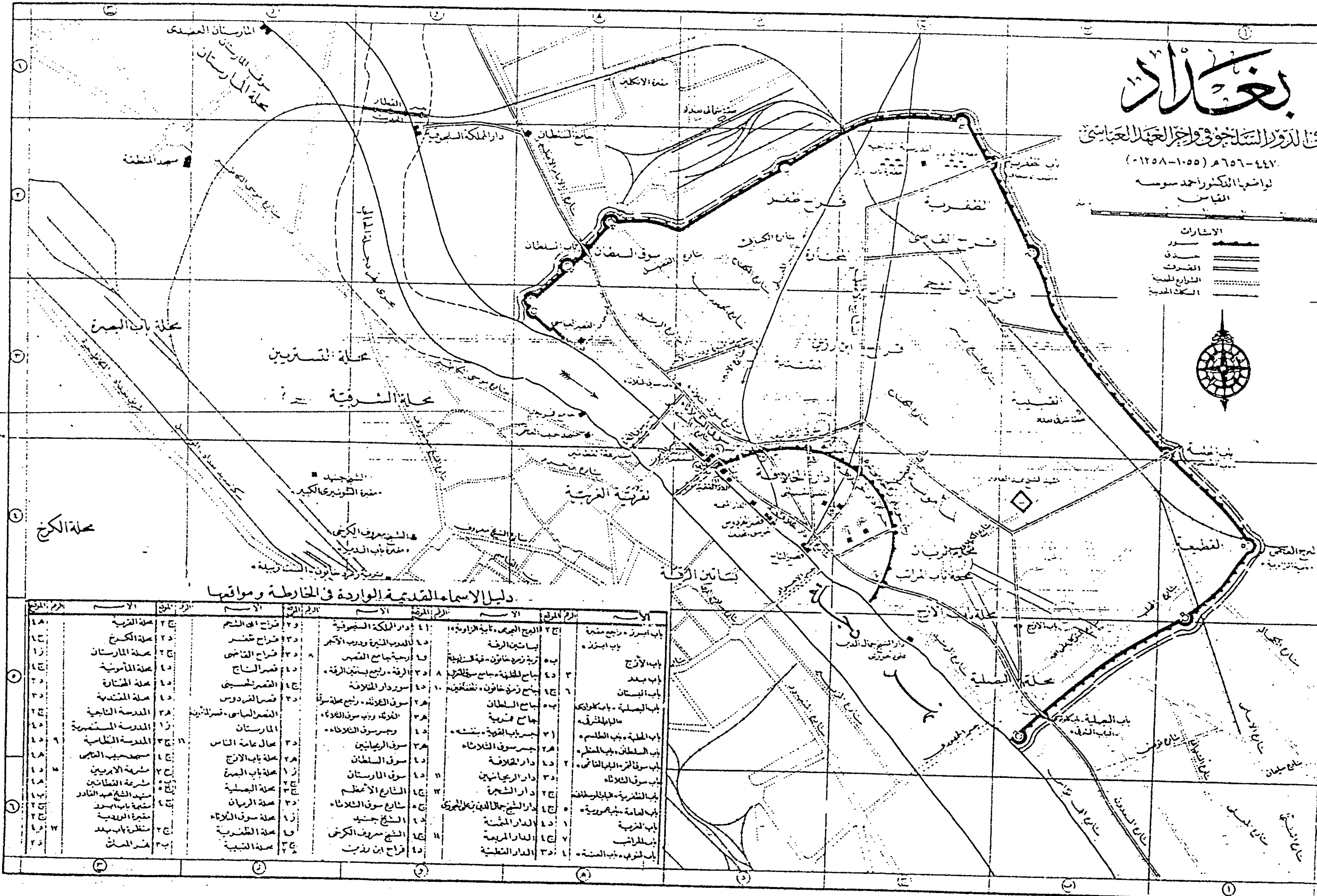
هـ -المراجع الاجنبية .

223- Rashad , Abdul Munim , The Abbassid Caliphate (575/1179-656/1258) ,University Of London ,London , 1963.

224- Marcais,G ,"AL-Nasir Li-Din Allah", E.I1

225- Taeschner , F,"Futuwwa", E.I2

226- Margoliouth,D.S,"Kadiriyya", E.I2.



بغداد
في الدور السلجوقي وأواخر العهد العباسي
(٤٤٧-٦٥٦هـ / ١٠٥٥-١٢٥٨م)
لواضعها الدكتور احمد سوسه
المقياس
الاشارات
سور
خندق
الشوارع
محلة الكرخ
محلة باب البصرة
محلة الشرقية
محلة التستريين
نهر دجلة
دار الخلافة
سوق السلطان
باب السلطان
جامع السلطان
دار المملكة السلجوقية
المارستان العضدي
محلة المارستان
مسجد المنطقة
بساتين الرقة
القطيعة
محلة الصلية
باب الحلبة
باب الأزج
باب الظفرية
باب المراتب
محلة باب المراتب
محلة باب الأزج
الظفرية
المقتدية
قراح ظفر
الشيخ معروف الكرخي
الشيخ جنيد
دليل الأسماء القديمة الواردة في الخارطة ومواقعها

Abstract

This thesis deals with the social life in Baghdad from (575 - 656 H.G/ 1179 - 1258 A.D).

The introduction included the importance of the study and an analysis of the references while the preface gave an amage of the political circumstances of the Abbaside Caliphate and the attempts of the Caliphs, for example AL-Nasir Le-Din Allah to revive its glories . It also talks about the relationship with the nearby Islamic States, For example the seljuks and Khwarizm, ALNasir compelled the seljuks but later the Moghuls compelled Khwarizm who tried to capture Baghdad twice and later the Abbaside Caliphate in 656 H.G.

Chapter One divided the citizens of Baghdad on the two bases .On Religion (Muslims: Sunnis and Shiites) and (Dhimmis: Christians and Jews). The Caliphate Followed the policy of mutual approximation to put an end to the strife between these divisions. on the social rank (private sector including the caliphs family and upper class officials) and (public sector - induding slaves, servants even scientists and merchants).

Chapter Two is dedicated for social organizations (Alids\ Ashraf who took care of the Prophet's descendants , the Hashemites and the Al[illegible]s) Each party had a syndics in the Islamic world . The chapter also describes the religious procedures followed by the Islamic Mystics-the Sufis, the Qadiriyya and the Rifaiyya in addition to the Chivalry troops (AL-Futuwwa)which was united under the banner of Caliph AL-Nasir . the authority supervised markets and price levels by its accountant (AL-Muhtasib) .

Chapter three describes means of recreation , celebration and feasts that the citizens of Baghdad demonstrated. All kinds of people attended

either as participants or viewers . this Chapter also included daily life topics at that time .

Chapter four deals with the public utilities and services found in Baghdad , for example ,Water Supply,' Clinics , Public Baths and Cultural Institutions and the role the Islamic endowment called the Wakf took Part in establishing those utilities and supervising them.